

أدب العرب في الجاهلية

تأليف

محمد الجليل

القاضي بالحاكم الشرعية

(الطبعة الاولى)

(١٣٤١ هـ - ١٩٢٣ م)

(حقوق الطبع محفوظة للمؤلف)

مطبعة النسيغاه بجوار محافظة تبصر

أهداء الكتاب

الى خدن الشباب ومن أراه
ومن لبس المحامد سابغات
ومن يولى الصديق الود صنفوا
لمن يخشى الأله ويتقيه
الى خير الصحاب ولست اغلو
الى الخلل الوفى الى (الودينى)
لمن تزهى بمدحته القوافى
أحب الى من عهد الشباب
وحل من الفضيلة فى اللباب
كأن تميره ماء السحاب
ويرجو عنده حسن الثواب
اذا سميته خير الصحاب
سيد القول ذى رأى الصواب
(ل احمد عارف) اهدى كتابى
محمد نعمان الجارم

A 2



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله تقدست ذاته وتعالى اسماءه وصفاته والشكر له عز فضله وتوالت
آلاؤه استوجب سبحانه وتعالى الحمد الجزيل الجميل ذاته واستحق جل جلاله
عظيم الثناء لسنى صفاته وجب أن تذل الجباه لذاته لانه مصدر الموجودات
وحق أن تعنو الوجوه اليه وتخصه بالعبادة لانه فاطر الأرض والسموات لا
معبود بحق سواه قل لو كان فيهما آلهة الا الله ارسل رسوله محمداً بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله فبين مناهجه ووضع طرائقه ووضع له
الصوى (١) والأعلام حتى لا تمشى أمته من بعده في ظلام فعلية أفضل الصلاة
وازكى السلام وعلى آله واصحابه منار الاسلام (وبعد) فهذا كتاب اسهبت
فيه القول على أديان العرب قبل الاسلام وبينت فيه ما ابتدعوا من جهالة
وأوهام حتى تغير دين الهدى وطمس الطريق اليه وخفى الحق وعز الطالب
له ونشأ بعد المختلقين قبيل عاشوا في ظلمات بعضها فوق بعض فلم يدركوا نور
الهدى ولم يشوقهم مشوق اليه ثم طمست ظلمة الضلالة عقولهم فأعرضوا عن
الحق حتى مع وجود الدال عليه اللهم الا بعض أفراد لمحو نور الاهتداء ولم
يقيد فكرهم تعليم الأمهات ولا تقليد الآباء فتركوا للفكر العنان حتى ظهر
لهم الحق بالدليل والبرهان وتجلت لهم الحقيقة تجلى الشمس في وسط النهار
فاختل صرح الكفر لديهم وانهار وهذا الكتاب هو جزء من أجزاء كتابي
(العرب في الجاهلية) يرشدك الى معتقدات العرب في الجاهلية وأوهامها التي
هدمها الاسلام والله أسأل أن يجعله مقبولا لديه فان الامر كله منه واليه انه
اكرم مسئول ويبيده القبول

(١) الصوة بالضم حجر يكون علامة في الطريق جمعة صوى

مقدمة

الانسان يعتاز عن سائر الحيوان بالنفس الناطقة وبقوة التفكير فيها تستدل بالأثر على وجود المؤثر ثم ينتهى بها البحث الى أن المؤثر في الأكو ان لا بد أن يكون واجب الوجود لذاته تلك فطرة في الانسان ولذلك ذهب الأمام الأعظم أبو حنيفة النعمان ومن تابعه على ما هو الصحيح الموافق لظاهر الرواية الى أن التكليف منوط اما ببلوغ دعوة الرسل واما بمضى مدة يتمكن العاقل فيها أن يستدل بالمصنوعات على وجود صانعها وذلك لأن الدين من خواص النفس الناطقة كما تقدم — وذهب علماء الأخلاق الى أن الدين ليس من لوازم النفس الناطقة لأن بعض الأمم والقبائل لا تدين بدين

هذا والدين قديم وجد مع الانسان أما عند اهل الأديان السماوية فلأن آدم أبا البشر كان نبياً واما عند غيرهم فلأن الناس في أطوارهم الأولى كانوا يعتقدون باليوم الآخر وان للانسان نفساً خالدة فكانوا يدفنون مع الميت أمتعته ومقتنياته ليفتفع بها في العالم الآخر وهذا من المبادئ الدينية وجميع الأمم والقبائل الآن تعتقد بعالم الأرواح والمتوحشون منهم يسببون الموت والمرض للروح وهذه عندهم كالنفس الا أن الروح أقوى وأكثر دخلا في أحوال الناس ومصالحهم فينسبون اليها الموت والمرض والمحن والخطوب لذلك ترى المتوحشين يحرسون على دفع غضب الأرواح الشريرة باسترضاء الأرواح الصالحة التي هي غالباً نفوس السلف الصالح من آباءهم وأجدادهم الذين لهم في القبيلة أثر محمود ومقام مشكور لانهم يرون أن نفوسهم أقوى وأقدر على جلب المصالح ودفع المضار فعظموهم لذلك بعد الموت ونصبوا لهم التماثيل ولجئوا اليها يستعينون بهم عند نزول الخطوب وهذا أصل عبادة الأجداد .

هذا وان الدين من غير نظر الى الوحي ابتداءً باعتقاد الانسان ان له موجدًا

أوجده وغيره من الممكنات وإن له نفساً أو روحاً خالدة تصير بعد الموت في عالم آخر ذلك مبدأ اعتقاده بالروح والروحانيات ثم توسع في عالم الروح فاعتقد أن لكل كائن من الكائنات روحاً تدبره حيواناً كان ذلك الكائن أو جماداً وهذه الروح تكون قوية إذا كان الكائن المتصلة به من عظيم المخلوقات وما زال يرتقى في الوهم حتى تخيل بعض الأرواح آلهة فعبدها بعبادة المادة المتعلقة بها ومن ذلك عبادة الهنود لنهر الكنجج والمصريين القدماء لنهر النيل والمجوس للنار والصابئين للكواكب وعبادة أهل الهند وأفريقية الغربية للأفاعي وما عبادة الشمس وغيرها مما عبد من دون الله إلا من هذا القبيل

والأديان تنقسم قسمين — أديان الهيبة وهي ما أنزله الله سبحانه وتعالى على رسله الكرام . وأديان وصعية وهي ما ليس كذلك كدين المجوس عباد النار والبراهمة والبوذيين واشباههم — والأديان السماوية كثيرة وهي من حيث ذاتها قبل افسادها بالتحريف والتبديل تتضمن توحيد الله جل ثناؤه ووصفه بأوصاف الكمال وتنزيهه عن مشابهة الحوادث وتحت على مكارم الأخلاق والآداب والفضائل وتنص على الأحكام التي تكفل نظام المجتمع وتناسب الزمان الذي أنزلت فيه والذي يليه إلى أن تنسخ بإشريع رسول آخر فيصبح الناسخ الذي جاء به الرسول المتأخر هو الحق الذي يجب اتباعه ويصبح ما تقدمه من الدين منسوخاً وذلك سر ما يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب حينما رأى بعضهم يقرأ ورقة من التوراة وقال لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي وقوله تعالى ومن يدع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين . والذي يوحى إليه من الله تعالى نبي أو رسول ويطلق النبي عرفاً على رجل سليم من منفر معصوم عن كل رذيلة أكمل معاصريه غير الرسل اصطفاة الله من بين عباده وأوحى إليه بإشريع سواء أمره بتبليغه أم لا ولو أمر بتبليغه فرسول سواء كان له كتاب أم لا نسخ بعض شرع من قبله أو لم ينسخ ولا جزم في عدد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم قال أبو البقاء في الكلبيات « وأول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض

نوح عليه السلام أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله تعالى كان الناس أمة واحدة انه قال ذكر لنا انه كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الهدى وعلى شريعة من الحق ثم اختلفوا بعد ذلك فبعث الله نوحاً . لكن الا كثرون على عد آدم من المرسلين

والاديان السماوية كثيرة ولم يبق منها الآن سوى اليهودية المبعوث بها سيدنا موسى الكليم عليه السلام ويعتنيها ثمانية ملايين ونصف من الانفس والنصرانية المبعوث بها سيدنا عيسى عليه السلام ويدين بها نحو اربعمائة وثلاثة وسبعين مليوناً من الأنفس والاسلام المبعوث به سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ويعتنيها نحو مائتي مليون من الانفس تقريباً

واكثر ديانات العالم اتباعاً الديانة البوذية وهي منسوبة الى بوذا رجل كان في سنة ستمائة واثنين وعشرين قبل المسيح قصد بها في الاصل اصلاح الديانة البراهمية (١) وتهذيب عالميها ولكن نشأت بين معتنقي الديانة البراهمية والبوذية منافسات ومناظرات انتهت اخيراً بفوز الديانة البوذية وانتشارها على الديانة البراهمية واكبر انتشارها في الصين واليابان وكوريا ومنشوريا وتبت ومنغوليا ويعتنيها نحو خمسمائة مليون من الأنفس

ولقد كانت العرب في جاهليتها تدين بأديان شتى كما ستراه مفصلاً في هذا الكتاب فمنهم عباد الاصنام والشمس والكواكب وغير ذلك ومنهم الموحدون الذين كانوا يستضيئون بهدى الانبياء الذين أرسلهم الله لهم أو لغيرهم من الأمم

ولقد بعث الله في العرب قديماً انبياء فبعث هوداً (٢) عليه السلام لعاد وكانت ديارهم بالدو والذهناء وعالج ويبرين ووبار الى عمان والى حضرموت بين اليمن وعمان وبعث صالحاً عليه السلام لثمود وكانوا يسكنون بالحجر ووادي القرى بين الحجاز والشام وبعث شعيباً لمدين وكانت منازلهم تجاور

(١) نسبة الى براهمة كبير آلهة الهند

(٢) علماء الانساب يسمون هوداً عابراً أو عبيراً على وزن جعفر

ارض معان من أطراف الشام مما يلي الحجاز فكان من العرب من يدين بدين هؤلاء النبيين واكثر العرب كانوا على دين أبيهم ابراهيم عليه السلام وسبب كثرة الاديان عندهم مجاورتهم لكثير من الأمم المتدينة فتيسر لهم بالرحلة والتجارة معرفة اديان مجاوريهم وناهيك ببلاد الشام وهي الارض التي بورك فيها لكثرة من أرسل لها من النبيين فنقلوا تعاليم هذه الديانات الى بلادهم واعتنقوها من اعتقدها منهم . وكان التوحيد دين اكثر العرب ثم غلبت الوثنية عليه حتى طمست معالمه وراجب عبادة الاوثان فارسل الله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم بالتوحيد وما زال يغالب الكفر ويهزم جيشه ويفصل شعائر الدين ويدعو الخلق لعبادة الله وحده ويحض على مكارم الاخلاق ويبين الاحكام المتكفلة بسعادة الدنيا والآخرة حتى ردت جيوش النوحيد كتائب الكفر والزيغ مهزومة واصبحت أبطال الضلال والالحاد صرعى مكلومة ولم ينزل به الموت حتى اكمل الله للناس دينه وأتم عليهم نعمته ورضى لهم الاسلام ديناً وختم به الانبياء والمرسلين فمن ادعى بعد محمد صلى الله عليه وسلم انه يوحى اليه من الله تعالى بشرع فهو ضال كافر

ابراهيم الخليل واسماعيل عليهما السلام

نسب القول في تاريخهما لان اكثر العرب تدين بدينهما فنقول . ولد ابراهيم عليه السلام بارض بابل بالعراق ونشأ بها في دولة حمورابي الدولة البابلية الأولى التي هي من سنة الفين واربعمئة وستين قبل الميلاد الى سنة الفين وواحد وثمانين قبل الميلاد وكانوا يعبدون الاصنام ولم يكن بينه وبين نوح نبي الا هود وصالح فدعا قومه لعبادة الله وحده فلم يؤمنوا فطفق يسفه أحلام قومه ويطعن على آلهتهم ثم انتهز فرصة خروجهم في يوم عيد لهم ولم يخرج وخالف الى اصنامهم فكسرها فلما رأوا منه ذلك أمر غرود حاكمهم بأحراقه والتي في النار فجعلها الله برداً وسلاماً فلما نجاه الله أجمع امره والذين اتبعوه على فراق قومهم ومعهم لوط عليه السلام ابن أخيه فنزل

ابراهيم بالسبع من ارض فلسطين ونزل لوط بالموتفكة وبينهما مسيرة يوم
وليلة ثم ولد لابراهيم من هاجر اسماعيل عليه السلام . وروى أبو هريرة خبر
وصول هاجر لابراهيم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم عليه
السلام قط الا ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله قوله انى سقيم وقوله بل فعله
كبيرهم هذا وواحدة في شأن سارة فانه قدم ارض جبار ومعه سارة وكانت
أحسن الناس فقال لها ان هذا الجبار ان يعلم انك امرأتى يغلمنى عليك فان
سألك فاخبريه انك أختى فانك أختى فى الاسلام فانى لا أعلم فى الأرض
مسما غيرى وغيرك (١) فاما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار فأتاه
فقال لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغى لها ان تكون الا لك فارسل اليها
فأتى بها وقام ابراهيم الى الصلاة فلما دخلت عليه لم يملك ان بسط يده اليها
فقبضت يده قبضة شديدة فقال لها ادعى الله ان يطلق يدى ولا أضرك
ففعلت فعاد فقبضت يده أشد من القبضة الاولى فقال لها مثل ذلك فعاد
فقبضت يده أشد من القبضتين الأولىين فقال ادعى الله أن يطلق يدى ولا
أضرك ففعلت فطاقت يده ودعا الذى جاء بها فقال له انك انما جئتني بشيطان
ولم تأتني بانسان فأخرجها من أرضى وأعطاه هاجر قال فاقبلت تمشى فلما
رآها ابراهيم انصرف فقال مهيم (٢) فقالت خيراً كفى الله يد الفاجر
وأخدم خادماً قال أبو هريرة فتلك أمكم يا بى ماء السماء « (٣) وانما
كانت هاجر أم العرب لأن سارة ملكتها لابراهيم فولدت له اسماعيل أبا
العرب ولم يكن لسارة من ابراهيم ولد فأنها ولدت اسحاق بعد ولادة
اسماعيل فيما رووا بأربع عشرة سنة . قال ابن أبى زيد فى نواته وهاجر أول
امرأة ثقت أذناها وخفضت من النساء وأول من جرت ذيلها وذلك أن

(١) أى فى الارض التى يحكمها ذلك الجبار والا فقد آمن به ابن أخيه
لوط وآمن به جماعة من قومه (٢) كلمة استفهام بلفظة أهل اليمن أى
ما حالك وما شأنك أو ما وراءك (٣) يقال للعرب بنو ماء السماء لكثرة
ملازمتهم للفلوات التى بها مواقع المطر

سارة غضبت (١) خلعت أن تقطع ثلاثة أعضاء من أعضائها فأمرها إبراهيم أن تبرقسمها بثقب أذنيها وخفاضها فصارت سنة في العرب وأوحى الله لإبراهيم أن يحمل اسماعيل وأمه إلى مكة . وكان من أمرهم ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس قال أول ما اتخذت النساء المنطق (٢) من قبل أم اسماعيل اتخذت منطقاً لتعفى أثرها على سارة ثم جاء بها إبراهيم وبابنها اسماعيل وهي ترضعة حتى وضعهما عند البيت عند دوحة (٣) فوق زمزم في أعلى المسجد (٤) وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء (٥) فيه ماء ثم قمى إبراهيم منطلقاً (٦) فتبعته أم اسماعيل فقالت يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا في هذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء فقالت له ذلك مراراً وجمال لا يلتفت إليها فقالت له الله امرك بهذا قال نعم قالت إذاً لا بضيعتنا ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية (٧) حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال (ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) وجعلت أم اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها فجعلت تنظر إليه يتلوى أو قال يتلبط (٨) فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً فلم تر أحداً فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعى

(١) روى أنها أخرجت هاجر غيرة منها لا غضبا (٢) المنطق بكسر

فسكون ففتح ازار له حجرة (٣) الدوحة الشجرة الكبيرة

(٤) أى مكان المسجد لأنه لم يكن بنى (٥) السقاء (بكسر اوله)

قربة صغيرة (٦) أى ولى راجعاً (٧) الثنية الجبل (٨) يتلبط

يتمرغ ويضرب بنفسه الأرض

الانسان المجهود (١) حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحداً فلم تر أحداً ففعلت ذلك سبع مرات . قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فذلك سعى الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت هـ (٢) تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت أيضاً فقالت قد أسمعت ان كان عندك غواث (٣) فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجباحه (٤) حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه (٥) وتقول بيدها هكذا (٦) وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف . قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله أم اسماعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تغرف من الماء (٧) لكانت زمزم عينا معينة (٨) قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة (٩) فان هاهنا بيت الله يدنيه هذا الغلام وأبوه وان الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالراية تأبى السيول فأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى صرت بهم رفقة من جرهم (١٠) مقبلين من طريق كداء فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائراً عائفاً (١١) فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعمدنا بهذا الوادي وما فيه ماء

(١) المجهود هو الذي أصابه الجهد بفتح الجيم وتضم المشقة (٢) بفتح المهلة وسكون الهاء وبكسرهما منونة كأنها خاطبت نفسها فقالت لها اسكتي (٣) بفتح أوله للأكثر وتخفيف الواو وليس في الأصوات فعال بفتح أوله غيره — وجزاء الشرط محذوف تقديره فاغثنى (٤) شك من الراوى (٥) بحاء مهلة وضاد معجمة ونشديد أى تجعله مثل الحوض (٦) هو حكاية فعلها وهذا من إطلاق القول على الفعل (٧) شك من الراوى (٨) عينا معينة أى ظاهراً جارية (٩) الضيعة بضاد أى الهلاك (١٠) جرهم هو ابن قحطان . وفي رواية عطاء بن السائب وكانت جرهم يومئذ بواد قريب من مكة (١١) العائف هو الذي يحوم على الماء ويتردد ولا يمضى عنه

فارسلا حريا أو جريين (١) فاداهم بالماء فرجعوا فأخبروهم فأقبلوا .
قال وأم اسماعيل عند الماء فقالوا اتأذنين لنا أن نزل عندك قالت نعم ولكن
لاحق لكم في الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم
قالني (٢) ذلك أم اسماعيل وهي تحب الانس (٣) فزروا وارسلوا الى أهليهم
فزروا معهم حتى اذا كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم
وأنفسهم (٤) وأعجبهم حين شب فلما أدرك روجه امرأة منهم (٥) وماتت
أم اسماعيل فجاء إبراهيم بعد ما تزوج اسماعيل يطالع تركته (٦) فلم يجد
اسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت خرج يبتغي لنا (٧) ثم سألهما عن عيشهم
وهيئتهم فقالت نحن بشر نحن في ضيق وشدة فشكت اليه قال فاذا جاء زوجك
أقرني عليه السلام رقبتي له يغير عتبة بابه (٨) فلما جاء اسماعيل كأنه آانس
شيئا فقال هل جاءكم من أحد قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك
فاخبرته وسألني كيف عيشنا فاخبرته أنا في جهد وشدة قال فهل أوصاك بشيء
قالت نعم أمرني ان اقرأ عليك السلام ويقول غير عتبة بابك قال ذاك أبي
وقد أمرني أن أفارقك الحق باهلك فطلقها وتزوج منهم امرأة أخرى (٩)

(١) بفتح الجيم وفتح الراء ولشديد الياء أى رسولا وقد يطلق على
الوكيل وعلى الأجير قيل سمى به لانه يجرى مجرى مرسله أو موكله
(٢) النى أى وجد (٣) الأنس بضم الهمزة ضد الوحشة
(٤) أنفسهم بفتح الفاء بلفظ افعل التفضيل من النفاسة أى كثرت
رغبتهم فيه (٥) روى ان اسمها عمارة بنت سعد بن اسامة وحكى
السهميلي ان اسمها جدى بنت سعد (٦) بكسر الراء أى يتفقد حال
ما تركه (٧) يبتغى لنا أى يطلب لنا الرزق (٨) عتبة بابه كناية
عن المرأة - وقد كانت العرب ترى طلاق النساء كأبيهم إبراهيم
(٩) ذكر الواقدي ان اسمها سامة بنت مهلهل بن سعد وذكر الدارقطني
ان اسمها السيدة بنت مضا

فلمبث عنهم ابراهيم ماشاء ثم أتاها بعد فلم يجد فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت خرج يبتغي لنا قال كيف أنتم وسألها عن عيشتهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة واثنت على الله عز وجل فقال ما طعامكم قالت اللحم قال فما ثيابكم قالت الماء قال الله برك لهم في اللحم والماء قال النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم دعا لهم فيه قال فهما لا يخلو (١) عليهما أحد بغير مكة الا لم يوافقاه قال فاذا جاء زوجك فاقريء عليه السلام ومريه يثب عتبة بابيه فلما جاء اسماعيل قال هل أتاكم من أحد قالت نعم أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسألني عنك فاخبرته فسألني كيف عيشنا فاخبرته أنا بخير قال فاوصاك بشيء قالت نعم هو يقرأ عليك السلام ويأمرك ان تثب عتبة بابك قال ذاك أبي وأنت العتبة أمرني أن أمسكك ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك واسماعيل يبرى نبلا له (٢) تحت دوحة قريبا من زمزم فلما رآه قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد (٣) ثم قال يا اسماعيل ان الله أمرني بامر قال فاصنع ما أمرك ربك قال وتعيني قال أعينك قال فان الله أمرني أن أبني هاهنا بيتا وأشار الى أكمة مرتفعة على ما حولها قال فعند ذلك رفعوا القواعد من البيت فجعل اسماعيل يأتي بالحجارة وابراهيم يبني حتى اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر (٤) فوضعه له فقام عليه وهو يبني واسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم قال وجعلنا بيننا حتى يدورا حول البيت وهما يقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك (٥) ومن ذريتنا (٦) أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا (٧) وتب علينا انك أنت التواب الرحيم ربنا (١) حلوت بالشئ واختليت اذا لم أخلط به غيره ويقال أخلى الرجل الابن اذا لم يشرب غيره (٢) « النبل » السهم قبل أن يركب فيه نصله ورشه وهو السهم العربي (٣) يعنى من الاعتناق والمصافحة وتقبيل اليد ونحو ذلك (٤) بهذا الحجر يعنى مقام ابراهيم (٥) مسلمين أى خاضعين (٦) يعنى واجعل من ذريتنا (٧) أرنا مناسكنا أى عرفنا متعبداتنا في

وابعث فيهم رسولا (١) منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة (٢) ويذكهم (٣) انك أنت العزيز الحكيم . ولما فرغا من بناء البيت أمر الله ابراهيم ان يؤذن في الناس بالحج فاجاب دعاء ربه ونادى أيها الناس كتب الله عليكم الحج الى البيت العتيق ثم حج ابراهيم واسماعيل ومن معهما من المسلمين . وقد أمر الله ابراهيم بذبح ولده فامتثل أمر ربه ولما هم بذبحه فداه الله بذبح عظيم . ولقد اختلف في أى ولديه الذبيح أهو اسماعيل أم اسحق وقد قال بكل من القولين جماعة من المسلمين . قال أبو البقاء في الكليات واتفقت الأحاديث الصحيحة وتضافرت نصوص العلماء على ان العرب من عهد ابراهيم عليه السلام على دينه لم يكفر أحد منهم قط ولم يعبد صنما الى عهد عمرو بن لحي الخزاعي فانه أول من غير دين ابراهيم عليه السلام وعبد الأصنام وسبب السوائب - وذكر السهيلي (٤) ان اسماعيل نبي مرسل أرسله الله الى اخواله من جرهم والى العماليق الذين كانوا بارض الحجاز فأمن بعض وكفر بعض - وحكى الحلبي في سيرته ان اسماعيل ارسل الى جرهم والى العماليق والى قبائل اليمن في زمن أبيه ابراهيم وكذا بعث أخوه اسحق الى أهل الشام وبعث ولده يعقوب الى الكنعانيين في حياة ابراهيم فكانوا أنبياء على عهد ابراهيم عليه السلام وتوفي اسماعيل عليه السلام بمكة ودفن بالحجر عند قبر أمه هاجر . أما الشرع الذي بعث به اسماعيل فهو شرع أبيه ابراهيم

✽ المختلف في نبوتهم من العرب ✽

لقد أوحى الله دينه لمن ارتضى من خلقه فان لم يأمرهم بتبليغ فهم الانبياء وان أمرهم به فهم المرسلون ومن الانبياء المختلف في نبوته وعدهم أبو البقاء

الحج أو بصرنا بها (١) منهم أى من انفسهم وقد استجيب دعاؤه فلذلك قال رسول الله انا دعوة أبي ابراهيم (٢) الحكمة الشريعة وبيان الاحكام (٣) يذكهم يطهرهم من الشرك وسائر الانجاس . (٤) ما نقله عن السهيلي فمن كتابه الروض الأثف

في كلياته فقال (والمختلف في نبوتهم نيف وعشرون لقمان وذو القرنين والخضر وذو الكفل وسام وطالوت وعزير وتبع وكالب وخالد بن سنان وحنظلة بن صفوان والاسباط وهم أحد عشر وحواء ومريم وأم موسى وسارة وهاجر وآسية — ولم يشتهر عن مجتهد غير الشيخ أبي الحسن الأشعري القول بنبوة امرأة والواحد لا يخرق الاجماع على انه تعالى لم يستنبى امرأة بدليل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا) ولنتكلم على العرب منهم وهم تبع وخالد بن سنان وحنظلة بن صفوان فنقول

اما تبع فهو لقب ملك اليمن لا يلقب به حتى يملك اليمن والشجر وحضر موت ولا أدري أى التبابعة المختلف في نبوته أهو الرائي وهو تبع الأول أو ابو كرب تبان اسعد (١) وهو تبع الآخر أو غيرهما . وتبع الآخر هو الذى عمر البيت الحرام وكساه وجعل طريقه حين أقبل من المشرق على المدينة فر بها ولم يهجع اهلها وخلف بين أظهرهم ابنه فقتل غيلة فقدمها وهو مجمع على خرابها واستئصال اهلها وقطع نخلها فقال له أحد اخبار اليهود من اهلها . الملك أجل من أن يطير به نزع أو يستخفه غضب وأمره اعظم من أن يضيق عما حمله أو نحرم صفحه مع أن هذا البلد مهاجر نبي يبعث بدين ابراهيم فاعتقد صدقه وتهود وادخل اليهودية بلاد اليمن وكان دينهم الوثنية

وأما خالد بن سنان بن غيث العبسى فذهب بعضهم الى انه كان مؤمنا ولم يكن نبيا والكثيرون على نبوته قال الحلبي في سيرته قال بعضهم لم يكن في بنى اسماعيل نبي غير خالد بن سنان قبل محمد الا انه لم يبعث بشريعة مستقلة بل بتقرير شريعة عيسى وكان بينه وبين عيسى ثلاثمائة سنة وخالد هذا هو الذى اطفأ النار التى خرجت بالبادية بين مكة والمدينة كادت العرب تعبيدها كالجوس كان يرى ضوءها من مسافة ثمان ليال وربما كان يخرج منها العنق فيذهب في الارض فلا يجد شيئا الا أكله فأمر الله تعالى خالد بن سنان باطفائها (١) تبان اسعد اسمان جعل اسمها واحدا فان شئت أضفت كما تضيف معدى كرب وان شئت جعلت الاعراب في الاسم الآخر

وكانت تخرج من بئر ثم تفتش فلما خرجت وانتشرت أخذ خالد يضربها ويقول
بدا بدا (١) كل هدى (٢) وهي تتأخر حتى نزلت الى البئر وهو خلفها
فوجد كلاباً تحتها فضربها وضرب النار حتى اطفأها . وقيل انه كان السبب في
خروجها . فانه لما دعا قومه كذبوه وقالوا له انما نخوفنا بالنار فان نسل علينا هذه
الحرة ناراً اتبعناك فتوضأ ثم قال اللهم اذ قومي كذبوني ولم يؤمنوا بي الا
أن تسيل عليهم هذه الحرة ناراً فأرسلها عليهم ناراً فخرجت فقالوا يا خالد
ارددها فأنا مؤمنون بك فردها قيل وكان خالد بن سنان اذا استسقى يدخل
رأسه في جيبه فيجئ المطر ولا يقلع الا أن يرفع رأسه روى ان ابنته قدمت
وهي عجوز على النبي فأكرمها وبسط لها رداءه وقال مرحباً بابنته اخي مرحباً
بابنة نبي ضيعه قومه فأسمت (٣) وهذا الحديث مرسل رجاله ثقات وفي
البخارى أنا اولى الناس بابن مريم في الدنيا والآخرة وليس بي وببي وببي
(٤) قال بعضهم وبه يرد على من قال كان بينهما خالد بن سنان . وقد يقال
مراده صلى الله عليه وسلم بالنبي الرسول الذي يأتي بشريعة مستقلة وحينئذ
لا يشكل هذا لما علمت انه لم يأت بشريعة مستقلة

وأما حنظلة بن صفوان فحكى الحلبي ان الله ارسله لاصحاب الرس بعد
خالد بن سنان بمائة سنة والرس كما في القاموس وشرحه البئر المطوية بالحجارة
وقيل القديمة سواء طويت أم لا ومنه ما في الاساس وقع في الرس أي بئر لم
تطو « سموا بذلك لانهم قبلوا حنظلة ودسوه فيها فغار ماؤها وعطشوا بعد
ريهم ويديست اشجارهم وانقطعت ثمارهم بعد ان كان ماؤها يرويههم ويكفي
أرضهم جميعاً وتبدلوا بعد الألس الوحشة وبعد الاجتماع الفرقة

(١) روى ابن عباس ان العرب سمت هذه النار بداً (٢) في تاريخ
ابن الاثير ان خالداً توسط النار وضربها بعصاه ففرقها وهو يقول بداً بداً
كل هاد مؤد الى الله الأعلى لادخنها وهي تلظى ولا خرجن منها وثيابي تندي
(٣) يروي بعضهم ان البنت التي جاءت الرسول ليست بنته الصليبية
بل كانت من ذريته ونسله (٤) قيل كان خالد نبياً قبل عيسى

✽ الحرم ومكاته عند العرب ✽

الحرم مكة وما حوالها مما يحرم صيده وقطع شجره وحشيشه وغير ذلك
وحدود الحرم من مكة تختلف قرباً وبعداً فيحد من جهة المدينة بثلاثة أميال
ومن جهة اليمن والعراق والطائف بسبعة أميال ومن جهة جدة بعشرة أميال
ومن جهة الجعرانة بتسعة أميال وللحرم علامات منصوبة * حكى في الروض
المعطار عن الزبير أن أول من وضع علامات الحرم ونصب العمدة عليه عدنان
ابن أد خوفاً من أن تدرس معالم الحرم أو تتغير . ومقتضاه أنها موضوعة
قبل ذلك وهو الحق فإنها من صنع إبراهيم الخليل ومن ذكر ذلك السيوطي
في كتابه الفلك المشحون حيث قال « وأول من نصب انصاب الحرم إبراهيم
ال خليل وكان جبريل يريه مواضعها ثم لم تحرك حتى كان قصي فجدها ثم لم
تحرك حتى كان رسول الله فبعث عام الفتح تميم بن أسيد الخزاعي فجدها ثم
لم تحرك حتى كان عمر بن الخطاب فبعث أربعة من قريش كانوا ينتدرون في
نواديها فجددوا انصابه وهم مخزومة بن نوفل وأبو هود سميد بن يربوع المخزومي
وحويطب ابن عبد العزى وأزهر بن عوف الزهري حتى كان عثمان بن
عقاف فبعث على الحجيج عبد الرحمن بن عوف وأمره أن يجدد انصاب الحرم
فبعث عبد الرحمن نقرأ من قريش منهم حويطب بن عبد العزى وعبد الرحمن
ابن أزهر وكان سميد بن يربوع قد ذهب بصره في خلافة عمر وذهب بصر
مخزومة بن نوفل في خلافة عثمان فكانوا يجددون انصاب الحرم في كل
سنة فلما ولي معاوية كتب الى مكة فأمر بتجديدها ثم لما حج عبد الملك بن
مروان أرسل الى أكبر شيخ يعلمه من خزاعة وشيخ من قريش وشيخ من
بنى بكر وأمرهم بتجديد انصاب الحرم ، وقال النووي في شرح المذهب ان
تلك الانصاب لا تزال الآن ثابتة في جميع جوانبه الا من جهة جدة وجهة
الجعرانة فليس فيهما انصاب

وقد جعل الله مكة وما حوالها حرماً آمناً يتخطف الناس من حوله

واختلف في حرمتها على قولين (الاول) انها صارت حرماً بسؤال ابراهيم (رب اجعل هذا بلداً آمناً) يعنى مكة وما حواليتها فأجاب الله سؤاله ويعاضده رواية أبي هريرة عن رسول الله انه قال ان ابراهيم كان عبد الله وخليله واني عبد الله ورسوله وان ابراهيم حرم مكة واني حرمت المدينة ما بين لايتيها اعضاها وصيدها ولا يحمل بها سلاح لقتال ولا يقطع بها شجر الا لعلف بعير « والقول الثاني » انها كانت منذ وجدت حرماً آمناً من الجبابرة والمتسلطين ومن الخسف والزلازل وانما سأل ابراهيم ربه أن يجعل حرمة آمناً من الجذب والقحط وأن يرزق اهله من الثمرات ويؤيده ما روى عن أبي شريح الخراعى أن النبي لما افتتح مكة قام خطيباً فقال أيها الناس ان الله سبحانه حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى يوم القيامة لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمماً أو يعضد (١) بها شجراً وانها لا تحل لأحد بعدى ولم تحل لى الا هذه الساعة غضباً على أهلها ألا وهى قد رجعت على حالها بالأمس الا ليبلغ الشاهد الغائب فمن قال رسول الله قتل بها فقولوا ان الله تعالى قد أحلها لرسوله ولم يحلها لك

وكانت العرب على دين أبيهم ابراهيم في ذلك فكانوا لا ينفرون صيد الحرم ولا يؤذونه قال عمرو بن الحارث بن مضا

فسحت دموع العين تبكى لبلدة	بها حرم أمن وفيها المشاعر
وتبكى لبیت ليس يؤذى حمامه	تظل به أمنا وفيه العصافر (٢)
وفيه وحوش لا تزال أنيسة	اذا خرجت منه فليست تغادر

وقال النابغة الذبياني

والمؤمن العائذات الطير تسمحها ركبان مكة بين الغيل والسعد (٣)

(١) العضد القطع (٢) تظل به أمنا أى ذات أمن ويجوز أن يكون أمنا جمع آمن مثل ركب جمع راكب وأراد العصافير وحذف الياء ضرورة ورفعها على المعنى أى وتأمين فيه العصافير (٣) اقسام بالله الذى أمن (العائذات)

ماقلت من سيئ مما أتيت به اذا فلا رفعت سوطي الى يدي
وكانوا يؤمنون ساكن الحرم محسناً أو مسيئاً ولذلك قال الزبيدي في العاص
ابن وائل لما اغتصبه ماله يستحث الناس على انصافه منه وتخويفه وان كان
مقيماً في الحرم

ان الحرم لمن تمت كرامته ولا حرام لثوب الفاجر الغدر
ويرون مكة بلداً لقاحاً لا تؤدي اتاوة ولا تدين للملوك وهي كذلك ولذلك
سمى بيت الله بالبيت العتيق لانه لم يزل حراً ولم يملكه أحد

قال الزبرقان بن بدر لرجل من بني عوف هجأ أبا جهل وتناول قريشاً
أتدري من هجوت أبا حبيب جليل خضارم سكنوا البطاحا (١)
وزاد الركب تذكر ام هشاماً وبيت الله والبلد اللقاحا (٢)
روى الزبير أن عثمان بن الحويرث قدم على قيصر في الجاهلية فتوجه
وولاه أمر مكة فلما جاءهم بذلك أنقوا من أن يدينوا للملك وصاح الاسود
ابن أسد بن عبد العزى الا أن مكة حى لقاح لا تدين لملك فلم يتم له مراده
وكانوا يجرمون غزو الحرم والقتال فيه وشاهده قول حرب بن أمية لأبي
مطر الحضرمي يدعوه الى حلفه ونزول مكة

أبا مطر هلم الى صلاح فتكنف كالندامي من قريش (٣)

وهي الحديثة النتاج من الحيوانات جمع عائذة و (تمسحها ركبان مكة) أى
تمسح عليها ولا تهيجها بأخذ و (الغيل) بكسر الغين و (السعد) أجمتان كانتا
منافع ما بين مكة ومنى (١) الخضارم جمع خضرم وهو الجواد المعطاء
و (البطاح) جمع أبطح وهو مسيل واسع فيه دفاق الحصى
(٢) و (أزواد الركب) مسافر بن أبي عمرو وزمعة بن الاسود وأبو أمية
ابن المغيرة لانه لم يكن يتزود معهم أحد في سفر يطعمونه ويكفونه الزاد
و (هشام) هو ابن المغيرة اعظمته قريش حتى أركخوا بموته
(٣) صلاح اسم من اسماء مكة و (تكنف) أى تصير فى حرز

وتأمن وسطهم وتعيش فيهم أبا مطر هديت لخير عيش
وتسكن بلدة عزت قديما وتأمن أن يزورك رب جيش
وقول خدش بن زهير في يوم من أيام الفجار لما اقتتلوا ففرت قريش
الى الحرم وقد دخل الليل

ياشدة ما شدنا غير كاذبة على سخينة لولا الليل والحرم (٢)
وكانوا يكرهون الظلم في الحرم وشاهده قول رجل من جرهم ينهى عمرو
ابن لحي لما ظلم بمكة

يا عمرو لا تظلم بمكة انها بلد حرام
وقول سبيعة بنت الأجب (٣) بن زينة تنهى ابنها خالد بن عبد مناف
عن الظلم في الحرم وتعظم حرمة مكة

ابنى لا تظلم بمكة لا الكبير ولا الصغير
واحفظ محارمها ولا يغرك بالله الغرور
ابنى من يظلم بمكة يلق أطراف الشرور
ابى يضرب وجهه ويلج بخديه السعير
ابنى قد جربتها فوجدت ظالمها يبور
والله أمنها وما بذيت بعرضتها قصور
والله أمن طيرها والعصم تأمن في ثبير

وقد بلغ احترامهم للحرم انهم كانوا ينزلونه نهارا ولا يبيتون فيه ليلا .
واذا نزل أحدهم نهارا وأراد قضاء حاجة الانسان خرج الى الحل تنزيها له
ولا يبنون فيه باء ولقد مر عليك قول سبيعة بنت الاجب
والله أمنها وما بذيت بعرضتها قصور

(٢) سخينة لقب تعير به قريش لاتخاذها اياها وهى طعام رقيق يتخذ
من دقيق (٣) قال سيديويه الأجب بالحاء المهملة يقوله أهل النسب
وأبو عبيدة يقوله بالجيم

وانما كانوا اذا نزلوا في الحرم ينزلون في العريش وكانت العمالة وجرم حين ولايتهم الحرم يذتجمعون جبال مكة وأوديتها ينزلون بها وكانت خزاعة حين ولايتها على الحرم تنزل بطن مر فاما كانت ولاية الحرم لقريش في قصي ابن كلاب بن دار الندوة وهي أول دار بنيت بمكة وجعل بابها جهة البيت وأمر قريشاً أن يبنوا بيوتهم في الحرم حول الكعبة لتهابهم العرب ولا تستحل قتلهم فبنوا حول البيت وجعلوا أبواب بيوتهم جهته لكل بطن منهم باب ينسب اليه كباب بن شيبه وباب بن سهم وباب بن مخزوم وباب بن جهم وتركوا قدر الطواف قال المبرد في الكامل ثم عزت قريش بعد ذلك بهذا الجوارحى كان يقال يكفيك من قريش انها أقرب الناس من بيت الله بيتا وكان يقال لدار أسد بن عبد العزى رضيع الكعبة لانها كانت تنف على الكعبة صباحاً وتنفي على الكعبة عشياً وان الرجل من ولد أسد ليطوف بالبيت فينقطع شسع نعله فيرمى به في منزله فيصلح له فاذا عاد في الطواف رمى بها اليه وفي ذلك يقول الشاعر

لهاشم وزهير فضل مكرمة بحيث حلت نجوم الكعبش والاسد
مجاور البيت ذى الاركان بينهما مادونهم في جوار البيت من أحد
قالوا وقد سميت بمكة لانها لا تقر طلدا ولا بغيا ولا يبنى فيها أحد الا
مكته وأخرجنه وقد روى الاصمعي فول الراجز في تلبيته

يا مكة الفاجر مكى ولا تمكى مدحجا وعجا
وكانت اسمى أيضا بالناسة لانها نفس من ألحد فيها أى تطرده وتنفيه
وبالناسة لانها تبس من ألحد فيها أى تحطمه وتهلكه ومنه قوله تعالى وبست
الجبال بساً

واقعد كان اجتناب الظلم في الحرم شريعة عامة وديننا متبعاً وان حصل
اعتداء على النفس أو المال فنادر كما آذى كفار قريش زيد بن عمرو بن نفيل
في مكة لما طرح عبادة الاصنام كراهة أن يفسد عليهم دينهم فقال وهو يعظم
حرمة علي من استحل منه ما اسنحل من قومه

لا هم انى محرم لاحله (١) وان بيتى أوسط المحلة (٢)

عند الصفا ليس بذى مضله

ومن ذلك أيضا ما روى أن قيس بن شيبه السلمي باع متاعا من أبي بن

خلف فلواه بحقه فاستجار برجل من بني جمح فلم يقيم بجواره فقال

يال قصى كيف هذا في الحرم وحرمة البيت واعلاق الكرم

أظل لا يمنع منى من ظلم

فبلغ الخبر العباس بن مرداس السلمي فقال

ان كان جارك لم تنفعك ذمته وقد شربت بكأس الغل أنفاسا (٣)

فأت البيوت وكن من اهلها صددا لا يلق ناديهم خشا ولا باسا (٤)

وتم كن بفناء البيت معتصما تاق ابن حرب وتلق المرء عباسا

قرمى قريش وحلا في ذؤابنها بالمجد والحزم ما حازا وما ساسا (٥)

ساقى الحجيج وهذا ياسر فلج والمجد يورث أخماسا وأسداسا

وما زالت تقع بالحرم مظالم بين حين وآخر سببها أما الطيش والحقاقة واما

الاعتماد على القوة

(حلف الفضول)

لقد أدرك بعض العملاء ان ما كان يقع من المظالم في الحرم لو لم ينف

الحق في سبيلها وترد الحقوق لأصحابها لسقطت هيبة الحرم من نفوس العرب

واعندى على سكان البلد الحرام فتكلموا في ذلك ثم نهضوا على نصرة المظلوم

على الظالم وسموه حلف الفضول . فكان في الحقيفة حلقة سياسيا اجتماعيا

عادت فائدته على قريش خاصة وعلى العرب عامة ودفعهم لعقده أيضا الدين

بحافة ان يعاقبهم الله على البغى في الحرم

(١) محرم ساكن في الحرم (٢) المحلة المنزل (٣) الدمه بالكسر العهد

والغل الحقد (٤) كن صدد البيوت أى قبالتها وقربها (والفحش) عدوان

الجواب و (البأس) العذاب (٥) (القرم) السيد (والذؤابة) من العز

والشرف وكل شيء أعلاه

أما العدوان الذي كان سبباً مباشراً لهذا الحلف فهو ما روى أن رجلاً من بني ربيد قدم مكة معتمراً في الجاهلية ومعه تجارة له فاشتراها منه العاص بن وائل السلمي وكان ذا قدر بمكة وشرف فحبس عنه حقه ثم تغيب فابتغى الزبيدي متاعه فلم يقدر عليه فجاء إلى بني سهم يستعديهم عليه فعرف أن لا سبيل إلى ماله فطوف في قبائل قريش يستعين بهم فتخاذلت القبائل عنه وانتهره إلا حلاف عبد الدار ومخزوم وجميع وسهم وعدى وكعب . فلما رأى الزبيدي الشر أوفى على أبي قبيس عند طلوع الشمس وقد أخذت قريش مجالسها حول الكعبة وصاح بأعلى صوته

يا آل فهر لمظلوم بضاعنه ببطن مكة نأى الدار والنفر
ومحرم اشعث لم يقض عمرته يا آل فهر وبين الحجر والحجر
اقائم من بني سهم بذمتهم ام ذاهب في ضلال مال معتمر
ان الحرام لمن تمت كرامته ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب وحلف ليعقدن حلفاً بينه وبين بطون من قريش يسمون القوي من ظلم الضعيف والقاطن من ظلم الغريب وقال

حافت لنعقدن حلفاً عليهم وان كنا جميعاً أهل دار
نسميه الفضول اذا عقدنا يعزبه الغريب لدى الجوار
ويعلم من حوالى البيت انا أباً الضيم نمنع كل عار

ثم قال الزبير ما لهذا مترك يا قوم انى والله لأحشى أن يصينا ما أصاب الأمم السالفة من سأكنى مكة ومشى إلى عبد الله بن جدعان التيمي وهو يومئذ شيخ قريش فاخبره بظلم بني سهم وقد كان أصاب بني سهم أمران ظنونهما للبغي . أحدهما احتراق المقاييس منهم . وهم قيس ومقيس وعبد قيس بصاعقة . وثانيهما ان ركبا منهم أقبلوا من الشام فنزلوا بماء يقال له القطيعة وصبوا فضلة خمر لهم في اناء فشربوا ثم ناموا وقد بقيت منهم بقية فكرع منها حية أسود ثم تقيأ في الاناء فهب القوم فشربوا منه فماتوا عن آخرهم فأذكره الزبير هذا ومثله واجتمعت كلمة بني هاشم وبني اسد

ابن عبد العزى (١) وبنى زهرة وبنى تيم بن مرة فى دار عبد الله بن جدعان فصنع لهم طعاما وتحالفوا وكانت حرب الفجار فى شعبان وحلف الفضول بعدها فى ذى القعدة قبل مبعث رسول الله بعشرين سنة (٢) فتحالفوا فى شهر حرام قياما يتماسحون بأكفهم وتعاهدوا بالله ليكونن يدا واحدة على ألا يظلم بمكة غريب ولا قريب ولا حر ولا عبد حتى يأخذوا له بحقه ويكونوا جميعا مع المظلوم على الظالم حتى يؤدوا اليه مظلمته ممن ظلمه شريفا أو وضيعا منهم أو من غيرهم أو يبلغوا فى ذلك عذرا وعلى ألا يتركوا لأحد عند أحد فضلا إلا أخذوه وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما بل بحر صوفة ومارسى حراء ونبير مكانهما وعلى التأسى فى المعاش والتساهى بالمال ثم عمدوا الى ماء زمزم فجعلوه فى جفنة وبعثوا به الى البيت فغسلت به أركانه ثم أتوا به فشر به ثم انطلقوا الى العاص بن وائل فقالوا والله لا نفارقك حتى تؤدى اليه حقه فاعطى الرجل حقه فكشوا كذلك لا يظلم أحد بمكة إلا أخذوا له حقه . ولم يكن لعبد شمس فيه نصيب حتى قال عتبة بن ربيعة ابن عبد شمس لو ان رجلا وحده خرج من قومه لخرجت من عبد شمس حتى أدخل فى حلف الفضول ولقد شهدته رسول الله فعن عائشة أنها سمعت النبي عليه الصلاة والسلام يقول لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلف الفضول . أما لو دعيت اليه اليوم لأجبت . وما أحب ان لى به حمر البعير وانى نقضته وفيه يقول الزبير بن عبد المطلب

ان الفضول تحالفوا وتعاقدوا الا يقيم بيطن مكة ظالم (٣)

أمر عليه تعاهدوا وتواثقوا فالجار والمعتز فيهم سالم (٤)

(١) تابعنا ابن أبى الحديد فى شرحه لنهج البلاغة وروى الاغانى عن محمد بن فضالة عن أبيه قال لم يكن بنو أسد بن عبد العزى فى حلف الفضول (٢) فى رواية انه صلى الله عليه وسلم يومئذ كان ابن خمس وعشرين سنة (٣) الفضول هم القبائل التى عقدت هذا الحلف (٤) المعتز الفقير والمتعرض للمعروف من غير ان يسأل

وسبب تسميته بذلك ان قريشا لما تكلموا في عقده قال المطيبون والله
لئن تكلمنا في هذا ليغضبنا الاحلاف وقال الاحلاف والله لئن تكلمنا في
هذا ليغضبنا المطيبون . وقال اس من قريش تعالوا فليكن حلفا فضولا دون
المطيبين ودون الاحلاف وقيل انما سمي بذلك لأن قريشا قالوا والله لقد دخل
هؤلاء في فضل من الامر . ونقل السهيلي سبب هذه التسمية عن ابن قتيبة فقال
كان قد س في قريشا الى مثل هذا الحلف جرهم في الزمن الأول فتحالف منهم
ثلاثة ومن بينهم أحدهم الفضل بن فضالة والثاني الفضل بن وداعة والثالث
فضيل بن الحارث هذا قول القتيبي . وقال الزبير الفضيل بن شراعة والفضل
ابن وداعة والفضل بن قضاة . فلما أشبه حلف قريش الآخر فعل هؤلاء
الحرميين سمي حلف الفضول والفضول جمع فضيل وهي أسماء أولئك الذين
تقدم ذكرهم وهذا الذي قاله ابن قتيبة حسن ولكن في الحديث ما هو
أقوى منه وأولى وهو ما رواه الحميدي عن سفيان عن عبد الله عن محمد
وعبد الرحمن بن أبي بكر قال قال رسول الله صلى عليه وسلم لقد شهدت
في دار عبد الله ابن جدعان حلفا لو دعيت به في الاسلام لأجبت . تحالفوا
ان ترد الفضول على أهائها والا بعز طالم مظلوما فقد بين هذا الحديث لم سمي
حلف الفضول

وكان هذا الحلف أكرم حلف في العرب وأشرفه لوفرة منافعه جاهلية
واسلاما . فقد رد العدل الى نصابه في كثير من الحوادث .
في أنار تفعه في الجاهلية ما ذكره قاسم بن ثابت في غريب الحديث ان
رحلا من خثعم قدم مكة معتمرا أو حاجا ومعه بنت له يقال لها القتل من أوضاً
نساء العالمين ما غنصها منه نبيه بن الحجاج وغيبها عنه فقال الخثعمي من يعديني
على هذا الرجل فليل له عليك يحلف الفضول فوقف عند الكعبة ونادى
يا حلف الفضول فاذا هم يعنقون اليه من كل جانب وقد انتضوا اسيا فهم
يقولون جاءك الغوث فما لك فقال ان نبيها ظلمني في ابنتي وانزعها مني قسراً
فساروا معه حتى وقفوا على باب الدار فخرج اليهم فقالوا أخرج الجارية

ويحك فقد علمت من نحن وما تعاقدنا عليه فاخرجها اليهم
ومن ذلك ما في الاغانى أن رجلا من ثمالة قدم مكة فباع سلعة له من
أبي بن خلف الجهمجي فظلمه وكان يسمى المخالطة فأتى الثمالي الى أهل حلف
الفضول فاخبرهم فقالوا له اذهب فاخبره انك أتيتنا فان اعطاك حقك والا
فارجم | الينا فأتاه فاخبره بما قال له أهل حلف الفضول فأخرج له ماله واعطاه
اياهم بعينه وقال الثمالي في ذلك

اياخذنى فى بطن مكة ظلما أبى ولا قومي لدى ولا صحبى
وناديت قومي صارخا لتجيبنى وكم دون قومي من فياف ومن سهب
ويا أبى لكم حلف الفضول ظلامتى بنى جمع والحق يؤخذ بالغصب
ولقد قطع الاسلام ما كان فى الجاهلية من قولهم يا فلان عند التحزب
حتى لقد سمع رسول الله يوم المريسيع رجلا يقول يا للمهاجرين وآخر يقول
يا للانصار . فقال دعوها فانها منتنة لان الله جعل المؤمنين أخوة فلا يقال
الا يا لله ويا للمسلمين وجاز يا لحلف الفضول خصوصية له لقوله عليه السلام
ولو دعيت به اليوم لأجبت يريد لو قال مظلوم ذلك لأجبت وذلك لان
الاسلام انما جاء باقامة الحق ونصرة المظلوم فلم يزد به هذا الحلف الا قوة
وليس المراد بقوله عليه السلام وما كان من حلف فى الجاهلية فلن يزيده
الاسلام الا شدة أن يقول الحليف يا فلان لملفائه فيجيبوه بل الشدة فى
الحديث ترجع لمعنى التعاطف والتواصل

ولقد هم الحسين بن على بن أبى طالب بان يهتف به فلقد روى انه كان
بينه وبين الوليد بن عتبة بن أبى سفيان أمير المدينة من قبل معاوية منازعة
فى مال كان بينهما بذى المروة فتحامل الوليد على الحسين فى حقه لسلطانه
فقال له الحسين احلف بالله لتنصفنى من حقى أو لا آخذن سبى ثم لا أقوم
فى مسجد رسول الله ثم لا أدعون بحلف الفضول وكان عبد الله بن الزبير عند
الوليد حينئذ فقال . وأنا احلف بالله لأن دعا به لا آخذن سبى ثم لا أقوم
معه حتى ينصف من حقه أو نموت جميعا . وبلغت المسور بن مخرمة بن نوفل

الزهرى وعبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي فقالا مثل ذلك . فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضى . ومن ذلك ما فى الاغانى أن الحسين بن على كان بينه وبين معاوية كلام فى ارض له فخرج مغضباً من عنده فلحق عبد الله بن الزبير فذكر له الحسين أن معاوية ظلمه حقه . وقال أخيره فى ثلاث خصال والرابعة الصيلم (١) أن يجعلك أو ابن عمر بينى وبينه . أو يقر بحقى ثم يسألنى فأهبه له أو يشتريه منى . فان لم يفعل فوالذى نفسى بيده لا أهتفن بحلف الفضول . قال ابن الزبير : والذى نفسى بيده لئن هتفت به وأنا قاعد لأقومن أو قائم لأمشين أو ماش لاشتدن حتى يفنى روحى مع روحك أو ينصفك قال ثم ذهب ابن الزبير الى معاوية فقال لقينى الحسين نخيرك فى ثلاث خصال والرابعة الصيلم قال معاوية . لا حاجة لنا بالصيلم انك لقيته مغضباً فهات الثلاث . قال تجعلنى أو ابن عمر بينك وبينه قال . قد جعلتك بينى وبينه أو ابن عمر أو جعلتكما قال . أو تقر له بحقه وتسأله اياه قال أنا أقر له بحقه واسأله اياه . قال أو تشتريه منه قال . وأنا اشتريه منه قال فلما انتهى الى الرابعة قال لمعاوية كما قال للحسين لودعانى الى حلف الفضول لأجبتة . فقال معاوية لا حاجة لنا بهذا

بناء الكعبة وكسوتها

أول من بنى الكعبة ابراهيم عليه السلام ذكر صاحب الروض المعطار ان ابراهيم بناها ولم يجعل لها سقفا ثم انهدمت فبنتها العمالة ثم انهدمت فبنتها جرهم (٢) ثم انهدمت فبناها قصى بن كلاب وسقفها بخشب الدوم وجريد النخل وجعل ارتفاعها خمسا وعشرين ذراعاً . وفى بناء جرهم وقصى لها يقول اعشى قيس

(١) الصيلم الامر الشديد والداهية (٢) قال السهيلي : وقد قيل انه بنى فى أيام جرهم مرة أو مرتين لان السيل كان قد صدع حائطه . ولم يكن ذلك بنيانا انما كان اصلاحاً لما وهى منه وجدارا بنى بينه وبين السيل بناء عامر الجارود

حلفت بثوبى راهب الشام والتي بناها قصي وحده وابن جرهم
ثم بنتها قريش وشهد رسول الله بناءها وعمره خمس وعشرون سنة .
وكان بابها في الارض فقال أبو حذيفة بن المغيرة . يا قوم ارفعوا الباب حتى
لا يدخل الا بسلم فانه لا يدخلها حينئذ الا من أردتم فان جاء أحد ممن
تكرهون رميتم به فيسقط فكان نكالا لمن رآه ففعلت قريش ذلك . ولما
أجمعت قريش أمرها على هدمها وبنائها قال أبو وهب بن عمرو بن عائذ
المخزومي . يا معشر قريش لا تدخلوا في بناءها من كسبكم الا طيبا لا يدخل فيه
مهر بنى ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس (١)

وهدموها حتى انتهى بهم الهدم الى أساس ابراهيم ورأوا ان ما أخرجوا
من النفقة لا يكفي للبناء فاجمعوا أمرهم على ان يبنوا من البيت على أساس
ابراهيم بقدر ما أخرجوا من النفقة ويتركوا بقيته في الحجر عليه جدار مدار
يطوفون من ورائه فتركوا من شمال البيت ست أذرع وشبرا وبنوا أساسا
في بطن الكعبة يبنون عليه وشرعت القبائل في بنائها حتى اذا بلغ البنيان
موضع الركن وهو الحجر الأسود اختصموا . كل قبيلة تريد أن تضعه موضعه
حتى تحالفوا وأعدوا للقتال عدته ثم اتفقوا على ان يحكموا أول من يدخل
من باب المسجد فكان رسول الله فلما رأوه قالوا هذا الأمين رضيناها هذا
محمد وأخبروه خبرهم فدعا عليه السلام بثوب فأتى به ثم قال لتأخذ كل قبيلة
بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا حتى اذا بلغوا به موضعه أخذته
بيده الشريفة فوضعه موضعه (٢) ثم بنى عليه ولم تزل على بنائها الى أن
تولى عبد الله بن الزبير أمر مكة في زمن يزيد بن معاوية فأرسل يزيد
اليه الحصين بن نمير في عسكر كثيف من أهل الشام فالتجأ ابن الزبير
للمسجد فرماه الحصين بالمنجنيق فأصاب مقدوفه الكعبة فهدمها وحرق

(١) فيه دليل على حرمة الزنا والربا والظلم عليهم يعلمون ذلك ببقية من
بقايا شرع ابراهيم (٢) حكى الزبير بن أبي بكر ان الذي وضع الركن في بناء
عبد الله بن الزبير ابنه حمزة اغتتم فرصة شغل الناس بالصلاة خلف أبيه في

كسوتها وبعض خشبها ثم مات يزيد وانصرف جنده فهدمها عبد الله بن الزبير وبنائها على قواعد ابراهيم وكسا بابها بصفائح الذهب وجعل مفاتيحها من الذهب وأدخل الحجر فيها وجعل لها بابين ملصوقين بالارض شرقيا وغربيا يدخل من واحد ويخرج من الآخر وذلك لما حدثته به عائشة أم المؤمنين عن رسول الله انه قال « الم ترى قومك حين بنوا الكعبة اقتعصروا عن قواعد ابراهيم حين عجزت بهم النفقة ثم قال عايه السلام لولا حدثان عهد قومك بالجاهلية لهدمتها وجعلت لها خلفاً (١) والصقت بابها بالارض وأدخلت فيها الحجر » وكان فراغه من بنائها في السابع عشر من شهر رجب سنة أربع وستين

فلما تولى عبد الملك بن مروان أرسل لابن الزبير جيشاً وعلى رأسه الحجاج ابن يوسف فحاصره في مكة حتى استشهد سنة ثلاث وسبعين فدخل الحجاج مكة وكتب لعبد الملك بما صنعه ابن الزبير في الكعبة فقال لسنا من تخطيط أبي خبيب (٢) بشيء وأمره ان يعيدها الى ما كانت عليه زمن رسول الله فهدم من جانبها الشامي الشمالي ست أذرع وشبرا وبني على أساس قريش ورفع الباب الشرقي وسد الغربي ولم يغير من باقيها شيئاً فلما فرغ من بنائها قدم على عبد الملك الحارث بن أبي ربيعة المعروف بالقباع وهو أخو عمر ابن أبي ربيعة ومعه رجل آخر فحدثاه حديث عائشة المتقدم فندم وجعل ينكت الارض بمخصرة في يده ويقول « وددت اني تركت أبا خبيب وما تحمل في ذلك »

فلما تولى أبو جعفر المنصور أراد أن يبنيتها على ما بناها ابن الزبير وشاور في ذلك فقال له مالك بن أنس . أنشدك الله يا أمير المؤمنين ألا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك بعدك لا يشأ أحد منهم أن يغيره الا غيره فتذهب المسجد فوضعه حين أحس منهم التنافس في ذلك وخاف الخلاف فأقره أبوه (١) خلفاً أي باباً آخر من خلفها (٢) أبو خبيب كنية عبد الله بن الزبير تسكني باسم ولده خبيب

هيئته من قلوب الناس فصرفه عن ذلك فالكعبة الى اليوم حائطها الشمالى من بناء الحجاج وباقى حوائطها من بناء ابن الزبير

أما كسوتها فقد كسيت فى الجاهلية من زمن قديم اعظاماً لها وأول من كساها تبع الآخر وهو تبارك أسعد المتقدم ذكره عند الكلام على المختلف فى نبوتهم من العرب روى انه قدم مكة فطاف بالبيت ونحر عنده وحلق رأسه وأقام بها ستة أيام ينحر للناس ويطعم أهلها ويسقيهم العسل المصفى وأرى فى المنام أن يكسو البيت فكساه الخصف (١) ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه الثياب المعافريه (٢) . ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه الملاء والوصائل (٣) قال ابن هشام (واوصى بالبيت ولاته من جرم وأمرهم بتطهيره والا يقربوه دمماً ولا ميتة ولا مثالة وهى المحائض (٤) وجعل له باباً ومفتاحاً) وقال فى كسوته

وكسونا البيت الذى حرم الله ملاء معضدا وبرودا (٤)
فأقمنا به من الشهر عشرا وجعلنا لبابه أقليدا (٥)
ونحرننا بالشعب ستة آلا فترى الناس نحوهن ورودا
ثم سرنا عنه ثؤم سهيلا فرفعنا لوأنا معقودا
وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تسبوا أسعد الحميرى فانه أول من كسا الكعبة

وقالت سبيعة بنت الاحب من قصيدة

(١) جمع خصفة وهى ثوب غايظ أو شئ ينسج من الخوص والايض
(٢) نسبة الى معافر بفتح الميم بلد أو ابو حى من همدان (٣) الوصائل ثياب حبرة من عصب اليمن سميت بذلك لأنها كانت يوصل بعضها ببعض واحدها وصيلة (٤) قال السهيلي لم يرد النساء الحيض لان حائضاً لا يجمع على محائض وانما هى جمع محيضة وهى خرقة المحيض (٥) المعضد كمعظم ثوب له علم فى موضع العضد (٦) الاقليد المفتاح .

ولقد غزاها تبع وكسا بنيتها الحبير (١)
 وأذل ربي ملكه فيها فأوفى بالندور
 يمشى اليها حافيا بفنائها الفا بعير
 ويظل يطعم أهلها لحم المهارى والجزور
 يسقيهم العسل المصفى والرحيض من الشعير (٢)

ثم كستها العرب بأنواع كثيرة روى عن ابن مليكة انه قال بلغنى أن الكعبة كانت تكسى فى الجاهلية كسى شتى وكانت البدن تجمل الحبر والبرود والأكسية وغير ذلك من عصب اليمن . وكان يهدى للكعبة هدايا من كسى شتى سوى جلال البدن حبر وخز وأنماط فتكسى منه الكعبة ويجعل مابقى فى خزانة الكعبة فاذا بلى منها شئ أخلف عليها مكانه ثوب آخر ولا ينزع منها شئ وعنه أيضا انه قال :

كانت قريش فى الجاهلية ترافد فى كسوة الكعبة فيضربون ذلك على القبائل بقدر احتمالها من عهد قصى بن كلاب حتى نشأ أبو ربيعة بن المغيرة بن عبد الله ابن عمرو بن مخزوم . وكان يختلف الى اليمن يتجر فيها فأثرى فى المال فقال لقريش انا أكسو الكعبة وحدى سنة وجميع قريش سنة فكان يفعل ذلك حتى مات يأتى بالحبر الجندية من الجند وهى بلدة باليمن فيكسو الكعبة فسمته قريش العدل (٣) لانه عدل بفعله فعل قريش . وعن ابن جريج أن الكعبة فيما مضى انما كانت تكسى يوم عاشوراء اذا ذهب آخر الحاج حتى كان بنو هاشم . فكانوا يعلقون القميص يوم الترويه (٤) من الديباج (٥) ليراهم الناس فى بهاء وجمال فاذا كان يوم عاشوراء علقوا عليها الأزار .

(١) غزاها طلبها وقصدها وتريد بالحبير الحبرات (٢) الرحيض من الشعير أى المثقى والمصفى منه (٣) فى الاغانى أن العدل هو عبد الله بن أبى ربيعة وقد قيل أن العدل هو الوليد بن المغيرة (٤) هو اليوم الثامن من ذى الحجة (٥) اختلف فى اول من كساها الديباج فقال الزبير النسابة انه عبد الله بن الزبير وحكى ابن اسحاق انه الحجاج لكن روى الدارقطنى أن تتيلا أم

وعن عمر بن الحكم . قال . نذرت أمي بدنة تنجرها عند البيت وجللتها شقتين من شعر ووبر فنحرت البدنة وسيرت للكعبة بالشقتين والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة لم يهاجر فنظرت الى البيت يومئذ وعليه كسي شتى من وصائل وأنطاع وكرار وخر ونمارق عراقية كل ذلك رأيت عليه وذكر ثياب البيت أبو طالب عمه عليه السلام في قصيدته الالامية المشهورة فقال

واحضرت عند البيت رهطى وأخوتي وأمسكت من أثوابه بالوصائل وأقر الاسلام ما كانوا عليه من كسوته فكساه النبي عليه السلام الثياب اليمانية ثم كساه عمر وعثمان ومعاوية والأُمويون وكان العباسيون يكسونها الحرير الأسود وينسجون كسوتها بطنيس احدى مدن مصر التي غفت ولما ضعفت شوكتهم صارت ترسل كسوتها من ملوك اليمن حيناً وحيناً من ملوك مصر ثم وقف على كسوتها الملك الصالح بن قلاوون قريتي بسوس وسند بيس بمديرية القلوية واستمرت مصر ترسلها من يومئذ الى الان في كل عام وكانوا في الجاهلية لا ينزعون من ثيابها شيئاً فعن ابن أبي مليكة انه قال . كانت على الكعبة كسي كثيرة من كسوة أهل الجاهلية من الأنطاع والأكسية والكرار والأنماط فكانت ركاباً بعضها فوق بعض فلما كسيت في الاسلام من بيت المال كان يخفف عنها الشيء بعد الشيء الى أن كانت أيام معاوية فكتب اليه شيبه بن عثمان الحجبي يرغب اليه في تخفيفها من كسي الجاهلية حتى لا يكون عليها شيء مما مسته أيديهم فكتب اليه معاوية أن يجردها وبعث اليه بكسوة من ديباج وقباطى وحبرة فجردها شيبه حتى لم يبق عليها شيء وكساها الكسوة التي بعث بها معاوية وقسم الثياب التي كانت عليها بين أهل مكة وكان ابن عباس حاضراً في المسجد فلم ينكر عليه ذلك ولا كرهه وانكرت عائشة قسمتها بين أهل مكة وقالت لشيبه العباس بن عبد المطلب كانت قد أضلت العباس صغيراً فنذرت ان هي وجدته أن تكسو الكعبة الديباج ففعلت ذلك حين وجدته

بمها واجعل ثمنها في سبيل الله

ثم لم تكن تجرد في كل عام حتى حج الخليفة المهدي العباسي سنة مائة وستين من الهجرة فشكا اليه سدة الكعبة كثرة الكساوى التي عليها فأمر بها فانزلت وأمر الا يعلق عليها الا كسوة واحدة فلم تزل كذلك الى الآن

تعظيم المعجم والعرب للكعبة

قد عظمت المعجم والعرب الكعبة فن تعظيم المعجم لها أن قدماء المصريين كانوا يسمون بلاد الحجاز بالبلاد المقدسة لمكان البيت منها . وكان الهنود يعتقدون أن روح شبوه أحد آلهتهم وهو الأ قنوم الثالث من تمثال بوذا قد تقمصت في الحجر الاسود حين زيارته بلاد الحجاز . وكان الفرس يعتقدون أن روح هرمز حلت في الكعبة . وذكر بعضهم أن اسلاف الفرس كانوا يحجون البيت الحرام ويطوفون به تعظيما لجدهم ابراهيم وتمسكا بهديه وحفظا لانسابهم لاعتقادهم انهم من نسل ابراهيم . قال المسمودي سميت زمزم لان الفرس كانت تحج اليها في الزمن الاول فزمزمت عليها - والزمزمة صوت تخرجه من خياشيمها . وقال غيره . وكان آخر من حج منهم ساسان بن بابك فأتى البيت وطاف به وزمزم على البئر وفي ذلك يقول الشاعر في القديم من الزمان

زمزمت الفرس على زمزم وذلك من سالتها الاقدم
والزمزمة كلام المجوس وقراءتهم على صلاتهم وطعامهم . وقد افتخر بعض شعراء الفرس في الاسلام فقال

وما زلنا نحج البيت قدما ونلقى بالاباطح آمينا
وساسان بن بابك سار حتى أتى البيت العتيق باصيدينا
وطاف به وزمزم عند بئر لاسماعيل تروى الشارينا

وقد خصها العرب بأنواع من الاحترام لانها بيت الله الحرام وبناء أيهم ابراهيم واسماعيل . فمنها انهم كانوا لا يبنون عندها بيوتا حتى صارت ولاية الحرم لقصى بن كلاب فبنى دار الندوة وأمر قريشا أن تبني بيوتها حوله

لتنابهم العرب لمكان البيت فامتلأوا أمره . و (كانوا) لا يرفعون بناءهم فوق
 بنائها تعظيماً لها . و (كانوا) يتحامون التربيع في البناء كيلا يشبهها وأول من
 بنى بيتاً مربعاً حميد بن زهير أحد بنى أسد بن عبد العزى كما في الحيوان للجاحظ
 لكن في صبح الاعشى ان أول من فعل ذلك هو بديل بن ورقاء الخزاعي
 و (كانوا) يخلعون نعالهم عند دخولها . وفي صبح الاعشى ان أول من
 خلع نعليه عند دخولها الوليد بن المغيرة . و (كانوا) يحلفون بها والشواهد
 على ذلك كثيرة منها قول زهير بن أبي سلمى

فاقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قریش وجرهم
 و (كانوا) يضمخون البيت في الجاهلية بلحوم الأبل ودمائها فلما جاء
 الاسلام قال أصحاب رسول الله فنحن أحق ان نضمخ فانزل الله تعالى لن
 ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم

ولقد اشترك اليهود والنصارى والمشركون في احترامها واتخذوها معبداً
 كل يعبد ربه فيه كما أمره دينه حتى صوروا بها المسيح والعذراء وصوروا بها
 ابراهيم واسماعيل وفي أيديهما الأزلام ووضعت كل قبيلة صنمها الذي تعبده
 عليها حتى اجتمع على سطحها ثلاثمائة وخمسة وستون صنماً وما زالت كذلك
 حتى بعث رسول الله فحما الصور وكسر الاصنام وحلصها لعبادة الله وحده

ولعظيم مكانة الكعبة والحرم لدى العرب اعترفوا لسكان الحرم ومجاوري
 البيت الحرام بالرئاسة . وهذا ما دعا بعضهم لبناء بيت واتخاذ حرم ليضاهي
 به حرم الله وبيته فلم يتم له ما أراد كبناء (بس) وكنيسة (القليس)

اما بس — فحكى الاغانى خبره وهو أن بنى بغيض بن غطفان لما
 استشعروا من تفهم القوة عند ما انتصروا على صداة — وهي قبيلة من
 مذحج — قالوا والله لنتخذن حرماً مثل حرم مكة لا يقتل صيده ولا يعصد
 شجره ولا يهاج عائذه فاتخذوه عند ماء لهم يقال له بس وكان القائم على أمر
 الحرم وبناء حائطه رياح بن ظالم (١) فلما بلغ فعلمهم هذا زهير بن جناب وهو
 (١) في القاموس بس بيت لغطفان بناء ظالم بن أسعد لما رأى قریشا

يومئذ سيد كتاب . قال والله لا يكون هذا أبدا وأنا حي فسار في قومه حتى غرا غيلقان فظفر بهم وأسروا فارسا في حرمهم فقال لأحد أصحابه اضرب رقبتك فقال انه بسل فقال زهير وأبيك ما بسل على بحرام . ثم قام اليه وعطل ذلك الحرم وكانت الولاية على هذا الحرم لبني مرة بن عوف

واما كنيسة القلايس (١) فقد بناها أبرهة الاشرم ملك اليمن من قبل النجاشي بصنعاء الى جنب غمدان لما دانت له قبائل العرب وملك قيادها ولما تم له بناؤها كتب الى النجاشي اني قد بنيت لك بصنعاء بيتا لم تبين العرب والمعجم مثله ولن أنهي حتى اصرف حاج العرب اليه ويتركوا الحج الى بيتهم فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك الى النجاشي غضب رجل من النساء أحد بني وقيم ابن عدي بن عامر فخرج حتى أتى القلايس فأحدث فيها ثم خرج فاحق بقومه فلما أخطر بذلك أبرهة سأل عن صمعه فقبل له صنعه رجل من العرب من أهل هذا البيت الذي بمكة لما سمع قولك أصرف اليها حج العرب . فغضب أبرهة وحلف لبسيرى الى البيت حتى يهدمه . ثم سار بجيشه ومعه الفيل . فلما نزل بالغمس وهو مكان قريب من مكة أرسل الى قريش فاخبرهم انه لا يريد الا هدم البيت فان لم يتعرضوا لقتاله لا يقاوتهم وعلمت قريش انها لا طاقة لها بحربه فأخذ عبد المطلب بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستصرونه على أبرهة وجنده وقال

لا هم ان العبد يخذل مع رحله فامنع حلالا (٢)

يطوفون بالكعبة ويسمعون بين الصفا والمروة فذرع البيت وأخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة فرجع الى قومه فبنى بيتا على قدر البيت ووضع الحجرين فقال هذان الصفا والمروة واجتزءوا به عن الحج فآغار زهير بن جناب الكلابي فقتل نالما وهدم بئاه (١) قال السهيلي سميت هذه الكنيسة القلايس لارتفاع بنائها وعلوها ومنه القلائس لأنها في أعلى الرؤوس (٢) العرب تحذف الألف واللام من الأهم وتكتفى بما بقي .

و (الحلال) القوم الحلول في المكان

والنصر على آل الصلي ب وعابديه اليوم آلاك
لا يغلبن صليبيهم ومحالهم أبدا محالك (١)
ان كنت تاركهم وقبـ لمتنا فأمر ما بدا لك

ثم خرج مع قريش من مكة وتحرروا في شعف الجبال والشعاب تخوفا
عليهم من معرة الحبش وأخذوا ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة اذا دخلها فلما
أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة وهيأ فيله وعبي جنده . فلما وجهوا الفيل الى
جهة الكعبة برك فضربوا رأسه بالفأس ليقوم فأبى فادخلوا لهم محاجن في
مراقه حتى أدموه ايقوم فأبى فوجهوه الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى
الشام فقام يهرول ووجهوه الى المشرق فقام يهرول ووجهوه الى مكة وبرك
وجعل الله كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من
سجيل (٢) لا تصيب منهم أحدا الا هلك نخرجوا يتساقطون بكل طريق
ويهلكون بكل مهلك ومعهم أبرهة مصاب في جسمه يسقط أنملة أنملة حتى
قدموا به صماء وهو مثل فرخ الطائر فقامات حتى انصدع صدره عن قلبه
فلما رأت العرب ما حل باصحاب الفيل أعظموا قريشاً . وقالوا أهل الله قاتل
عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم

ولقد استذل أبرهة أهل اليمن في بناء القايص وبنائها بحجارة قصر بلقيس
صاحبة سليمان عليه السلام . وكان مبنياً بموضع من هذه الكنيسة على فراسخ
وبه بقايا من آثار ما كنها فاستعان بذلك على ما أراد من بهجتها وحسنها
فوضع أبرهة الرجال نسقا يناول بعضهم بعضا الحجارة والخشب فنقل اليها منه
العدد من الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب حتى نقل ما كان في قصر
بلقيس مما احتاج اليه ولقد وصفها ابن العربي (٣) نقلا عن ابن اسحاق فقال :

(١) و (المحال) بكسر الميم الكيد أو التدبير أو المكر أو القدرة أو

القوة والشدة (٢) الا بابيل الجماعات و (السجيل) الشديد الصلب

(٣) هو محي الدين ابن العربي وجميع ما ننسبه له فمن كتابه محاضرة

الابرار ومسامرة الاخيار في الادبيات والنوادر والاخبار

وكان عرض حائط القليس ست اذرع . وكان له باب من نحاس عشر اذرع
طولا في اربع اذرع عرصا . وكان المدخل منه الى بيت في جوفه طوله ثمانون
ذراعا في اربعين ذراعا محلى بالساج المنقوش . ومساميره الفضة والذهب ثم
يدخل من البيت الى ايوان طوله اربعون ذراعا عن يمينه وعن يساره عقد
مضروبة بالفسيفساء مشجرة بينها كواكب الذهب ظاهرة ثم يدخل من الايوان
الى قبة ثلاثون ذراعا في مثلها بالذراع القصير فيها صلب منقوشة بالذهب والفضة
وفيه رحامة مما يلي مطلع الشمس من الياق أربعة عشر اذرع في مثلها تعشى
عين من نظر اليها من بطن القبة تؤدي ضوء الشمس والقمر الى داخل القبة
وكان تحت الرحامة منبر من خشب الآبنوس مفصل بالعاج الابيض ودرج
المنبر من حشب الساج ملبسة ذهباً وفضة . وفي القبة سلاسل فضة . وكان في
القبة وفي البيت خشبة من ساج منقوشة طولها ستون ذراعا يقال لها كعيب
وخشبة من ساج نحوها في الطول يقال لها امرأة كعيب كانوا يتبركون بهما في
الجاهلية . وكان يقال لكعيب الأحمري . وهو في لسانهم الحر ، روى انه
لما هلك أبرهة ومرقت الحبشة كل ممزق واقفر ما حول هذه الكنيسة فلم
يعمرها أحد وكثرت حولها السباع والحيات اتفق أن بعضهم أخذ منها شيئاً
فأصيب بأذى فنسب رطاع اليمين ما اصابه الى الصنمين كعيب وامرأته فتحاماهما
الناس فبقيت بما فيها من الخشب المرصع بالذهب والآلات المفضضة التي
تساوى قناطر من المال الى زمن أبي جعفر المنصور فكتب لعامله على اليمين
العباس بن الربيع بن عبيد الله الحارثي يأمره بهدمها فهدمها وأصاب العباس
مالاً كثيراً بما باعه من رخامها ودعا بالسلاسل فعلقها في كعيب والخشبة
التي معه فلم يقربهما أحد مخافة مما كان أهل اليمين يقولون فيهما فعلق السلاسل
في العجل ثم جذبهما الثيران حتى أبرزوا من السور . فلما لم ير الناس شيئاً
مما كانوا يخافون من مصراتهما اشترى رجل عراقي الخشبة وقطعها لدار
له . واتفق أن العراقي أصيب بجذام فافتتن بذلك رعاع اليمين واطغاهم وقالوا
أصابه كعيب

قال أبو المنذر (١) وكان رجل من جهة يمنة يقال له عبد الدار بن حديب قال لقومه هلم نبني بيتا نضاهي به الكعبة ونعظمه حتى نستميل به كثيرا من العرب فأعظموا ذلك وأبوا عليه فقال في ذلك

ولقد أردت بأن تقام بنية ليست بحوب أو تطيف بمأثم
فأبى الذين إذا دعوا لعظيمة راغوا ولا ذوا في جوانب قودم
يلحون أن لا يأمرؤا فاذا دعوا ولوا واعرض بعضهم كالأبكم

الأربعة الأشهر الحرم - والبسل

كما كانوا على دين إبراهيم في تحريم الحرم وتكريم الكعبة كذلك كانوا على دينه في تحريم ذى القعدة وذى الحجة والحرم ورجب . فكانوا ينزعون فيها الاسنة عن الرماح ويقعدون عن شن الغارات وطلب الثارات ويأمن الخائف فيها عدوه حتى يلتقى الرجل فيها قاتل أبيه أو أخيه فلا يتعرض له . ولم تكن العرب كلها تحرم الأشهر الحرم فقد كانت طى كلها وخثعم كلها وكثير من أحياء قصاعة ويشكر وبنى الحارث بن كعب على ما حكاه الجاحظ في الحيوان محايين لا يرون للحرم ولا للشهر الحرام حرمة وكانوا لا يحجون ولا يعتمرون وبين السهيلي سر مشروعتها فقال

« ان تحريم القتال في الأشهر الحرم كان حكما معمولاً به من عهد إبراهيم وإسماعيل وكان من حرمة الله ومما جعله مصلحة لأهل مكة . قال الله تعالى « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام » وذلك لما دعا إبراهيم لذريته بمكة إذ كانوا بواد غير ذى زرع أن يجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم ففرض الله على الناس حج البيت قواماً لمصلحتهم ومعاشهم . ثم جعل الأشهر الحرم أربعة ثلاثة سرداً وواحداً فرداً وهو رجب أما الثلاثة فليأمن الحجاج على أنفسهم وأهليهم واردين إلى مكة وصادرين عنها شهراً قبل شهر الحج وشهراً بعده قدر ما يصل الركب من أقصى بلاد العرب ثم يرجع حكمة

(١) هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي المشهور بابن الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ هجرية وما نعرزه إليه بكنية أبي المنذر فما ذكره في كتاب الاصنام

من الله . وأما رجب فللعامة أريأمنون فيه مقبلين وراجعين نصف الشهر للاقبال ونصفه للأياب اذ لا تكون العمرة من أقاصى بلاد العرب كما يكون الحج . وأقصى منازل المعتمرين بين مسيرة خمسة عشر يوماً فكانت الأقوات تأتي أهل مكة فى المواسم وفى سائر العام تنقطع عنهم ذؤبان العرب وقطاع السبل مصلحة لأهلها ونظرا من الله لهم دبره وابقاه من ملة ابراهيم »

ولا عتيادهم الاعتمار فى رجب سموه من منصل الألة (١) لانهم كانوا ينصلون السنة عن الرماح حتى يخرج الشهر . قال الاعشى

تداركه فى منصل الألة بعد ما مضى غير أداء وقد كاد يعطب (٢)
وكانوا يدعونه الاصم لانهم كانوا لا يتغازون فيه ولا يتنادون فيه بالفلان
ويالفلان ولا تؤخذ فيه الثارات . وكانت مضر تعظم رجبا اكثر من سائر
العرب وتذبح فيه قربانا تسميه الرجبية حتى أضيف اليها فليل رجب مضر
وكانوا يرون رجبا أسرع الاوقات لاجابة الدعاء فكانوا يؤخرون الدعاء
على الظالم حتى اذا دخل رجب دعوا عليه فيه * روى ابن عباس أن عمر بن
الخطاب رأى رجلا مبتلى فقال ما رأيت افطع منظرا منه . فقيل له أما تعرفه
يا أمير المؤمنين قال لا . قيل هذا ابن ضبعان السامى الذى دعا عليه عياض .
فقال لعياض اخبرنى خبرك . فقال يا أمير المؤمنين كان بنو ضبعان عشرة وأنا
ابن عم لهم فكنت مستجيبرا بهم وجارا لهم فظلمونى وأخذوا مالى عدوانا
فذكرتهم بالله والرحم والجوار فلم ينفذ فأمهلتهم الى دخول رجب فرفعت يدي
الى السماء وقلت

لاهم ادعوك دعاء جاهدا تقتل بى ضبعان الا واحدا

ثم اضرب الرجل فذره قاعدا اعمى اذا ما قيد أعيا القائدا

وكان ذلك فى الجاهلية فتتابع منهم تسعة ماتوا فى عام واحد وبقي منهم
هذا اعمى رماه الله فى رجليه بما ترى . فقال عمر سبحان الله ان هذا لأمر

(١) الألة السنة - والألة الحربة - يقال أله يؤله ألا اذا طعنه

(٢) الأداء ثلاث ليال من آخر الشهر

عجيب . وكانوا قبيل دخول الاشهر الحرم وعند انسلاخها حريصين على الاخذ
بالتأرأو انتهاز اغتيال يدعو اليه الحقد والفساد . فقد روى ابن أبي الحديد
عن شيخه أبي علي ان الرياشي ذكر أن العرب تسمى آخر يوم من شوال فلتة من
حيث أن كل من لم يدرك تأره فيه فاته ثم قال والذي رواه عن أهل اللغة قول
لا نعرفه والذي نعرفه انهم يسمون الليلة التي ينقضي بها آخر الاشهر الحرم
ويتم فلتة . وهي آخر ليلة من ليالى الشهر لانه ربما رأى الهلال قوم لتسع
وعشرين ولم يبصره الباكون فيغير هؤلاء على أولئك وهم غافلون . فلهذا
سميت تلك فلتة (١)

فمن سارعتهم بأخذ الثأر قبيل دخول الشهر الحرام ما كان من عاصم بن
المفسر الضبي فانه لما علم أن الخنيفة الضبي قتل أخاه بيده في آخر يوم من
جمادى الآخرة نهض عاصم فبسل دخول رجب وانطلق حتى اذا كان بغناء
خباء الخنيفة ناداه مستمجدا فاما خرج اليه الخنيفة وسار معه داباه عاصم
حتى قاربه ثم قنعه بالسيف فأطار رأسه وقال (العجب كل العجب بين جمادى
ورجب) فسارت كلمته مثلاً

فاذا انسلخت الاشهر الحرم كانوا بين حروب أو قدت نارها الاحقاد
وغارات أثارها طاب الثأر أو السلب أو الميل للفساد وشاهده قول طفيل
الغنوي وهو شاعر جاهلي

ظلمان أبرقن الخريف وشمته وخفن الهمام ان تقاد قنابله (٢)
يعنى دخلت شهور الحل نخفن ان يغير الهمام عليهن فتسكن ناحيته
وتباعدن عنه . وقد تواعد تأبط شرا العوص بقتالهم عند انسلاخ الأشهر
الحرم وذلك انه خرج يوما وصاحبان له حتى أغاروا على العوص من بحيلة
(١) في القاموس الفلتة آخر ليلة من كل شهر أو آخر اليوم من الشهر
الذي بعده الشهر الحرام (٢) أبرقن الخريف رأين برق الخريف - وقال
بعضهم دخلن في برق الخريف و (شمته) أبصرنه - والشيم المظر الى البرق
خاصة و (القنابل) جمع قنبلة وهي الجماعة من الخيل

فاخذوا نعماء لهم واتبعهم العوص فادركوهم وقد كانوا استأجروا لهم رجالا كثيرة : فلما رأى تأبط شرا ان لا طاقة لهم بهم عدا وتركهما فقتل صاحبه فقال يرثيهما ويتوعد .

لنعم فتى نلتهم كأنت رداءه على سرحة من سرح دومة شائق (١)
فعدوا شهور الحرم ثم تعرفوا قتيلا أناس أو فتاة تمايق (٢)
ومع هذا فقد قتل بعضهم بعضا في الشهر الحرام بل وفي الحرم نفسه
لسبب الغضب الذي يملك على العقل زمامه أو الاستهانة بأمر الدين . كما كان من
الشنفري فانه لما قدم منى وبها حرام بن جابر فقتل له هذا قاتل أبيك فقتله
ثم سبق الناس على رجله وقال

قلت حراما مهديا بملبد بيطن منى وسط الحجيج المصوت (٣)
وقد أغار معبد بن زرارة على بنى عامر بن مالك في شهر رجب الحرام
وكذلك قتل ضبة بن اد بن طابخة في الشهر الحرام الحارث بن كعب .
وكان من خبره ما روى ان الحارث لقي سعيد بن ضبة وهو غلام قد خرج
في ابل لأبيه قد ضات وكان عليه بردان فاقيه الحارث فسأله برديه فأبى عليه
فقتله ومكث ضبة ماشاء الله ان يمكث . ثم حج فوافى عكاظ فلقى بها الحارث
ابن كعب وعليه بردا ابنه سعيد فعرفهما . فقال له هل أنت مخبري عن هذين
البردين . قال بلى لقيت غلاما وهما عليه فسألتها ياها فأبى على فقتلته واخذتهما
فقال ضبة بسيفك هذا قال نعم . قال : فاعطنيه أنظر اليه فاني أظنه صارمآ
فاعطاه الحارث سيفه فلما أخذه من يده هزه . وقال : الحديث ذو شجون
ثم ضربه به حتى قتله . فقتل يا ضبة أفي الشهر الحرام فقال : سبق السيف
العذل فال الفرزدق .

لا تأمنن الحرب ان استعارها كضبة اذ قال الحديث شجون
ومن ذلك قتل البراص بن قيس الكنانى عروة الرحال الهوازي في

(١) شائق مشدود (٢) تعرف طلب المعرفة حتى عرف

(٣) المهدي سئق الهدي وهو ما أهدي الى الحرم

حديث روه وهو ان البراض كان سكيراً فاسقا خلعه قومه وتبرءوا منه فلحق
 بالنعمان بن المنذر بالحيرة وكان النعمان يبعث الى سوق عكاظ بالطيعة (١) لتماع
 فيه ويشترى له بثمانها أدم من أدم الطائف . وكان يرسلها في جوار رجل
 من أشرف العرب . فلما جهز اللطيمة قال من يحيرها فقال البراض أنا أجيرها
 على بنى كنانة فقال له النعمان انما أريد رجلا يحيرها على أهل نجد وتهامه وكان
 عروة الرحال حاضراً فقال أنا أجيرها لك أبيت اللعن . فقال البراض أتجيرها
 على كنانة فقال نعم وعلى الناس جميعاً أفكأب خاليع يحيرها نخرج فيها عروة
 الرحال وخرج البراض يطلب غفلته حتى اذا كان بالعالية غفل عروة فوثب
 عليه البراض فقتله في الشهر الحرام فكان ذلك سبب حرب الفجار الثاني (٢)
 فجار البراض وایامه يوم نخلة ثم يوم شمة ثم يوم العبلاء ثم يوم عكاظ ثم يوم
 الحرية (٣) وهي حرة الى جنب عكاظ كما في الاغانى وكانت حرب الفجار في
 الاشهر الحرم ففي القاموس (ایام الفجار بالكسر أربعة أفجرة في الاشهر
 الحرم (٤) كانت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان وكانت
 الدرة على قيس فلما قاتلوا قالوا فجزنا حضرها النبي صلى الله عليه وسلم
 وهو ابن عشرين وفي الحديث كنت أنبل (٥) على عمومي يوم الفجار
 ورميت فيه بأسهم وما أحب انى لم أكن فعلت) . وقد أخرجه أعمامه
 معهم وقيل لم يقاتل في فجار البراض أى لم يرم فيه بأسهم .

وفي الاغانى ان النبي شهد أيام حرب الفجار الا يوم نخلة وكان يناول

(١) اللطيمة العير التي تحمل الطيب والبر للتجارة (٢) الفجار الاول كانت
 الحروب فيه ثلاثة أيام ولم تسم باسم شهر بها (٣) الحرية كهريرة . وقد جعل
 السهيلي أيام الفجار خمسة أفجرة فزاد فيه يوم الشرب قال وهو أعظمها يوماً
 وفيه قيد حرب وسفیان وأبو سفیان أبناء أمية أنفسهم كى لا يفروا فسموا
 العنابس (٤) استظهر الحلبي في سيرته ان حرب الفجار لم تكن في الشهر
 الحرام بل كانت في شوال وقيل في شعبان (٥) أنبل على عمومتى أى أرد
 عليهم نبل عدوهم اذا رموهم بها

عمره وأهله النبيل وعمره يومئذ عشرون سنة وطعن عليه السلام أبا براء ملاعب
الأسنة وسئل عن مشهده يومئذ فقال (ما سرتني اني لم أشهده انهم تعدوا
على قومي عرضوا عليهم ان يدفعوا اليهم البراض صاحبهم فأبوا)

ولقد رد الجاحظ في الحيوان على من يعترض كون النبي شهد هذه الحرب
بقوله (ولا يزال الطاعن بقول قد علمنا ان العرب لم يسموا حروب ايام
الفجار بالفجور وفريشا خاصة الا ان القتال في البلد الحرام كان عندهم فجورا
وتلك حروب قد شهدها النبي صلى الله عليه وسلم وآله وهو ابن أربع عشرة
سنة وابن أربع عشرة سنة يكون بالغاً . وقال شهدت الفجار مكنت أنبل
على عموهني (وجوابها في ذلك) ان بى عامر بن صعصعة طالعوا أهل
الحرم من قريش وكنانة بحريرة البراض بن قيس في قتله عروة الرحال . وقد
علموا انهم يطالبون من لم يجن ومن لم يعاون وان البراض بن قيس كان قبل
ذلك خابعا مطرودا فأتوهم الى حرمهم يلزمونهم ذنب غيرهم فداوموا عن أنفسهم
وعن أموالهم وعن ذراريتهم والفاجر لا يكون المسعى عابه . ولذلك أشهد
الله تبارك وتعالى نبيه عابه الصلاة والسلام ذلك الموقف وبه نصرنا كما
نصرت العرب على فارس يوم ذى قار به عليه الصلاة والسلام ومخرجه)

وخالف السهيلي الجاحظ فانكر قتال النبي فيها بقوله « وانما لم ينازل
رسول الله مع أعمامه وكان بذل عليهم وقد كان بلغ من القتال لأنها كانت
حرب فجار وكانوا أيضا كلهم كفارا ولم يأذن الله تعالى لمؤمن الرتب ينازل
الا لتكون كلمة الله هي العليا » وانى لأعجب من السهيلي في قصره المقاتلة
على الرمي بالسهم أو الطعن بالرمح مع ان من كان بذل على المقاتلة مشترك
في القتال ومعين عليه ودعواه ان الله لم يأذن لمؤمن في القتال الا لأغلاء
كلمته مردودة لأن القتال كما يكون لذلك يكون لدفع الظلم والفساد

وكون الأشهر الحرم أربعة كما قدمنا مذهب أكثر العرب ومنهم قوم
لم يقفوا عند شريعة ابراهيم فتجاوزوا حدود الله وزادوا في الدين فجعلوا
الأشهر الحرم ثمانية وهو (البسلى) قال في القاموس البسلى ثمانية أشهر حرم

كانت لقوم من غطفان وقيس . وذكر ابن اسحاق بن مرسد بن عوف وهم قوم دخلوا في نسب غطفان فقال وفيهم كان البسل فيما يرعمون بسببهم ثمانية أشهر حرم لهم من كل سبعة من بين العرب . قد عرفت ذلك لهم العرب لا ينكرونه ولا يدفعونه يسرون به إلى أي بلاد العرب شاءوا لا يحافون منهم شيئا :
النسيء

ولما كانت العرب تدين بدين إبراهيم من تحريم الفصال في الأربعة الأشهر الحرم ذي القعدة وذو الحجة والمحرم وشهر رجب وكانوا يحاوون لشئ الغارات وتلبث الثارات كرهوا أن يوالي ثلاثة أشهر لا يغزوا بها وأحدثوا النساء وكانوا يسألونهم تأخير حرمة المحرم إلى صفر قاله أبو علي القالي في أماليه (١) وقال أبو عبيد الله إذا احتاجوا للحرب في المحرم أحروا شهره إلى صفر ثم يؤخرون صفر في سنة أخرى . وكانت النساء من بني فقيم بن عدى بن عامر بن نعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة قال الشاعر .

أزعم أني من فقيم بن مالك لعمرى لقد غيرت ما كنت أعلم
لهم ناسيٌ يعدون تحت لوائه يحل إذا شاء الشهور ويحرم
أما مكان النسيء وذكر أنه كان جرة العقبة وكان يقف عندها الناس
إذا صدر الحاج من منى فيقول اللهم أني ناسي الشهور وواضعها ولا أعاب
في أمري ولا يرد لي قضاء اللهم أني قد أحللت دماء المحايين من طيئ وحتمهم (١)
ماقتلوهم حيث تقفتموهم — فبأسألونه أن يدسئهم شهرا فان قال ان آلهتكم قد
(١) عبارته تقضي ان النسيء لا يكون في رجب لأنه فرد وخالفه
الفيروز نادی في القاموس لقوله (التلمس رجل كنانى من ساء الشهور
كان يقف عند جره العقبة ويقول اللهم اني ناسي الشهور وواضعها مواضعها
ولا أعاب ولا أجاب اللهم اني قد أحللت أحد المسلمين وحرمت صفر المؤخر
وكذلك في الرجيين يعنى رجبا وشعبان اتقروا على اسم الله)
(٢) أحل دماءهم لأنهم كانوا محايين يعدون على الناس في الشهر الحرام

أحلت لكم المحرم فأحلوه عقدوا الاوتار وركبوا الازجة واغاروا وان قال ان الهنكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة وذكر المقرئى أن الناسى كان يقوم على باب الكعبة اذا فرغت العرب من حجها فيقول لهم : ان آلهتكم العزى قد انسأت صفرا الاول وكان يحله عاما ويحرمه عاما وكان اتباعهم على ذلك غطفان وهوازن وسليم وتيم تلك عبارته فلعل الناسى كان يفسى مرتين مرة عند جرة العقبة وأخرى على باب الكعبة وحصر الناسى ابن هشام فقال وكان أول من نسا الشهور على العرب فأحلت منها ما أحل وحرمت منها ما حرم القامس وهو حذيفة بن عبد بن فقيم بن عدى بن عامر ثم قام بعده على ذلك ابنه عباد بن حذيفة ثم قام بعد عباد قلع (١) بن عباد ثم قام بعد قلع أمية بن قلع ثم قام بعد أمية عوف بن أمية ثم قام بعد عوف أبو ثمامة جنادة بن عوف وكان آخرهم . وعليه قام الاسلام . فجعلهم ستا يقوم الولد بالامر بعد والده

وذهب المقرئى الى أن أول ناسى سرير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك ابن كنانة ثم من بعده ابن أخيه القامس وهو عدى بن عامر بن ثعلبة ثم صار النسيء فى ولده الى آخرهم أبو ثمامة جنادة بن عوف . وذكر أبو بكر الانبارى ان من النساء نعيم بن ثعلبة وتعقبه السهيلي بان هذا ليس بمعروف وفى صبح الاعشى ان أول من نسا النسيء عمرو بن لحي وهو أبو خراعة (٢) ولقد أكثر الشعراء من بنى كنانة الافتخار بالنساء من ذلك قول بعضهم — ومننا ناسىء الشهر القامس — وقال غيره

سئوا الشهور بها وكانوا أهلها من قبلكم والعلم يتحول

وقال عمير بن قيس جذل الطعان الكنانى

(١) نقل السهيلي عن ابن السكبي انه قال فنسا قلع بن عباد سبع سنين ونسا بعده أمية بن قلع احدى وعشرين سنة ثم نسا من بعده جنادة وهو القامس أربعون سنة (٢) جميع من ذكر النسيء بهذا المعنى جعل النساء من بنى كنانة فلعل عمرو بن لحي مبتدع النسيء بمعنى تأخير الحج عن وقته

أقد علمت معدان قومي كرام الناس ان لهم كراما (١)

فأى الناس فاتونا بوتر وأى الناس لم نملك لجاما (٢)

ألسنا الناسئين على معد شهور الحل نجعلها حراما

وهناك نوع ثان من النسيء، وهو تأخير الحج عن وقته تحريما منهم للسنة الشمسية لأن وقت الحج في دين ابراهيم في شهر ذى الحجة . وهو شهر هلالى يدور في كل فصل من فصول السنة . فأرادوا وقوع حجهم حين يعتدل الزمان وتذكر الفاكية والغلال ليأدوا مناسكهم ويتجروا ببصائعهم

فقد كانت تقام في أشهر الحج ثلاث أسواق كبرى بحجة بالظهران وعكاظ بين نخلة والطائف تقوم هلال ذى القعدة وتستمر عشرين يوما وذو المجاز بالجانب الايسر من عرفة على فرسخ منها وتنقضى اليوم الثامن من ذى الحجة فأخروا الحج في كل سنة احد عشر يوما لموافقة السنة الشمسية ففسدوا الحرم الى صفر وصفرا الى ربيع الاول وهكذا فوقع الحج في السنة الثانية في عاشر المحرم وصار في اعتبارهم ذا الحجة وآخر شهور السنة وصار في السنة محرمان ثانيهما للنسيء وصارت عدة الشهور ثلاثة عشر ثم بعد مرور سنتين أو ثلاث نقلوا الحج للشهر الذى يليه . فكانوا يديرون النسيء على جميع شهور السنة فيكون لهم في سنة صفران وفي أخرى ربيعان وهكذا وهذا مصداق قول مجاهد كانت الجاهلية يحجون في كل شهر من شهور السنة

وفي الملل للشهر ستانى ، كانوا يكبسون في كل عامين شهرا وفي كل ثلاثة أعوام شهرا . وكانوا اذا حجوا في شهر من هذه السنة جعلوا يوم التروبة (٣) ويوم عرفة ويوم النحر كهيئة ذلك في شهر ذى الحجة فيكون يوم المجرع عاشر ذلك الشهر

وانكر المرحوم محمود باشا الفلكى معرفة العرب للنسيء بهذا المعنى وقد

(١) أى ان لهم آباء كراما واخلاقا كراما (٢) تقول اعاسكت الفرس لجامه

اذا رددته عن تنزعه فمضغ اللجام كالملك من نشاطه يعنى أى الناس لم يسكنهم كما تكف الفرس بالاجام (٣) هو اليوم الثامن من ذى الحجة

نقص دليله عند الكلام على علم الفلك من كتابي (علوم العرب في الجاهلية)
ومن لطيف الاشارات في الرد عليه ما نقله السهيلي عن شيخه أبي بكر في قوله
تعالى (يسئلونك عن الأهل فل هي موافيت للناس والحج) قال « وحس الحج
بالذكر دون غيره من العبادات الموقنة بالاوقات بأ كيدا لاعتباره بالأهل
دون حساب الاعاجم من أجل ما كانوا أحدوا في الحج من الاعتبار بالشهور
المعجمية » . ومد حرم الله نوعي السيء بقوله عليه السلام في خطبة حجة الوداع
« ان الزمان قد ابدل كبريائه يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر
شهرا - منها أربعة حرم ثلاثة مواليات دو الفعدة وذو الحجة والمحرم . ورجب
مصر (١) الذي بين جمادى وشعبان ثم نلا قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله
اثنا عشر شهرا (٢) في كتاب الله يوم حاق السموات والارض منها أربعة حرم
ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم . وقالوا المشركين كافة كما يقابلوكم
كافة واعصوا الله مع الممقين انما السيء زيادة في الكفر يضل به الذين
كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما (٣) ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا
ما حرم الله (٤) رين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين
والمعنى ان عدد الحج في ذي الفعدة وبطل السيء بنوعيه لما في أحدهما
من كون السنة ثلاثه عشر شهرا ولما في الثاني من عدم توالي الثلاثة الاشهر الحرم

(١) قال المصوي فانوا كان بين بني مضر وبين ربيعة اختلاف في رجب
فكانت مضر تجعل رجبا ما بين جمادى وشعبان وكانت ربيعة تجعله رمضان
ولهذا أصابه النبي الى ... وقال السهيلي انما قال رجب مصر لان ربيعة كانت
تحرم في رمضان وتسميه رجبا من رجب الرجل ورجبته اذا عظمت (٢) أي
لا ثلاثة عشر شهرا كما كانوا يفعلون لموافقة السنة الشمسية (٣) أي يحلون
الشهر من الاشهر الحرم عاما ويحرمونه عاما - وهذا يصدق على السيء بنوعيه
(٤) يواطئوا أي يوافقوا والمعنى ليوافقوا العدة الى هي الاربعة وفاتهم
التخصيص الذي هو أحد الواجبين

الحج - أحكام الاحرام به ^(١) الحس

فرض حج البيت في دين ابراهيم وأمر بتبليغه فنأدى أيها الناس ان الله قد كتب عليكم الحج الى البيت العتيق ثم حج معه اسماعيل حجة كحجة الاسلام وقد ذكر ابن الأثير في السكامل كيفية حجه فقال . ثم خرج ابراهيم باسماعيل معه الى التروية فنزل به منى . ومن معه من المسلمين مائة . ثم صلى بهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة . ثم بات حتى أصبح فدلى بهم الفجر ثم سار الى عرفة فقام بهم هناك حتى اذا مالت الشمس جمع بين الصلاتين الظهر والعصر . ثم راح بهم الى الموقف من عرفة الذي يقذف عليه الامام فوقف به على الأراك (٢) فلما غربت الشمس دفع به ومن معه منى أتوا المزدلفة فجمع بها الصلاتين المغرب والعشاء الآخرة ثم بات بها ومن معه حتى اذا طلع الفجر صلى الغداة ثم وقف على قزح حتى اذا أسفد دفع به وعن معه يريه ويعلمه كيف يصنع حتى رعى الجرة وأراه المنحدر ثم نحر وحاق وأراه كيف يطوف ثم عاد به الى منى ليريه كيف يرى الجمار حتى فرغ من الحج . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن جبريل هو الذي أرى ابراهيم كيف يحج

تلك عبادة ابن الأثير ومقتضى ما في السلوات الخمس شرعت في دين ابراهيم ولم أر غيره نقل ذلك الا أن التروية ذكر في شرح مسلم أن المزدلفة سميت يجمع لانه يجمع فيها بين المغرب والعشاء ومقتضى ما أنهم كانوا يصلونهما لأن علة التسمية تبقاها بعد سميت بذلك في الجاهلية . وقد كانت العرب تحج بيت الله الحرام مشاة أو ركبانا ومنها من كان ينذر حجه لقول أبو طالب

ومن حج بيت الله من كل راكب ومن كل ذي نذر ومن كل راجل (٣)
(١) الاحرام بالحج الدخول في أعماله لان الحاج يحرم على نفسه أشياء من الحلق وتقليم الاظفار ومباشرة النساء وقتل الصيد وغير ذلك ويقابله الاحلال (٢) الأراك كسحاب موضع بعرفة قرب نمرة (٣) روى السيوطي في اسباب النزول عن مجاهد قال . كانوا لا يركبون ورخص لهم فيه بقوله تعالى « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق »

ومنه من كان لا يتكلم في الحج تقرباً لله تعالى روى البخاري في صحيحه بسنده عن قيس بن أبي حازم قال دخل أبو بكر على امرأة من أحبس يقال لها زينب فرآها لا تكلم فقال ما لها لا تكلم قالوا حجت مصمتة . قال لها تكلمي فان هذا لا يحل هذا من عمل الجاهلية فتكلمت وهم ينقسمون بالنسبة لأعمال الحج ثلاثة أقسام .

القسم الأول : من كانوا على دين إبراهيم لم يبدلوا فيه وحج هؤلاء موافق لما كان عليه أسلافهم إلى زمن إبراهيم

القسم الثاني من بدلوا دين إبراهيم فأدخلوا عليه تعظيم الأصنام وهؤلاء خلطوا أعمال الحج المشروعة في دين إبراهيم بالتقرب للآوثان من الإهلال بالحج عندها أو التحليل لديها أو غير ذلك

القسم الثالث : من ميزوا أنفسهم عن سواهم فلم يشتركوا مع غيرهم في كل أعمال الحج كما فعلت قريش ومن تبعهم في رأيهم وامتازوا بأمور ابتدعوها فسموا حمسا (١) وغيرهم الحلة فقسموا العرب بفعلهم إلى حلة وحس . وبين ابن اسحاق . ادعا قريشا لا بتداع النحس فقال

وقد كانت قريش لا أدري قبل الفيل أو بعده (٢) ابتدعت رأى الحس رأياً رأوه وأداروه فقالوا نحن بنو إبراهيم وأهل الحرم وولاية البيت وقطان مكة وساكنوها . فليس لأحد من العرب مثل حقنا ولا مثل منزلتنا . ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا . فلا تعظموا شيئاً من الحل كما تعظمون الحرم فانكم ان فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمتمكم . وقالوا قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم فتركوا الوقوف على عرفة والافاضة منها وهم يعرفون ويقرون اسما من المشاعر والحج ودين إبراهيم ويرون لسائر العرب

(١) في القاموس الحس لقب قريش وكنانة وجديلة ومن تابعهم في الجاهلية لتحمسهم في دينهم أي شددهم أو لالتجائهم بالحساء وهي الكعبة لان حجرها ابيض إلى السواد (٢) ذهب ابن الاثير إلى ان قريشا ابتدعوا رأى الحس بعد الفيل

أن يقفوا عليها وأن يفيضوا منها . الا انهم قالوا نحن أهل الحرم فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرم ولا نعظم غيرها كما نعظمها نحن الخمس - والخمس أهل الحرم - ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكن الحل والحرم مثل الذي لهم بولادتهم اياهم يحل لهم ما يحل لهم ويحرم عليهم ما يحرم عليهم . وكانت كنفانة وخزاعة قد دخلوا معهم في ذلك »

ومن الخمس أيضا جديلة قيس كما حكاه النووي . وقال أبو عبيدة النحوي أن بني عامر بن صعصعة تبعوا قريشاً في رأى الخمس . وذكر ابن العربي أن منصور بن عكرمة تزوج حفصة بنت سلمى بنت ضبيعة بن علي بن يعصر بن قيس بن عيلان فولدت له هوازن فرض مرضا شديدا فنذرت سلمى لن بن برى لتحمسنه فاما برى حمسته وعليه هوازن من الخمس أيضا

وروا أن الرجل من أهل الجاهلية اذا أحرم تقلد قلادة من شعر فلا يتعرض له أحد . فاذا حج وقضى حجه تقلد قلادة من اذخر . وقيل كان الرجل يقلد بعيره أو نفسه قلادة من لحاء شجر الحرم فلا يخاف من أحد ولا يتعرض له أحد بسوء

وعن قتادة في قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد قال جعلها حواجز وأبقاها الله بين الناس في الجاهلية فكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ الى الحرم لم يتناول ولم يقرب وكان الرجل لو لقي قاتل أبيه في الشهر الحرام لم يتعرض له ولم يقربه وكان الرجل اذا أراد البيت تقلد قلادة من شعر فأحتمته (١) ومنعته من الناس وكان اذا نفر تقلد قلادة من الاذخر أو من لحاء الشجر فمنعته من الناس حتى يأتي أهله حواجز أبقاها الله بين الناس في الجاهلية

قال ابن عباس رضى الله عنه وكان ذو المجاز وعكاظ متجراً للناس في الجاهلية فلما جاء الاسلام كأنهم كرهوا ذلك ظناً منهم انها تحل باخلاص العمل حتى نزل قوله تعالى « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم »

(١) أحتمته جعلته حتى لا يقرب

ومنهم قوم استحبوا الحج بلا زاد وقالوا نحن المتوكلون وكانوا يضيفون على الناس (١) حتى نزل قوله تعالى « وتزودوا فان خير الزاد التقوى »
وابتدعت الخمس في الحج من باب التزهّد والتأله أشياء حكها ابن العربي من حديث ابن اسحاق بسنده عن ابن عباس قال فلم تكن نساء الخمس ينسجن ولا يفرزن الشعر ولا يسلأن السمن (٢) اذا أحرمن . وكانت الخمس اذا أحرمن لا يأقطن الا قط ولا يأكلون السمن ولا يسلثونه ولا يمحضون اللبن ولا يأكلون الزبد ولا يابسون الوبر ولا الشعر ولا يستظلون به ماداموا محرمين ولا يفرزون الشعر ولا الوبر ولا ينسجونه وانما يستظلون بالأدم . ولا يأكلون شيئاً من نبات الحرم وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ولا يخفرون فيها بذمة ويطوفون بالبیت وعليهم ثيابهم . وكانوا اذا أحرم الرجل منهم في الجاهلية وأول الاسلام فان كان من أهل المدر بعى من أهل البيوت والقرى نقب نقباً في ظهر بيته فنه يخرج ولا يدخل من بابه وكانت الخمس اذا أحرمت وأرادت دخول بيتها تسورت من ظهور البيوت وأدبارها ويحرمون الدخول من أبوابها حتى يمّث الله محمداً صلى الله عليه وسلم فاحرم عام الحديبية ودخل بيته من بابه . وكان معه رجل من الانصار فوقف بالباب فقال له ألا تدخل فقال الانصارى أنا أحمس يارسول الله فقال رسول الله وأنا أحمس دينى ودينك سواء فدخل الانصارى مع رسول الله لما رآه دخل بابه . فأنزل الله (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها) . وخالف التبريزى في شرح حماسة أبى تمام . فقال (وكان الرجل اذا أحرم قبل الحج فان كان من أهل المدر اتخذ نقباً في ظهر بيته فنه يدخل ويخرج ولا يدخل من باب بيته ولا يخرج منه ويتخذ سله يصعد فيه وينحدر . وان كان من أهل الوبر دخل من خلف البيت الا أن يكون من الخمس فدخل رسول الله وهو محرم من باب بنى بنيانا واتبعه رجل من أهل الاسلام يقال له قطبة بن عامر أحد بنى سلمة ولم يكن من الخمس فدخل

(١) ضفته أضيفه نزلت عليه ضيفاً (٢) سلاء السمن طبخه وعلاجه

معه فأذكر ذلك عليه وقال اجتنبني فانك محرم وقد دخلت من الباب فقال
 يا رسول الله وأنت محرم فقال له انى أحس فقال الرجل ان كنت أحسباً فاني
 أحسبى رضىت بهديك وسنتك ودينك فنزل وليس البر بأن تأتوا البيوت من
 ظهورها الآية)

فأنت ترى ان بين عبارتهما اختلافاً ظاهراً فقد ذهب ابن العربى الى ان
 الخمس لا يدخلون البيوت ولا يخرجون منها من أبوابها وناقضه التبريزى فأجازه
 للحمس كما اختلفا فى سبب نزول الآية فجعل التبريزى النبى منكر على الرجل
 متابعتة فى دخول البيت من بابه لانه أحس والرجل ليس بأحس وجعله ابن
 العربى آمراً له بأن يتابعه فى الدخول . وبالرجوع لتفسير ابن جرير الطبرى ترى
 الروايات مختلفة هذا الخلاف أيضاً . ونحن اذا رجحنا رواية ابن العربى بأن
 قرىشا أولى بتحريم دخول البيوت من أبوابها لانهم اخترعوا النخمس فى
 الدين وهو التشدد وفى هذا من التشدد ما فيه وجدنا رواية التبريزى يرجحها
 أن قرىشا كانت ترى نفسها معززة الجانب عند الله لا يحول بينها وبين الرحمات
 التى تنزل من السماء سقف ولا غيره حتى سموا أنفسهم آل الله ولا كذلك غيرهم
 ويناسب هذا انها لا تحرم كغيرها دخول البيوت من أبوابها فى حج ولا عمرة
 لمكانها من الله ويعززه رواية الزهرى ان ناساً من الانصار اذا أهلوا بالعمرة
 لم يحل بينهم وبين السماء شئ يخرجون من ذاك فلا يدخل أحدهم من باب
 الحجرة من أجل سقف الباب أن يحول بينه وبين السماء وكانت الخمس لا يبالون
 ذلك . وحسبنا فى الكلام على أديان العرب ونحلهم ان هذا مذهب قوم من
 العرب فى حجهم وعمرتهم . وللحديث على الخمس بقية تذكر عند الكلام على
 الطواف بالبيت والوقوف بعرفة

قال الجاحظ فى الحيوان : وكانوا فى الاحرام يابدون شعورهم . والتلبيد
 أن يأخذ شيئاً من خطمى وآس وسرو وشيئاً من صمغ فيجعله فى أصول
 شعره وعلى رأسه كى يتلبد شعره ولا يفرق ويدخله الغبار ويختم فيقمل
 قال شاعرهم

يارب رب الراقصات عشية بالقوم بين منى وبين ثبير (١)
 وحف الرواح تراقصت تمشى بهم يحملن كل ملبد مأجور (٢)
 وكانوا فى الاحرام يكرهون تسريح الشعر وقتل القمل . قال عبد الله بن
 المعجلان النهدي

انى وما مار بالفريق وما قرقر بالجلهتين من شرب (٣)
 من شعر كالليل ينبذ بالقم ل وما مار من دم سرب (٤)
 وقال أمية بن أبى الصلت
 ساجى أياطلهم لم ينزعوا تفثا ولم يسلوا لهم قلا وصئبانا (٥)

التلبية - الطواف بالبيت - السعى - الوقوف بعرفة

كانوا يهللون ويلبون فى الحج وشاهد التهليل قول نبيه بن الحجاج
 انى والذى يحج له شم ط اباد وهلموا تهليلا (٦)
 ومبيتا بذى المجاز ثلاثا ومتى كان حجنا تحليلا (٧)

وشاهد التلبية قول ابى المنذر « وكانت نزار تقول اذا ما أهلت لبيك اللهم
 لبيك . لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك . فيوحدونه
 بالتلبية ويدخلون معه آلهتهم ويجعلون ماسكها بيده . قال تعالى (وما يؤمن

(١) الراقصات الابل تسير الخلب و (ثبير) جبل بجوار مكة (٢) وحف
 الرواح الوحف الاسراع و (الرواح) العشى أو من الزوال الى الليل اى مسرعة
 ذلك الوقت (٣) مار الشعر تحرك و (الفريق) الطائفة من الناس أكثر من
 الفرقة ويريد جماعة الحاج و (ماقرقر) أى وبعير هدر و (جلها الوادى) جانباه
 و (من شرب) أى من عطش وفعله شرب كفرح (٤) مار الدم جرى
 و (سرب) جار (٥) ساجى فعله سجا سجا سجا سجا سجا سجا سجا سجا سجا سجا
 أياطل والاياطل الخاصرة و (التفث) فى المناسك الشعث وما كان من نحو قصص
 الاظفار والشارب وتتف الابط وغير ذلك و (الصئبان) بيض القمل مفردة
 الصئابة كغرابة (٦) هلى قال لا اله الا الله (٧) التحليل يستعمل فى كل

أكثرهم بالله (الاولهم مشركون) اى ما يوحّدوننى بعرفة حتى الا جعلوا معى شريكا من خلقى . وكانت تلبية عك اذا خرجوا حجاجا قدموا أمامهم غلامين أسودين من غلمانهم فكانا امام ركبهم . فيقولان — نحن غرابا عك (١) — فتقول عك من بعدهما

عك اليك طانيه عبادك اليمانيه

كيا نحبج الثانيه

وكانت ربيعة اذا حجت فقصت المناسك ووقفت فى المواقف نفرت فى النفر الأول ولم تقم الى آخر التشريق . « وروى مسلم ان ابن عباس قال (كان المشركون يقولون لبيك لا شريك لك قال فيقول رسول الله . ويلكم قد. قد (٢) فيقولون الا شريكا هولاك تملكه وما ملك يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت) ولما جاء الاسلام عدل المسلمون عما يدل على الشرك الى غيره حتى هداهم الدين لما يقولون قال عمرو بن معديكرب : الحمد لله لقد رأيتنا من قريب ونحن اذا حججنا نقول :

لبيك تعظيما اليك عمرا نقدوا بها مضمرات شُرْرا (٣)

قد تركوا الاوطان خلوا صفرا

ونحن نقول اليوم كما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك . وكان لا يشرك فى تلبيته مع الله أحدا من كان على دينه السماوى وجانب الاوثان مثل زيد بن عمرو بن نفيل فلقد كان يستقبل الكعبة ويقول :

لبيك حقاً حقاً تعبدا ورقا

عذت بما عاذ به ابراهيم مستقبلا القبلة وهو قائم اذا قال

شئ لم يبالغ فيه (١) أغربة العرب سودانهم (٢) قد . تكون اسما بمعنى حسب أو اسم فعل بمعنى يكنى أو كنى (٣) العمر بالفتح وبالضم وبضممتين أى طول الحياة و(الضمير) بالضم وبضممتين الهزال و(الشُرر) النظر عن يمين وشمال وشُرُر جمع شُرراء

أَنْفَى لَكَ اللَّهُمَّ عَانَ رَاغِمٍ مَهْمَا نَجْشَمِي فَأَنِّي جَاشِمٍ (١)
 الْبَرِّ الْغَنَى لَا الْخَالِ لَيْسَ مَهْجَرٌ كَمَنْ قَالَ (٢)
 وَكَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَطُوفُونَ فِي الْحَجِّ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ (٣) قَالَ مِصْبَاحُ بْنُ
 عَمْرٍو: بَنِي الْحَارِثِ الْجُرْهُمِيُّ

وَنَحْنُ وَلِيَمَّا الْبَيْتِ مِنْ بَعْدِ نَابِتٍ يَطُوفُ بِذَلِكَ الْبَيْتِ وَالْخَيْرِ حَاضِرٍ (٤)
 وَبِحَمَاوَنَ ذَوَافِهِمْ سَبْعًا قَالَ حَسَّانُ بْنُ سَبْعٍ
 ثُمَّ طَمَنَّا بِالْبَيْتِ سَبْعًا وَسَبْعًا وَسَجَدْنَا عِنْدَ الْمَقَامِ سَجُودًا
 وَفِي قَوْلِ حَسَّانَ وَسَجَدْنَا عِنْدَ الْمَقَامِ سَجُودًا دَلِيلٌ عَلَى إِحْتِرَامِهِمْ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ
 وَتَقْدِيرِهِ وَقَدْ أَقْسَمَ بِهِ أَبُو طَالِبٍ فِي قَوْلِهِ

وَمَوْطِيءُ إِبْرَاهِيمَ بِالصَّخْرِ رَطْبَةٌ عَلَى قَدَمِيهِ حَافِيَا غَيْرِ نَاعِلٍ
 وَلَمْ تَكُنْ عِمَادَةُ الطَّوَافِ بِالْبَيْتِ عِنْدَهُمْ مَقْصُورَةٌ عَلَى فَرِيضَةِ الْحَجِّ .
 وَكَانُوا يَتَسَجَّدُونَ بِالْحَجَرِ الْأَسْوَدِ وَشَاهَدَهُ قَوْلُ أَبِي طَالِبٍ

وَبِالْحَجَرِ الْأَسْوَدِ إِذَا يَمْسَحُونَهُ إِذَا اكْتَنَفُوهُ بِالضَّحَى وَالْأَصَائِلِ (٥)

(١) رَغِمَ أَنْفُهُ ذَلِكَ وَ (نَجْشَمِي) تَكْلَفْنِي عَلَى مَشَقَّةٍ (٢) فِي رَوَايَةٍ : الْبَرُّ أَبْنَى
 وَ (الْخَالِ) الْخَيْلُ وَالْكَبَرُ وَ (هَجَرٌ) مَشَى فِي الْهَاجِرَةِ أَيْ لَيْسَ مِنْ هَجَرٍ
 وَذِكْرُ كَسْرِ كَمَنْ آثَرُ الْفَائِلَةِ وَالْيَوْمِ (٣) قَالَ صَاحِبُ كِتَابِ حُجَّةِ اللَّهِ الْبَالِغَةِ فِي
 سِرِّ إِحْتِرَامِ الْبَيْتِ « وَأَمَّا الْكَعْبَةُ فَكَانَ النَّاسُ فِي زَمَنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
 نَوَغُوا فِي مَاءِ الْمَعَابِدِ وَالْكَنَائِسِ بِاسْمِ رُوحَانِيَةِ الشَّمْسِ وَغَيْرِهَا مِنْ الْكُتُبِ
 وَحَدَّثَ عَنْهُمْ التَّوْحِيدَ إِلَى الْبُحْرَةِ غَيْرِ الْخُشُوسِ بِدُونِ هَيْكَلٍ يَبْنِي بِاسْمِهِ يَكُونُ
 الْخَلُوفُ فِيهِ وَالنَّاسُ بِهِ نَفَرًا بِاسْمِهِ أَمْرًا مُحَالًا تَدْفَعُهُ عَقُولُهُمْ بِأَدَى الرَّأْيِ
 فَاسْتَوْجَبَ أَهْلُ ذَلِكَ الزَّمَانِ أَنْ يَظْهَرَ رَحْمَةُ اللَّهِ بِهِمْ فِي صُورَةِ بَيْتٍ يَطُوفُونَ
 بِهِ وَيَسْتَرْبُونَ بِهِ إِنَّ اللَّهَ دَعَا إِلَى الْبَيْتِ وَتَعْظِيمِهِ ثُمَّ نَشَأَ قَرْنٌ بَعْدَ قَرْنٍ عَلَى
 عِلْمٍ أَنَّ تَعْظِيمَهُ مَسَاقُوقٌ لِمَعْظِيمِ اللَّهِ وَالتَّفْرِيطُ فِي حَقِّهِ مَسَاقُوقٌ لِلتَّفْرِيطِ فِي حَقِّ
 اللَّهِ فَعَمِدَ ذَلِكَ وَجِبَ حُجَّتُهُ وَأَمَرُوا بِتَعْظِيمِهِ (٤) كَانَتْ وَلَايَةُ الْبَيْتِ لِنَابِتٍ
 مِنْ بَنِي الْحَارِثِ ثُمَّ سَارَتْ بَعْدَ الْجُرْهُمِ (٥) قَالَ السَّهِيلِيُّ قَوْلَهُ بِالْحَجَرِ الْأَسْوَدِ

ومن العرب من كان يطوف بالبيت عاريا حكى ابن هشام في سيرته وابن
العربي أن قريشاً لما ابتدعت رأى الحمس قالوا لا ينبغي لأهل الحل أن يأكلوا
من طعام جاءوا به معهم من الحل إلى الحرم إذا جاءوا حجاجاً أو عماراً ولا
يطوفوا بالبيت إذا قدموا أول طوافهم إلا في ثياب الحمس يستعبرونها منهم
للطواف بها حتى أنهم كانوا يقفون عند باب المسجد فيقولون للحمس من يعبر
معونا من يعبر مصوناً فإن أعاره أحس ثوبه طاف به فإن لم يجدوا طافوا
بالبيت عراة فإن أنف منهم أحد من رجل أو امرأة أن يطوف عرباناً إذا لم
يجد ثياب الحمس فطاف في ثيابه التي جاء بها من الحل القاهها إذا فرغ من طوافه
ثم لم ينتفع بها ولم يمسه هو ولا أحد غيره أبداً وكانت العرب تسمى هذه
الثياب اللقي - قال شاعرهم يذكر شيئاً تركه من ثيابه فلا يقربه وهو بحم
كفى حزناً كرى عليها كأنها لقي بين أئدى الطائعين حريم (١)

فكان رجال الحل إذا لم يعرهم الحمس ثوباً طافوا عراة أما النساء فكانت
أحدهن تضع ثيابها كلها الأدراعاً مفرجاً ثم تطوف فالت صماعة (٢) بنت عامر
ابن صعصعة ثم من بنى سامة بن قشير وهي تطوف بالبيت كذالك
اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله (٣)

وروى مسلم بسنده عن هشام عن أبيه قال كانت العرب تطوف بالبيت عراة
إلا الحمس - والحمس قريش وما ولدت - كانوا يطوفون عراة إلا أن يعطيهم
فيه زحاف يسمى الكف وهو حذف النون من مناعيل وهو بعد الواو من
الأسود و (الاصائل) جمع أصيلة والاصل جمع اصيل والأصيلة لغة معروفة
في الاصيل وهو ما بعد صلاة العصر إلى الغروب (١) حريم أي محرم
لا يؤخذوا ينتفع به (٢) ذكر محمد بن حبيب أن رسول الله خطبها فذكرت
له عنها كبرة فتركها فقليل أنها ماتت كمداً وحزناً على ذلك قال السهيلي : أن كان
صح هذا فما أخرها عن أن تكون أما للمؤمنين وزوجا لرسول رب العالمين
إلا قولها (اليوم يبدو بعضه أو كله) تكرمة من الله لنبيه وعلماء منه بغيرته
والله أعلم منه (٣) رواية . وما بدا منه فما أحله

الحمس ثيابا فيعطى الرجال الرجال والنساء النساء — فانزل الله على رسوله فيما كانوا حرموا على الناس من طعامهم ولبوسهم عند البيت حين طافوا عراة وحرّموا ما جاءوا به من الحل من الطعام « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ان الله لا يحب المسرفين »

على أن من العرب من كان يطوف بالبيت مكشوف السوأة في غير الحج لغرض يقصده فمن ذلك ما ذكره البغدادى في خزائن الادب قال : مرض أبو جندب وهو شاعر جاهلى وكان له جار من خراعة اسمه خاطم فقتله زهير الاحباني وقتلوا امرأته فلما برى أبو جندب من مرضه خرج من أهله حتى قدم مكة فاستلم الركن وكشف عن استه وطاف فعرف الناس أنه يريد شرا فقال انى امرؤ أبكى على جاريه أبكى على الكعبي والكعبيه ولو هلكت بكيا عليه كانا مكان الثوب من حقويه

فلما فرغ من طوافه وقضى من مكة حاجته خرج فى الخلاء من بكر وخزاعه فاستجاشهم على بنى لحيان فخرجوا معه حتى صبح بهم بنى لحيان فى العرج فقتل فيهم وسبي من نسائهم وذرايرهم

وقد أمسك رسول الله عن الحج حين قدم من تبوك لما ذكر مخالطة المشركين للناس فى حجهم وتلبيتهم بالشرك وطوافهم عراة بالبيت وبعث ابا بكر بسورة براءة لينبذ الى كل ذى عهد عهده من المشركين الا بعض بنى بكر الذين كان لهم عهد الى أجل خاص ثم أردف بعلى . قال أبو هريرة فأمرنى على أن أطوف فى المنازل من منى ببراءة فكنت أصيح حتى صجل حلقى (١) فقليل له بم كنت تنادى فقال بأربع الا يدخل الجنة الا مؤمن والا يحج بعد هذا العام مشرك والا يطوف البيت عريان ومن كان له عهد فله أجل أربعة أشهر ثم لا عهد له — وكان المشركون اذا سمعوا النداء ببراءة يقولون لعلى سترون بعد الأربعة أشهر بأنه لا عهد بيننا وبين ابن عمك الا الطعن

(١) صجل صوته بح . رووا أنه انما أرسل علياً بذلك لان العرب لا تعتد

برسالة الامير الا اذا كان المرسل بها من أهله

والضرب ثم ان الناس في تلك المدة رغبوا في الاسلام حتى دخلوا فيه طوعا
وكرها وحج رسول الله في العام القابل وحج المسلمون وقد عاد الدين كله
لله رب العالمين

لقد علمت انقسام العرب بالنسبة للطواف في ثيابهم الى حلة وحس قال
محمد بن حبيب - وهناك نوع ثالث وهم الطلس كانوا يأتون من أقصى اليمن
طلسا من الغبار فيطوفون البيت في تلك الثياب الطلس فسموا بذلك

اما الرمل (١) في الثلاثة الاشواط الاولى من الطواف بالبيت والاضطباع (٢)
فيه فهو من سنن الاسلام وأصله ان النبي رمل وندب أصحابه اليه لظهار
الجلد للمشركين وابداء القوة لهم فانه لما قدم مكة اضطفت كفار قريش عند
دار المدوة ينظرون له ولأصحابه ويستضعفونهم ويقولون أوهنتهم حتى يثرب
فلما دخل رسول الله المسجد اضطبع بردائه ورمل . ومقتضاه عدم سنيته
بعد أن أظهر الله الاسلام لكن ثبتت سايته بما روى عن ابن عمر أنه قال كان
رسول الله اذا طاف بالبيت الطواف الاول خب ثلاثا ومشى أربعا وكذا أصحابه
رملوا من بعده وكذا المسلمون الى يومنا هذا فصار الرمل سنة متواترة

وكانوا في الجاهلية يسمعون بين الصفا والمروة وشاهده قول أبي طالب

واشواط بين المروتين الى الصفا وما فيهما من صورة وتمائل (١)

وكان على الصفا اساف وعلى المروة نائلة - وهما صفتان فكانوا يسمعون
بينهما ويتمسحون بهما وكان عمرو بن لحي نصب مناة بالمشلل مما يلي قديدا

(١) الرمل المرولة في السير (٢) والاضطباع ان يدخل الرداء من تحت
ابطه الأيمن ويرد طرفه على يساره ويسدى منكبيه الأيمن ويغطي الأيسر
سمى اضطباعا لما فيه من ابداء الضممين وهما المضدان

(١) ثنى المروة وهي واحدة جريا على مذهب العرب كقول الفرزدق
عشية سال المربدان كلاهما - وانما عو مربد البصرة وقولهم نسألني برامتين
سلجما والعرب يشيرون بالثنية الى جانبي المكان المنى أو الى أعلاه وأسفله
فيجمعونها اثنين على هذا المغزى و(تمائل) جمع تمائل وأصله تمائل فحذف الياء

وكانت الارد والانصار وغسان تهمل لها بالحج وكان من أهل لمناة لا يحل له ان يطوف بين الصفا والمروة فمما جاء الاسلام كره المسلمون الطواف بينهما لما كان من فعل الجاهلية فانزل الله تعالى (ان الصفا والمروة من شعائر الله) . وروى مسلم بسنده عن عروة بن الزبير قال قلت لعائشة زوج النبي : ما أرى على أحد لم يطف بين الصفا والمروة شيئاً وما أبالي الا أطوف بينهما . قالت بئس ما قلت يا ابن أختي طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاف المسلمون فكانت سنة وانما كان من أهل لمناة الطاغية التي بالمشال لا يطوفون بين الصفا والمروة فلما كان الاسلام سألنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأنزل الله عز وجل ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما « ولو كان كما نقول لكانت فلا جناح عليه الا يطوف بهما . قال الزهري : فذكرت ذلك لأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فاعجبه ذلك وقال ان هذا العلم

ويظهر ان مرتبة اساف و نائلة في الالهية عندهم دون مرتبة مناة فلذلك لم يجزوا لمن أهل لمناة ان يسمى بينهما ويتمسح باساف و نائلة المنصوبين عليهما وكانوا يتقفون في الجاهلية بعرفة في الحج قال العدوي

واقسم بالبيت الذي حجت له قريش وموقف ذي الحجيج الال (١) وقول المابغة الديباني

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وهل يأتمن ذو أمة وهو طائع (٢)
بمسطحات من لصف وثيرة يزرن الا لا سيرهن التدافع (٣)
وقال أبو طالب

(١) الال كسحاب وكتاب جبل عن يمين الامام بعرفة سمي بذلك لان الحجيج اذا رأوه ألوا في السير أي اجتهدوا ليدركوا الموقف (٢) الريبة الشك و (ذو أمة) بالضم والكسر ذو دين واستقامة (٣) لصف وثيرة موضعان اقسم بالابل التي يمتطيها الحجاج الى مكة تعظيما لها و (سيرهن التدافع) اي من الاعياء يعنى يتحاملن تحاملا من الجهد والتعب

وبالمشعر الاقصى اذا عمدوا له الال الى مفضى الشراج القوابل (١)
وكان وقوفهم يوم ناسع الحجة

وكانت قريش ومن تبع دينها حين ابتدعت رأى الحمس تقف بالمشعر الحرام
وهو جبل بالمزدلفة يقال له قرح (٢) ولا تجاوز المزدلفة الى عرفة كسائر الناس
فقد قالت قريش نحن ولالة البيت وسكان الحرم فلا يحل لنا تعظيم شىء من
الحل كتعظيم الحرم لئلا نستخف العرب بحرمنا وتركوا لذلك الوقوف بعرفة
والإفاضة منها لان عرفة من الحل وهم يعرفون انها من المشاعر والحج ودين
ابراهيم ويرون لسائر العرب الوقوف بها والإفاضة منها فلما حج النبي عليه
السلام حجة الاسلام ظنت قريش انه سيقف بالمشعر الحرام كعادتهم ولا
يتجاوزه فتجاوزه الى عرفات

وأُنزل الله في ابطال ما أحدث الحمس من ترك الوقوف بعرفة « ثم أفيضوا
من حيث أفاض الناس » (٣)

ولقد طهر الله نبيه في الجاهلية من صنع الحمس ووفقه لدين ابراهيم . روى
مسلم في صحيحه عن جبير بن مطعم قال أضللت بعيرا لي فذهبت أطالبه
يوم عرفة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا مع الناس بعرفة (٤)
فقلت والله ان هذا لمن الحمس فما شأنه هاهنا . وكانت قريش بعد من الحمس
وكانوا يدفعون من عرفات قبل الغروب . قال صاحب كتاب حجة الله
البالغة . (ولما كان ذلك قدراً غير ظاهر ولا يتعين ومثل هذا الاجتماع لا بدله

(١) المشعر الاقصى عرفة والال جبل بعرفة فهو بدل بعض من كل
(الشراج) جمع شرج وهو مسيل الماء (مفضى الشراج) تجمعها و (القوابل)
المتقابلة كناية عن اجتماع الناس في مكان واحد وهو عرفة (٢) فيل أن المشعر
الحرام كل مزدلفة (٣) الخطاب في أفيضوا لقريش ومن دان دينهم والمراد
بالناس من عداهم من سائر العرب أمرهم ان يفيضوا من عرفات وهو يقتضى
تكليفيهم بالوقوف عليه ليتمكن الإفاضة منه (٤) روى الترمذى أن حجج
النبي اثنتان بمكة قبل الاسلام والثالثة بالمدينة وهى حجة الوداع

من تعبين وجب أن يعين بالغروب) وكان الذي يلى الاجازة للناس بالحج من عرفة الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر وولده من بعده ويقال له ولولده صوفة (١) وكانت ولايته من قبل ملوك كندة كما نقله بعضهم . وذهب ابن هشام الى انه انما ولى ذلك لان أمه وكانت امرأة من جرم كانت لا تلد فنذرت لله ان هى ولدت رجلاً أن تصدق به على الكعبة ليكون عبداً لها يخدمها ويقوم عليها فولدت الغوث فكان يقوم على الكعبة فى الدهر الاول مع اخواله من جرم فولى الاجازة للناس من عرفة لمكانه الذى كان به من الكعبة وولده من بعده حتى انقرضوا . قال مر بن أد يذكر ولده الغوث ووفاء نذر أمه

انى جعلت رب من بنيه ربيطة بمكة العلية (٢)

فباركن لى بها اليه واجعله لى من صالح البرية

وكان الغوث بن مر فيما زعموا اذا دفع بالناس قال

لاهم انى تابع تباعه ان كان اثم فعلى قضاءه

قال السهيلي « وانما خص قضاة بهذا لان منهم محلين يستحلون الاشهر

الحرم كما كانت خثعم وطىء تفعل . وكذلك كانت النساء تقول اذا حرمت صفراً أو غيره من الاشهر بدلاً من الشهر الحرام يقول قائلهم قد حرمت

(١) قال أبو عبيدة : وصوفة وصوفان يقال لكل من ولى من البيت

شيئاً من غير أهله أو قام بشئ من خدمة البيت أو بشئ من أمر المناسك يقال

لهم صوفة وصوفان . قال أبو عبيدة لانه بمنزلة الصوف فيهم القصير والطويل

والاسود والاحمر ليسوا من قبيلة واحدة وقال ابن الكلبي . انما سمي الغوث

ابن مر صوفة لانه كان لا يعيش لأمه ولد فنذرت لئن عاش لتعلقن برأسه صوفة

ولتجعلنه ربيطاً للكعبة ففعلت فقيّل له صوفة ولولده وهو الربيط - وقيل

ان أم الغوث لما ولدت وكانت نذرت ان ولدت غلاماً لتعبدنه للكعبة ربطته

عند البيت فأصابه الحر ففرت به وقد سقط وذوى واسترخى فقالت ما صار

ابى الا صوفة فسمى صوفة

عليكم الدماء الا دماء المحلين « فلما انقرض بنو الغوث عن آخرهم ورثهم من بعدهم بنو سعد بن زيد مناة بن تميم . وكانت الاجازة في آل صفوان ابن جناب بن شجنة بن عطار بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة ابن تميم قال ابن اسحاق وكان صفوان هو الذي يجير للناس بالحج من عرفة ثم بنوه من بعده حتى كان آخرهم الذي قام عليه الاسلام كرب بن صفوان وقال أوس بن تميم بن مغراء السعدي

لا يبرح الناس ما حجوا معرفهم (١) حتى يقال أجزوا آل صفوانا

مجد بناء لنا قدماً أوائلنا وأورثوه طوال الدهر اخرانا
وكانت الاجازة من منى لصوفة أيضاً كما سنذكره

(النزول بمزدلفة ومنى وبقية أعمال الحج)

كانوا اذا دفعوا من عرفة في الحج باتوا ليلة مزدلفة قال أبو طالب

وليلة جمع والمنازل من منى وهل فوقها من حرمة ومنازل (٢)

والمبيت بمزدلفة سنة قديمة في العرب وكانوا في الجاهلية يوقدون ناراً على قزح وهو جبل بمزدلفة ليراه من دفع من عرفة وأول من أوقدها كما قال السيوطي وغيره قصي بن كلاب ولا تزال توقد الى الآن وكانت الافاصه من المزدلفة في عدوان لا يدفع الحاج منها حتى يجيرهم رجل من عدوان بن عمرو ابن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار وفي أجازتهم يقول ذو الاسبغ العدواني ومنهم من يجيز الناس بالسنة والقرض

روى أن هذه الاجازة كانت لخزاعة فغلبتها عدوان عليها ولم نزل فيهم يتوارنونها حتى كان آخرهم الذي قام عليه الاسلام أبو سياره عميلة بن الاعزل (٣)

(١) المعروف الموقف بعرفات وفي رواية : ولا يرمون في التعريف موفهم

(٢) جمع بفتح الجيم وسكون الميم وعين مهملة هي المزدلفة سميت بذلك من التزلف والازدلاف لان الحجاج اذا أفاضوا من عرفات ازدلفوا اليها أى تقربوا قال النووي . سميت بجمع للجمع بين المغرب والعشاء ومقتضاه أن هاتين الصلاتين كانتا في الجاهلية (٣) كذا قال ابن اسحاق وقال الخطابي اسمه

أحد بنى وايش بن زيد بن عدوان . وكان يدفع بالناس على حمار له اسود أجاز
الناس عليه أربعين سنة حتى ضرب المثل به ف قيل (أصبح من غير أبى سيارة)
وقيل كانت له أتان سوداء عوراء خطامها ليف دفع عليها أربعين سنة وفيه
يقول شاعر من العرب

نحن دفعنا عن أبى سيارة (١) وعن مواليه بنى فزاره (٢)
حتى أجاز سالما حمارة مسنقبل القبلة يدعو جاره (٣)
وكانت اجازته أن يتقدمهم على حمارة ثم يخطبهم فيقول

لا هم انى تابع تباه ان كان اثم فعلى قضاءه (٤)
لا هم مالى فى الحمار الاسود أصبحت بين العالمين أحسد
هلا يكاد ذو البعير الجلعد فق أباً سيارة المحسد (٥)
من شر كل حاسد اذا حسد ومن أذاة النافثات فى المعقد (٦)

اللهم حبيب بين نساءنا - وعاد بين رعاينا واحمل المال فى سمحائنا أو فوا
بعهدكم واكرموا جاركم واقروا ضيفكم ثم يقول

أشرق ثبير كما نغير - ثم ينفر ويتبعه الناس . حكى ذلك الميدانى فى
مجمع الامثال والاصبهانى عن أبى عمرو الشيبانى والسكاكى وقد جمعنا بين أقوالهم
وكانوا فى الجاهلية لا ينفرون من مزدلفة الا والشمس على رؤوس الجبال
ولذلك قال مجيزهم أشرق ثبير كما نغير . وثبير جبل عال بجوار مكة اطلع عليه
الشمس قبل كل موضع أى ادخل يانبير فى الشروق كما نسرع للنجو ولم يقرهم
الاسلام على ذلك فى صحيح البخارى عن عمر انه صلى بجمع الصبح ثم
وقف فقال ان المشركين كانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس ويقولون أشرق

العاصى واسم الاعزل خالد ذكره الاصبهانى (١) رواه : خلوا السبيل
عن أبى سيارة (٢) يعنى بمواليه بنى عمه لانه من عدوان وعدوان وفزاره
من قيس عيلان (٣) أى يدعو الله عز وجل يقال اللهم كن لنا جاراً مما نخافه
أى مجيراً (٤) لان من قضاة محلين (٥) الكيد المكروه و (الجلعد)
الصلب الشديد و (فق) من الوقاية وهى الصون (٦) الأذاة المكروه

ثبير وإن النبي صلى الله عليه وسلم خالفهم ثم أفاض قبل أن تطلع الشمس
 فاذا أفاضوا من مزدلفة نزلوا منى وفيها كانوا يرمون الجمار وينحرون ويحلقون
 فقد كانوا إذا حجوا ساقوا الهدى فإن كان من الأبل قلدوها النعمال والبسوها
 الجلال وأشعروها لتعرف (١) فلا يتعرض لها أحد إلا المحالين من طيى وخشع
 قال عارق الطائي وهو جاهلي يخاطب الملك عمرو بن هند

حلفت بهدى مشعر بكراته ينخب بصحراء الغبيط درادقة (٢)
 لأن لم تغير بعض ما قد صنعتم لا تتحين العظم ذوانا عارقه (٣)
 يقول حلفت أيها الملك بقرايين الحرم وقد أعلمت بكراتها بعلامة الإهداء
 يسرع بصحراء ذلك الموضع صفارها لأن لم تتدارك ما فاتنا من عدلك لا ميلن
 على كسر العظم الذي أخذت ما عليه من اللحم والمعنى أ كسر عظمكم
 أن لم ترجعوا عن ذلك الظلم — وأول من أهدى البدن إلى البيت على ما ذكره
 السيوطي الياس بن مضر

وينحرون هديهم بمنى قال شاس بن عبدة أخو عاقمة النجل
 حلفت بما ضم الحجب إلى منى وما نحر من نحر الهدى المقلد (٤)
 وقدم الشنفرى منى وبها حرام بن جابر فليل للشنفرى هذا قاتل أهلك
 (١) التقليد أن تقلد في عنقها قطعة جلد أو نعل بالية و (الجلال) جمع
 جل بالضم وبالفتح هو ما تلبسه الدابة لنصان به و (الاشعار) أن يلعن السنام
 فيسيل الدم عليه ليستدل بذلك على كونه هديا (٢) الهدى ما يهدى إلى الحرم
 من النعم و (مشعر) اسم مفعول من الاشعار وتقدم تفسيره و (بكراته)
 جمع بكرة وهي الشابة من الأبل و (ينخب) من الخبب وهو خطو فسيح والباء
 من بصحراء بمعنى في و (الغبيط) اسم موضع و (الدرادق) جمع دردق كجعفر
 وهي صفار الأبل والضمير في بكراته ودرادقه لا هدى (٣) وانتحين من الانتحاء
 للشئ وهو التعرض له و (ذو) صفة للعظم و (عارقه) اسم فاعل من عرقت العظم
 أكلت ما عليه من اللحم (٤) الشج سيلان الدم و (الهدى) كغنى ما أهدى
 إلى مكة

فشد عليه وقتله ثم سبق الناس على رجله وقال
 قتلت حراماً مهدياً بلبد بطن أمني وسط الحجيج المصوت
 وقال أبو قيس بن الأسلت من قصيدته يأمر فيها قريشاً بالكف عن رسول
 الله ويذكر فضلهم وأحلامهم

رى طالب الحاجات عند بيوتكم عسائب هلكى تهتدى بعصائب
 لقد علم الاقوام أن سراتكم على كل حال خيراً أهل الجباب
 قال البرقي الجباب هي حفر بمنى يجمع فيها دم البدن والهدايا والعرب
 تفتخر بها وتمظمها

وكانوا يسوقون الهدى في العمرة أيضاً وشاهده ما روى أن النبي صلى
 الله عليه وسلم أحرم عام ست من الهجرة بالعمرة هو وأصحابه وساق معه
 الهدى سبعين بدنة وقد جلاها وأشمرها وأشعر المسالمون بدنهم وقلدوها وليس
 معهم إلا السيوف في القرب سمعت قريش بخروجهم فاستنفروا من أطاعهم
 وعاهدوا الله ألا يدخلوا عليهم مكة عنوة أبداً ونزل رسول الله بالحديبية
 وهي على تسعة أميال من مكة فأرسلت إليه قريش رسالات طاب منه الانصراف
 عن مكة عامه فمضى بمنوا لذلك الحليس بن عاقمة وكان بتأله والمتأله المعظم
 لأمر الله كالحج والعمرة ونحو ذلك مما بقى عندهم من دين إبراهيم عليه السلام
 فاما رآه رسول الله قال لا صحابه هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدى في
 وجهه فاما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادي بقلائده قد أكل أوباره
 من طول الحبس عن محله قال سبحانه الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت
 ورجع الى قريش ولم يأت رسول الله أعظاما لما رأى وصاح قائلاً هلكت قريش
 ورب الكعبة أن القوم انما أتوا عماراً وقال لا صحابه رأيت البدن قلدت وأشمرت
 فما أرى أن يصدوا عن البيت فقول الحليس هذا يدل على أنهم كانوا يسوقون
 الهدى في العمرة أيضاً وكانوا يحلقون رؤوسهم بمنى قال الشاعر

فان تمنعوا منا السلاح فعندنا سلاح لنا لا يشتري بالدرهم

جنادل أملاء الا كف كأنها رءوس رجال حلفت بالمواسم (١)
وقال زهير بن أبي سلمى

فأقسمت جهدا بالمنازل من منى وما سحقت فيه المقادم والقمل (٢)
لأرتحلن بالفجر ثم لأدأبن الى الليل الا أن يعرجنى طمل (٣)
وذكر صاحب تاج العروس فى مادة (قرر) ان ابن السكبي قال عيرت
هوازن وبنو أسد بأكل القررة . وذلك أن أهل اليمن كانوا اذا حلقوا رءوسهم
بمنى وضع كل رجل على رأسه قبضة دقيق فاذا حلقوا رءوسهم سقط الشعر
مع ذلك الدقيق ويجعلون ذلك الدقيق صدقة فكان أناس من أسد وقيس
يأخذون ذلك الشعر بدقيقه فيرمون الشعر وينفعمون بالدقيق قال الشاعر
ألم تر جرما أنجست وأبوكم مع الشعر فى قص الملبد شارع
اذا قررة جاءت يقول أصب بها سوى القمل انى من هوازن ضارع
ولم تكن العرب قاطبة تحلق رءوسها فى منى وشاهده قول ابى المنذر
« ان الأوس والخزرج ومن يأخذ بأخذهم من عرب أهل يثرب وغيرها
كانوا يحجون فيقفون مع الناس المواقف كلها ولا يحلقون رءوسهم فاذا تفروا
أتوا مناة فحلقوا رءوسهم عنده وأقاموا عنده لا يرون لحجهم تماما الا بذلك .
فلا عظام الأوس والخزرج يقول عبد العزى بن وداعة المزنى أو غيره من العرب
انى حلفت يمين صدق برة بمناة عند محل آل الخزرج
وكانت العرب جميعاً فى الجاهلية يسمون الأوس والخزرج جميعاً الخزرج
فلذلك يقول عند محل آل الخزرج »
وكانوا يرمون الجمار قال ابو طالب

(١) موسم الحج مجتمعة (١) والمنازل من منى حيث ينزل الناس منها
و (سحقت) حلفت . يقال سحق رأسه وسبته وحلطه حلقه ويرى سحقت
بالفاء ومعناه حلفت و (المقادم) جمع مقدم الرأس . وأراد بالقمل الشعر أى
وشعر القمل كقوله تعالى واسأل القرية (٢) لا دأبن من الدؤوب فى السير وقوله
(الا أن يعرجنى طمل) أراد الا أن تلقى ناقتى ولدها فتحبسنى وأقيم عليها .

وبالجمرة الكبرى اذا صعدوا لها يؤمون قذفا رأسها بالجنادل
وقال الهذلي

لأدركم شعث النواصي كأنهم سوابق حجاج توافي الجمر (١)
قال ابن اسحاق « كانت صوفة هم بنو الغوث بن مر بن أد بن طابخة
تدفع بالباس من عرفة وتجيز بهم اذا تفروا من منى فاذا كان يوم النفر أتوا لرمي
الجمار ورجل من صوفة يرمى للناس لا يرمون حتى يرمى فكان ذوو الحاجات
المتعجلون يأتونه فيقولون له قم فارم حتى نرمى معك فيقول لا والله حتى تميل
الشمس فيظل ذوو الحاجات الذين يحبون التعجل يرمونه بالحجارة ويستعجلونه
بذلك ويقولون له ويلك قم فارم فيأبى عليهم حتى اذا مالت الشمس قام فرمى
ورمى الناس معه فاذا فرغوا من رمي الجمار وأرادوا النفر من منى أخذت صوفة
بجانبى العقبة حبسوا الناس وقالوا أجزى صوفة . فلم يجز أحد من الناس حتى
يمروا فاذا نفرت صوفة ومضت خلى سبيل الناس فانطلقوا بعدهم فكانوا كذلك
حتى انقضوا فودعهم في ذلك آل صفوان بن جباب بن شجنة » وقد أقر قصي
ابن كلاب لما غلب على أمر مكة آل صفوان وعدوان والنساء على ما كانوا عليه
لانه كان يراه ديناً . فما زالوا كذلك حتى جاء الاسلام . وروى مجاهد أنهم كانوا
اذا قضوا مناسكهم وقفوا عند الجمرة وذكروا آباءهم في الجاهلية وفعال آبائهم
فيقول الرجل منهم كان أبى يطعم الطعام ويحمل الحمالات والديات ليس لهم
ذكر غير فعال آبائهم فنهى الله عن ذلك في قوله « فاذا قضيت مناسككم
فاذكروا الله كذاكم آباءكم أو أشد ذكرا »

ثم يختمون أعمال الحج بالطواف بالبيت فاذا فعلوا ذلك حل لهم كل ما كان
محرم في الحج ومنهم من كان لا يتحلل بذلك . روى ابن العربي أن قريشاً
وبنى كنانة وخزاعة وجميع مضر كانوا يعظمون العزى فاذا فرغوا من حجهم
وطوافهم بالكعبة لم يحلوا حتى يأتوا العزى فيطوفون بها ويحلون عندها
ويعكفون عندها يوماً وقال أيضاً ان الازد وغسان كانوا اذا طافوا بالبيت

(١) الجمر مشدد الميم حيث يقع حصى الجمار

وأفاضوا من عرفات وفرغوا من منى لم يحلوا الا عند مناة التى على ساحل البحر
مما يلى قديد وكانوا يعظمونها ويحجونها وكانوا يهلون لها ومن أهل لها لم يطف
بين الصفا والمروة لمكان الصنمين اللذين عليهما

ولنتمم الكلام على التلبية فى الحج قبل الانتقال منه فنقول قال أبو العلاء
المعري فى رسالة الغفران ان تلبيات العرب منها مسجوع كقولههم لبيك ربنا
لبيك . والخير كله بيدك . ومنها موزون من منهوك الرجز كقولههم

لبيك ان الحمد لك والملك لا شريك لك
الا شريك هو لك تملكه وما ملك

أخو بنات ففدك (١)

فذلك من تلبيات الجاهلية وفدك يومئذ فيها اصنام وكقولههم
لبيك يا معطى الأمر (٢) لبيك عن بنى النمر
جئناك فى العام الزمر (٣) نأمل غيثا ينهمر
يطرق بالسيل الحمر (٤)

ومنها من منهوك المنسرح كقولههم

لبيك رب همدان من شاحط ومن دان
جئناك نبغى الاحسان بكل حرف مذعان (٥)
نطوى اليك الغيطان نأمل فضل الغفران

وكقولههم

لبيك عن بجيلة الفخمة الرجيلة (٥)
ولعمت القبيلة جاءك بالوسيلة
تؤمل الفضيلة

(١) كانوا يقولون ان الاصنام بنات الله و (فذك) قرية بخيبر (٢) الامر
ككثف المبارك (٣) الرمر ككتف القليل الشعر والصوف (٤) الحمر ما وارك من
شجر وغيره (٥) الحرف الناقة الضامرة أو المهزولة أو العظيمة و (ناقة مذعان)
منقادة سلسلة الرأس (٥) رجل راجل ورجيل مشاء وكامير الرجل الصلب

وروا في تلبية بكر بن وائل

لبيك حقا حقا تميدا ورقا
جئناك للنصاحه لم نأت للرقاحة (١)

وروا في تلبية تميم

لبيك لولا ان بكرا دونكا يشكرك الناس ويكفرونكا
ما زال منا عثج يأتونكا (٢)

وروا في تلبية همدان

لبيك من كل قبيل لبوك (٣) همدان أبناء الملوك تدعوك
قد تركوا أصنامهم واتابوك فاسمع دعاء في جميع الاملوك (٤)
ومن التلبية قولهم

لبيك عن سعد وعن بنيها وعن نساء خلفها تعنيها
سارت الى الرحمة تجتنيها
(العمرة)

العمرة من شريعة ابراهيم عليه السلام . وكانت العرب في الجاهلية تعتمر
وتحرم للعمرة وشاهده قول رجل من زبيد في الجاهلية منعه العاص بن وائل
ثمن بضاعة اشتراها منه وكان ذلك سببا لحلف الفضول

يا آل فهر لمظلوم بضاعته بيطن مكة نائى الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته يا للرجال وبين الحجر والحجر
أقائم من بنى سهم بدمتهم أم ذاهب في ضلال مال معتمر

وغالب اعتماهم في شهر رجب كما شرع حينئذ في دين ابراهيم ولذلك جعل الله
رجبا شهرا حراما ليتمكن مريد العمرة من السفر الى مكة وقضاء عمرته والعود
الى بلده آمنا على نفسه وماله وأهله . وعندهم أن العمرة في أشهر الحج من أعظم
الذنوب وأبطل الشارع ذلك . روى ابن عباس قال كانوا يرون أن العمرة في أشهر

(١) الرقاحة الكسب والتجارة (٢) العثج الجماعة من الناس (٣) لبوك

أى لزموا أمرك (٤) الملك صاحب الملك جمعه ملوك وأملاك وملاكاء وملاك
وملك كركع و(الاملوك) بالضم اسم للجمع

الحج من أجز الفجور في الارض وكالوا يسمون المحرم صفرا (١) ويقولون اذا برأ الدبر (٢) وعفا الأثر (٣) وانسلخ صفر (٤) حلت العمرة لمن اعتمر . قدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه صبيحة رابعة (٥) مهلين بالحج فأمرهم أن يجعلوها عمرة (٦) فتعاضم ذلك عندهم فقالوا يا رسول الله أى الحل قال : الحل كله (٧) . ومن أعمال العمرة الطواف بالبيت وشاهده ماروى أن عميا (رجل من عدوان وقيل من اباد وكان فقيه العرب في الجاهلية ويفنى في الحج) أقبل معتمرا ومعه ركب فنزلوا بعض المنازل في يوم شديد الحر وكان على مرحلتين من مكة فقال عمى لقومه وهم في نحر الظهيرة من أتى مكة غدا في مثل هذا الوقت كان له أجر عمرتين فصكوا الابل صكة شديدة حتى وافوا البيت من الغد في ذلك الوقت . فقال في ذلك كرب بن جبيلة العدواني

وصك بها نحر الظهيرة صكة عمى ولا يبغين الا ظلالها (٨)

وجئن على ذات الصفاح كأنها نعام تبغى بالشطى رئالها (٩)

فطوفن بالبيت الحرام وقضيت مناسكها ولم تحل عقالها

وقد قدمنا في الحج أنهم كانوا يسوقون الهدى في العمرة أيضا

قال ابن الاثير في الكامل . وكان من عادة الاوس اذا أراد أحدهم

(١) هو النسيء وتقدم (٢) برأ ثقه و (الدبر) الجرح الذي يكون في

ظهر الابل من اصطكاك الاقتاب والحمل عليه ومشقة السفر وكان يبرأ بعد

انصرافهم من الحج (٣) (عفا الاثر) أى درس وامحى أثر الابل وغيرها في

سيرها لطول مرور الايام وقال الخطابي المراد أثر الدبر (٤) صفر هو المحرم

في نفس الامر وقد سموه صفرا (٥) رابعة أى من ذى الحجة (٦) أمرهم أن

يجعلوها الحجة عمرة وذلك خصوصية لهم ليذهب من قلوبهم أمر الجاهلية من

تحريم العمرة في أشهر الحج . (٧) سألوا أهو الحل العام لكل ما حرم بالاحرام

حتى قربان النساء فأجابهم النبي بانه الحل العام لكل ما حرم به (٨) عمى تصغير

أعمى على الترخيم وسميت الظهيرة صكة عمى به و (نحر الظهيرة أولها)

(٩) الرئال جمع الرأل وهو ولد النعام

العمرة أو الحج لم يعرض اليه خصمه ويعلق المعتمر على بيته كرانيف (١) النخل
الطهارة - الصلاة - الزكاة - الصوم - الاعتكاف

كانوا ينظرون من الحدث الا صغر والا كبر في الجاهلية ويصلون ويزكون
ويصومون ويعتكفون . أما الطهارة بالوضوء لديهم فشاهدها قول صاحب
كتاب حجة الله البالغة (ان هذا الوضوء كان يفعله المجوس واليهود وغيرهم .
وكانت يفعله حكماء العرب) وأما الطهارة بالغسل فشاهدها ما ذكره الزجاجي
في أماليه قال (وكان الحنيف في الجاهلية من كان يحج البيت ويغتسل من
الحمامة وبعسل موتاه ويختن فداجا . الاسلام صار الحنيف المسلم) وموجب
العسل عندهم الجمابة والحيض وكانا مسلمين فيهم قبل الاسلام والدليل على
الاغتسال عند انقطاع الحيض ما روى أن عمرة بنت سبيع كانت مع زوجها
في سفر وكانت حائضا فطهرت ومعهما ماء قليل فاغتسلت فلم يكف لغسلها
وأفقد الماء فبقيا عطشانين فقال لها زوجها كلمته التي جرت مثلا . وفيها
قال الفرزدق

وكنيت كدات الحيض لم ينبق ماءها ولا هي من ماء العذابة طاهر (٢)
وقال الخبيل

ان فشيراً من لقاح بن حازم كفايلة حيفضا وليست بطاهر
والغسل والوضوء فيهم من آثر الاديان السماوية التي أقرها الاسلام . ولقد
تابعنا صاحب كتاب حجة الله البالغة في القول بموجب الوضوء عندهم وكلام
السهريلي يقتضى خلافه فانه كتب على قول ابن هشام في غزوة السويق ان
أبا سفيان لما رجع من مكة ورجع فل قريش من بدر نذر ألا يمسه رأسه ماء
من جنابة حتى يغزو محمدا ما نصه (في هذا الحديث أن الغسل من الجنابة كان
معمولا به في الجاهلية بقية من دين ابراهيم واسماعيل كما بقي فيهم الحج والنكاح
ولذلك سموها جنابة وقالوا رجل جنب وقوم جنب لمجانبتهم في تلك الحال

(١) الكرانيف جمع كرناف بضم الكاف وكسرهما وهي أصول السعف

الغلات المراض تبقى في الجذع بعد قطع السعف (٢) العذابة الرحم

البيت الحرام ومواضع قربانهم ولذلك عرف معنى هذه الكلمة في القرآن أعنى قوله « وان كنتم جنبا فاطهروا » فكان الحدث الاكبر معروفا بهذا الاسم فلم يحتاجوا الى تفسيره — وأما الحدث الاصغر وهو الموحب للوضوء فلم يكن معروفا قبل الاسلام فلذلك لم يقل فيه وان كنتم محدثين فتوضؤوا كما قال « وان كنتم جنبا فاطهروا » بل قال « فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق » الآية فبين الوضوء وأعضائه وكيفيته والسبب الموحب له كالقيام من النوم والمجئ من الغائط وملاسة النساء ولم يحتج في أمر الجنابة الى بيان أكثر من وجوب الطهارة منها للصلاة .

وأما الصلاة عندهم فشاهدها قول صاحب كتاب حجة الله البالغة « وكانت فيهم الصلاة وكان أبوذر رضى الله عنه يصلى قبل أن يقدم على النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين وكان قيس بن ساعدة الأيادي يصلى . والمحفوظ من الصلاة في أمم اليهود والنجوس وبقية العرب أفعال تعظيمية لاسيما السجود وأقوال من الذكر . وكانوا تركوا الصلاة والذكر وأعرضوا عنهما فبعث النبي عليه السلام وهذا حالهم » وروى مسلم في صحيحه « سنده عن عبد الله بن الصامت قال : قال أبوذر يا ابن أخي صليت ستين قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم قال . قلت . فأين كنت توجه . قال حيث وجهى الله وكان منهم من يستقبل الكعبة في صلاته كشرع إبراهيم وإسماعيل حكى عامر بن ربيعة انه لقي زيد بن عمرو بن نفيل وهو خارج من مكة يريد حرا فقال يا عامر انى قد فارقت قومي وأتبعك ملة إبراهيم وما كان يعبد إسماعيل من بعده . كان يصلى الى هذه البنية وروى الاصبهاني في الاغانى أن زيد ابن عمرو بن نفيل كان يستقبل الكعبة في صلاته ويقول يا مولاي :

ليبك حقا حقا تعبدنا ورقا
البر أرجو لا الخال وهل مهجر كمن قال
عذت بما عاذ به ابراهيم مستقبل الكعبة وهو قائم
يقول أنى لك عان راغم مهما تجشمتنى فانى جاشم

ثم يسجد — وحكوا في سر مشروعية استقبال الكعبة في الصلاة أن الكعبة من شعائر الله عند العرب أذعن لها أقاصيهم وأدانيهم وجرت السنة عندهم باستقبالها فلم يكن هناك معنى للعدول عنها

وأما الزكاة عندهم فشاهدها قول صاحب كتاب حجة الله البالغة « ان العرب في الجاهلية كانت فيهم الزكاة . وكان المعمول عندهم منها قرى الضيف وابن السبيل وحمل الكل (١) والصدقة على المساكين وصلة الارحام والاعانة في نوائب الحق (٢) وكانوا يمدحون بها ويعرفون انها كمال الانسان وسعادته . قالت خديجة لرسول الله حين بدى بالوحى . فوالله لا يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتقرى الضيف وتحمل الكل وتعين على نوائب الحق . وان سبيعة ابن ربيع المشهور بابن الدغنة (والدغنة أمه) قال مثل ذلك لأبي بكر « هذا ولا شك ان هذه السمائل العربية فيهم من آثار الاديان السماوية فان قول خديجة لا يخزيك الله أى لفعلك ما أمر به وفي رواية ليس للشيطان عليك سبيل أى لأن أعمالك من الاعمال الرحمانية التي وردت بها الشرائع السماوية وحكى بعضهم أن الزكاة فيهم من شريعة ابراهيم عليه السلام

وأما صومهم في الجاهلية فكان من الفجر الى غروب الشمس وقد ذكر ذلك صاحب كتاب حجة الله البالغة . ومما كانت تصومه قريش يوم عاشوراء . وشاهده ما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت كانت قريش تصوم عاشوراء في الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه فلما هاجر الى المدينة صامه وأمر بعصيامه فلما فرض شهر رمضان قال من شاء صامه ومن شاء تركه . وروى البخارى ومسلم عن ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة (٣) فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء

(١) الكل بفتح الكاف وتشديد اللام العيال واليتيم ومن لا يستقل بأمره وحمل الكل الاعانة بالانفاق على العيال والضعفاء (٢) نوائب الحق الحوادث التي تكون في الحق دون الباطل (٣) يحتمل أن يراد بالمدينة قباء أو يراد بها باطنها

فَسئَلُوا عَنْ ذَلِكَ فَقَالُوا هَذَا الْيَوْمَ الَّذِي أَظْهَرَ اللَّهُ فِيهِ مُوسَى وَبَنَى إِسْرَائِيلَ عَلَى فِرْعَوْنَ فَنَحْنُ نَصُومُهُ تَعْظِيمًا لَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْنُ أَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ . قَالَ النَّوَوِيُّ . وَكَانَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ يَوْمًا تَعْظُمُهُ الْيَهُودُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَتَتَخَذُهُ عِيدًا وَيَلْبَسُونَ نِسَاءَهُمُ اللَّبَاسَ الْحَسَنَ وَالْحُلَى قَالَ الْمَرْحُومُ مُحَمَّدٌ بِأَشَا الْفَلَاسْكِ فِي كِتَابِهِ نَتَائِجُ الْإِفْهَامِ فِي تَقْوِيمِ الْعَرَبِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ « وَفِي كَوْنِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَدَهُمْ صَائِمِينَ ذَلِكَ الْيَوْمَ أَشْكَالَ لِأَنَّ يَوْمَ عَاشُورَاءَ هُوَ الْيَوْمُ الْعَاشِرُ مِنْ شَهْرِ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ أَوْ هُوَ التَّاسِعُ مِنْهُ كَمَا يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ . فَكَيْفَ يَكُونُ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ . وَأَجِيبُ بِأَنَّ السَّنَةَ عِنْدَ الْيَهُودِ شَمْسِيَّةٌ لَا قُرْبِيَّةٌ فَيَوْمَ عَاشُورَاءَ الَّذِي كَانَ عَاشِرَ الْمُحَرَّمِ وَاتَّفَقَ فِيهِ غَرَقَ فِرْعَوْنُ لَا يَتَّقِيْدُ بِكَوْنِهِ عَاشِرَ الْمُحَرَّمِ بَلْ اتَّفَقَ أَنَّهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ أَيْ زَمَنَ قُدُومِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ وَجُودَ ذَلِكَ الْيَوْمِ بِدَلِيلِ سَوَالِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَدَلُّوَكَ أَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ مَا سَأَلَ وَمَا يُوْثِقُ ذَلِكَ مَا فِي الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ لِلطَّبْرَانِيِّ عَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : لَيْسَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ الَّذِي يَقُولُ النَّاسُ إِنَّمَا كَانَ يَوْمَ تَسْتَرَفِيهِ الْكَعْبَةُ وَتَلْعَبُ فِيهِ الْحَبْشَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ . وَكَانَ بِدَوْرٍ فِي السَّنَةِ . وَكَانَ النَّاسُ يَأْتُونَ فَلَانَا الْيَهُودِيَّ فَيَسْأَلُونَهُ فَلَمَّا مَاتَ أَتَوْا زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَسَأَلُوهُ « ثُمَّ نَقَلَ عَنِ الْبَيْروْنِيِّ فِي كِتَابِ الْأَثَرِ أَنَّهُ قَالَ « وَقَدْ قِيلَ أَنَّ عَاشُورَاءَ عِبْرَانِيٌّ مُعَرَّبٌ عَاشُورَ وَهُوَ الْعَاشِرُ مِنْ تَشْرِىِ الْيَهُودِ الَّذِي صُومَهُ صَوْمُ الْكِبُورِ وَأَنَّهُ اعْتَبِرَ فِي شُهُورِ الْعَرَبِ فَجُعِلَ فِي الْيَوْمِ الْعَاشِرِ مِنْ أَوَّلِ شُهُورِهِمْ كَمَا هُوَ الْيَوْمُ الْعَاشِرُ مِنْ أَوَّلِ شُهُورِ الْيَهُودِ » ثُمَّ قَالَ فَمِنْ جَمِيعِ مَا ذَكَرَ يَنْتَجِ أَنَّ النَّبِيَّ دَخَلَ الْمَدِينَةَ فِي ١٠ تَشْرِىِ وَقَدْ فَرَضَ فِي التَّوْرَةِ صَوْمَ هَذَا الْيَوْمِ وَاخْتَلَفَ الرُّوَاةُ وَأَصْحَابُ السِّيَرِ فِي يَوْمِ دَخُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ أَهْوَ الْيَوْمُ الثَّانِي أَمْ الثَّامِنُ أَمْ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ كَمَا أَنَّهُمْ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ هَذَا الْيَوْمَ كَانَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ (١) وَعِنْدِي أَنَّ أَرْجَحَ

(١) دَعَاوَاهُ الْإِتْفَاقُ مَمْنُوعَةٌ فَقَدْ حَكَى السَّهَيْلِيُّ أَنَّ ابْنَ السَّكَلَبِيِّ قَالَ .

خَرَجَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْغَارِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ أَوَّلَ يَوْمٍ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ

(١٠)

هذه الايام ما يدل الحساب على أنه كان يوم الاثنين . وحيث أن الحساب لا يؤدي البتة الى أن الثاني أو الثاني عشر من ربيع الاول كان يوم الاثنين تعين بالضرورة ان الثامن هو يوم وقوع الحادثة . وتكون الخلاصة أن الهجرة أو دخول النبي عليه الصلاة والسلام المدينة كان في يوم الاثنين ثامن ربيع الاول الموافق ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ للميلاد و ١٠ تشرى سنة ٤٣٨٣ للخليفة

وأما الاعتكاف فكانوا يعدونه قربة من القرب وينذرونه وشاهده مارواه مسلم في صحيحه بسنده عن عمر بن الخطاب قال يا رسول الله اني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام قال . فأوف بنذرك وكذلك كانت أعتكاف المجاورة قربة . لما رواه عبد بن عمير بن قتادة قال . كان رسول الله يجاور في حراء من كل سنة شهرا . وكان ذلك مما تمنحت به قريش في الجاهلية والنحنت التبر (١) وشاهده قول أبي طالب

وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه وراق لبر في حراء ونازل (٢)

فقد أقسم أبو طالب بالصاعد جبل حراء للتعبد فيه وبالنازل منه وكان من عادة النبي صلى الله عليه وسلم اذا جاور ذلك الشهر أن يطعم من جاءه من المساكين فاذا قضى جواره من شهره ذلك كان أول ما يبدأ به اذا انصرف من جواره الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعا أو ماشاء الله من ذلك ثم يرجع الى بيته . وأول منازل عليه الوحي كان بحراء في جواره . قال ابن عبد البر ولا فرق بين الجوار والاعتكاف الا من وجه واحد وهو أن الاعتكاف لا يكون الا داخل المسجد والجوار قد يكون خارج المسجد

يوم الجمعة لثنتي عشرة منه (١) العرب تقول التحنث والتحنف يريدون الحنيفية فيبذلون بالفاء الثاء وتفعل تقتضي الدخول في الفعل وهو الاكثر فتحنث وتبرر بمعنى دخل في الحنيفية وفي البر (٢) ثور وثبير جالان من جبال مكة . وفي البيت رواية لابن هشام وهي وراق ليرقى في حراء ونازل ولان الراقى لا يرقى قال السهيلي وأصح الروايتين وراق لبر في حراء ونازل قال البرقي هكذا رواه ابن اسحاق وغيره وهو الصواب

ولذلك لم يسم عبيد بن عمير جواره بحراء اعتكافا لان حراء ليس من المسجد
ولكنه من جبال الحرم

الاستسقاء بالدعاء وبالنار

كانت العرب في الجاهلية اذا حبس عنهم المطر لجئوا الى الله تعالى يستمطرونه
ليكشف ما نزل بهم من البلاء وكانوا كثيرا ما يستمطرون في الاماكن المطهرة
طمعا في اجابة الدعاء كما كانوا يستسقون بمن يرجون الخير بيمن طلعتهم

والاستسقاء فيهم من زمن قديم وهو من بقايا الشرائع السماوية . فقد
ذكر أن عادا أصابهم قحط فتتابع عليهم بتكذيبهم هودا فأرسلوا وفدا الى
مكة يستسقون لهم فبعثوا قيل بن عسير ولقيم بن هزال ومرثد بن مسعد .
وكان مسلما يكتن اسماءه وجاهله بن الخيبري خال معاوية بن بكر ولقمان بن
عاد في سبعين رجلا من قومهم فاستسقوا فأرسل الله على عاد سحابة سوداء
ملأها عذابا فلما طلعت عليهم استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا واذا به
ما استعجلوا به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء مرت به فأهلكهم الله
بريح عاتية تركتهم كأنهم أعجاز نخل خاوية . وعلم الوفد حين رجعوا بمهلك
قومهم . وفي ذلك يقول عباس بن مرداس السلمى

في كل عام لنا وفد نسيرهم نختارهم حسبا منا وأحلاما
كانوا كوفد بني عاد أضلهم قيل فأتبع عام منهم عاما
عادوا فلم يجدوا في أرض قومهم الا مغايهم فقرا وآراما

ولقد حفظ لنا التاريخ مثلا من دعواتهم في الاستسقاء نذكره لما فيه من الفائدة
والبلاغة . فمن ذلك ما حدث به مخزومة بن نوفل قال : سمعت أمي رقيقة بنت
أبي صيفي بن هاشم بن عبد مناف وكانت لدة (١) عبد المطلب قالت تتابع
على قریش سنون أمحلت (٢) الارض وأذهبت الاموال وأقحلت (٣) اللحم
وأرقت العظم وأشفين (٤) على الانفس فبينما أنا نائمة الهم أو مهومة (٥) اذا
(١) اللدة الترب بكسر التاء أى النظير في السن (٢) أمحلت أقحطت (٣)
أقحلت أي بست (٤) أشفى أشرف (٥) المهوم من يكون بين النائم واليقظان

أنا بهاتف صيت (١) يصرخ بصوت صحل (٢) أقشعر له جلدى يقول :يامعشر قريش ان هذا النبي المبعوث فيكم قد أظلمتكم (٣) أيامه وهذا أوانه وابان نجومه (٤) خيهلا بالحيا والخصب والفلاح (٥) ألا فانظروا رجلا منكم وسيطا طوالا عظاما أبيض بضاً أو طف الاشفار (٦) سهل الخدين (٧) أشم العرنين (٨) مقرون الحاجبين له شرف يكظم عليه وسنة تعزى (٩) اليه الا فليخلص هو وولده وليدلف اليه من كل بطن (١٠) رجل فليسنوا (١١) من الماء وليمسوا من الطيب ثم ليستلموا الركن (١٢) وليطوفوا بالبيت سبعاً وليرتقوا بأقبيس الا وفيهم الطيب الطاهر ألا فليدع الرجل وليؤم القوم الا فغثم (١٣) اذا شئتم وعشتم قالت فأصبحت علم الله مذعورة مفراة قد قف لها جلدى ووله عقلى (١٤) فاقترصت رؤياى فنمت (١٥) فى شعاب مكة فوالحرمة والحرم ما سمع بها أبطحى الا قال هذا شيبة الحمد عبد المطلب (١٦) وتنامت اليه رجالات قريش

(١) الصيت البعيد الصوت (٢) الصحل صوت فيه بحة (٣) أظل دنا وقرب (٤) النجوم الطلوع (٥) حيهل بكذا أى عليك به و (الحيا) المطر و (الفلاح) البقاء (٦) الوسيط من قولهم أوسطهم حسناً أى اكرمهم وأشرفهم و (الطوال) الطويل و (العظام) العظيم و (البض) الممتلى وفى رواية أوطف الاهداب و (الاوطف) طويل الاهداب و (الاهداب) شعر أشفار العيون مفردة هذب (٧) سهل الخدين قليل اللحم (٨) شمم العرنين طول طرف الانف (٩) كظم بمعنى أمسك ومنه يكظم غيظه و (السنة) السيرة و (تعزى) أى تنسب (١٠) الدلف مشى على مهل كمشى الشيخ و (البطن) من لطن العرب دون القبيلة وقد يطلق عليها (١١) سن عليه الماء بالسین المهمة صبه (١٢) استلام الركن ضم الحجر (١٣) غثم مطرتم (١٤) الذعر الفزع و (مفراة) بالفاء الموحدة متحيرة مدهوشة من فرى بكسر الراء تحير ودهش و (قف جلده) يبس ويروى قب أى ذوى و (الوله) ذهاب العقل (١٥) نمت بتشديد الميم فشت ومنه النام وبتخفيفها زادت من النمو (١٦) الشعاب جمع شعبة ما صغر من التلعة والتلعة ما ارتفع من الارض و (الحرمة) الذمه وما يجب حفظه

وانقض (١) اليه من كل بطن رجل فسنوا من الماء ومسوا من الطيب واستلموا
الركن أو اطوفوا ثم ارتقوا أباقبيس فطفق القوم يدفون (٢) حوله ما ان يدرك
سميهم مهلة حتى يحملوا ذروته واستكفوا جنابته (٣) ومعه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يومئذ غلام قد أيقع أو كرب (٤) فقال عبد المطلب اللهم ساد
الخلة (٥) وكاشف الكربة أنت عالم غير معلم ومسئول غير مبخل (٦) وهذه
عبادك واماؤك بعذرات حرمك (٧) يشكون اليك سنتهم التي أذهبت الخف
وأفنت الظلف (٨) فاسمع اللهم دعاءنا وأنزل علينا غيثا مريعا مفدقا ودقا
(٩) طبقا فما راموا البيت حتى انفجرت السماء بمائها وكظ الوادي بشجيجه
(١٠) فسمعت شيخان قریش وجلتها (١١) يقولون هنيئا يا أبا البطحاء
اذ عاش بك أهل البطحاء وفي ذلك تقول رقيقة بنت أبي صيفى تمدحه عليه
الصلاة والسلام

بشبية الحمد أسقى الله بلدتنا وقد فقدنا الحيا واجلوزا المطر (١٢)

و (الحرم) حرم مكة و (الابطحى) هو القرشى من مكة خاصة و (شبية الحمد)
هو عبد المطلب (١) تنامت اجتمعت و (انقض) أسرع (٢) طفق دام و (يدفون)
يتداولون (٣) ذروة كل شئ أعلاه و (استكفوا) أحاطوا به ينظرون اليه
و (جنابته) ناحيته (٤) أيقع الغلام قارب الاحتلام و (كرب) من أفعال
المقاربة والمعنى أو قارب (٥) الخلة الحاجة (٦) غير بخيل (٧) عبادك جمع عبد.
ويروى عبادؤك بكسر العين والباء وتشديد الدال أى عبيدك و (بعذرات
حرمك) أى بافنائها (٨) الظلف للبقرة والشاة ومثلها كالتقدم للسان و (الخف)
للبعير وأراد ذوات الظلف وذوات الخف (٩) مريعا أى مخصبا و (المفدق)
الكثير القطرو (الودق) المطر (١٠) راموا برحوا و (كظ) الوادي أى ضاق
بالماء لكثرته و (نحيجه) سيلانه (١١) شيخان جمع شيخ والشيخ من
استبان فيه السن أو من خمسين أو احدى وخمسين الى آخر عمره أو الى
الثمانين و (جلتها) عظامؤها وسادتها (١٢) الحيا الخصب والمطر و (اجلوز)

فجاد بالماء جوفى له سبل دان فعاش به الانعام والشجر (١)
 منا من الله بالميمون طائره وخير من بشرت يوما به مضر (٢)
 مبارك الامر يستسقى الغمام به مافى الانام له عدل ولا خطر (٣)
 وقد حضر النبي صلى الله عليه وسلم استسقاء آخر وكان رضيعا . وذلك أن
 قريشا أجذبت وحبس عنهم المطر فأمر عبد المطلب ابنه أبا طالب أن يحضر
 المصطفى وهو رضيع في قاط فلما حضر وضعه على يديه واستقبل الكعبة
 ورماه الى السماء وتناوله بيديه ثم رماه ثانيا وثالثا وهو يقول يارب بحق هذا
 الغلام اسقنا غيثا مغيثا مغدقا دائما هاطلا فما انصرفوا حتى جاءهم الغيث وفي
 ذلك يقول عمه أبو طالب في قصيدته اللامية

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل (٤)
 يطيف به الهلاك من آل هاشم (٥) فهم عنده في نعمة وفواضل
 ويستسقى كل ذى دين من معبوده بالتقرب اليه وسند ذكر خبر خولان وتوسلهم
 لصنمهم عميانس بالذبائح ليسقوا .

ومنهم من يستسقى بالنار وكانوا اذا أرادوا الاستمطار بها جمعوا ماقدروا
 عليه من البقر وعقدوا في أذناها وبين عراقيها حزما من السلع والعشر (٦)
 وأوقدوا فيها النار وأصعدوها في جبل وعرفقوا بينها وبين أولادها

مضى وذهب (١) الجون الابيض والاسود وهو من الاضداد و(السبل) المطر
 (٢) من عليه أنعم و(الميمون طائره) أى السعيد حظه و(مضر) قبيلة من
 العرب (٣) فى رواية مبارك الكف و(الغمام) سحاب المطر و(الانام) الخلق
 و(العدل) بالكسر مثل الشئ و(لا خطر) أى لا مثل له فى علوه (٤) قد عبر عن
 الكرم بالبياض . يقال له عندى يد بيضاء أى معروف و(الثمال) العماد
 والمأجأ والمطعم والمغنى والكافى و(العصمة) ما يعتصم به ويتمسك (٥) فى
 رواية يلوذ به الهلاك و(الهلاك) الفقراء والصعاليك الذين ينتابون الناس طلبا
 لمعروفهم من سوء الحال (٦) السلع بفتححتين و(العشر) بضم ففتح ضربان
 من الشجر

وساقوا البقر الى ناحية المغرب دون سائر الجهات وهم يصيحون بالتضرع والدعاء لله تعالى ويستسقونه وسط خوار الثيران وتأجج الميران يستجلبون بذلك رحمته وفي ذلك يقول أمية بن أبي الصلت

سنة أزمة تبرح بالسـ س ترى للعضاء فيها صريرا (١)
لا على كوكب تنوء ولا ريح جنوب ولا ترى طحرورا (٢)
اذ يسفون بالدقيق وكانوا قبل لا يأكلون شيئا فطيرا (٣)
ويسوقون باقر السهل للطود مهازيل خشية أن تبورا (٤)
عاقدين النيران في ثكن الاذ ناب منها لكى تهيج البحورا
فاشتوت كلها فهاج عليهم ثم هاجت الى مسير صبرا (٥)
فراها الآله ترسم ناطقـ وأمسى جناهم ممطورا (٦)
سـلع ما ومثله عشر ما عائل ما وعالت البيقورا (٧)

(١) أزمة أى شديدة وفي رواية سنة حدة و (تبرح بالناس) تصيبهم بشدة الاذى و (العضاء) جمع عضاهة وهى أعظم الشجر أو الخيط أو كل ذات شوك و (الصرير) الصوت (٢) نوء النجم سقوطه فى المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله من ساعته و (ريح الجنوب) هى التى تخالف الشمال وهبها من مطلع سهيل الى مطاع الثريا - ما فى السماء (طحرور) وطحرورة أى لطح من السحاب (٣) الباء فى بالدقيق زائدة و (الفطير) من المعجن ما اختبرته من ساعته ولم تخمره (٤) الباقر البقر و (الطود) الجبل أو عظيمه و (تبور) تهلك (٥) الصبير السحابة البيضاء أو الكثيفة التى فوق السحابة أو الذى يدور بعضه فوق بعض (٦) رسم الغيث الديار عفاها وأبقى أثرها لاصقا بالارض و (الجاب) الغناء والناحية (٧) قال ابن أبى الحديد « يروى أن عيسى بن عمر قال ما أدرى معنى هذا البيت ، ويقال أن الاصمعى صحف فيه فقال وغالت البيقورا بالغين المعجمة وفسره غيره فقال عالت بمعنى أثقلت البقر بما حملتها من السلع والعشر و (البيقور) البقر و (عائل) غالب أو مثقل ، ويمكن أن يحمل تفسير الاصمعى

وقال آخر

يا كل قد أثقلت أذنان البقر بسلع يعقد فيها وعشر

فهل تجودين ببرق ومطر

وهذه النار تسمى نار الاستمطار . وأنكر كثير منهم فائدة الاستمطار

بالنار قال الشاعر

شفعنا بديقور الى هائل الحيا فلم يغن عنا ذاك بل زادنا جدبا

فعدنا الى رب الحيا فأجادنا وصير جذب الارض من عنده خصبا

وقال آخر

قل لبنى نهشل أصحاب الحور أتطلبون الغيث جهلا بالبقر

وسلع من بعد ذاك وعشر ليس بهذا يحلل الارض المطر

وقال الورل الطائي يعيبهم أيضا .

لا در در رجال خاب سعيهم يستمطرون لدى الازمات بالعشر

أجعل أنت بيقورا مسلعة ذريعة لك بين الله والمطر

قال ابن أبي الحديد ه وانما أضرموا النيران في أذنان البقر تفاؤلا للبرق

بالنار . وقال بعض الاذكياء كل أمة قد اتخذوا في مذاهبها مذاهب ملة أخرى

وكانت الهند تزعم أن البقر ملائكة سخط الله عايتها فجعلها في الارض وأن

لها عنده حرمة ، وكانوا يلطخون الابدان بأختائها ويفسلون الوجوه ببولها

ويجعلونها مهور نسائهم ويتبركون بها في جميع أحوالهم فلعل أوائل العرب

خذوا هذا الخذو واتهجوا هذا المسلك « وللبقر عند قدماء المصريين أسمى

المنازل الدينية وليست هذه العادة من الخرافات فان للدخان أثرا في الامطار

وقد جرب بعض علماء الافرنج بأمرىكا انزال المطر بالدخان المتكاثف

فنجحت تجربته

على محمل صحيح فيقال غالت بمعنى أهلكت يقال غاله كذا واغتماله أى أهلكه

وغالتهم غول يعنى المنية «

(النذر)

كانوا في الجاهلية يوجبون على أنفسهم فعل أشياء أو تركها وذلك هو
النذر ويتمدحون بالوفاء به قال عنزة العبسي في معلقته

ولقد خشيت بأن أموت ولم تدر للحرب دائرة على ابني ضمضم
الشامى عرضى ولم أشتمهما والناذرين اذا لم ألقهما دى

وقال زهير

قد أشهد الشارب المعذل لا معروفه منكر ولا حصر (١)

في فتية ليني المآزر لا ينسون أحلامهم اذا سكروا

يشوون للضيف والعفاة ويو فون قضاء اذا هم نذروا (٢)

وكانت قديما بذورهم تقربا لله تعالى ثم لما تغيرت الحنيفية بعبادة الاوثان
ودخلت فيهم الديانات الوضعية صاروا ينذرون لأصنامهم أو للانتقام أو غير
ذلك من الاغراض المخلفة الى لا يمكن استنصاؤها ولذكر أمثلة منها
في صحيح مسلم أن عمر بن الخطاب قال يا رسول الله انى نذرت في الجاهلية
أن اعتكف ليلة في المسجد الحرام قال وأوف بنذرک

ومنها ما روى أن الحكم بن عبد يغوث المقرئ نذر ليذبحن مهاة على
الغبغب (٣) وكان من أرمى الناس فرام صيدها أياما فلم يمكنه فكان يرجع
مخفقا حتى هم بقتل نفسه مكانها فقال له انه مطعم احماني أرفدك فقال ما احمى
من رءش رهل (٤) جبان فشل فمارال به حتى حمله فرمى الحكم مهانين فاحطأهما
فلما عرضت الثالثة رماها مطعم فاصابها فقال الحكم (رب رمية من غير رام)

(١) المعذل كمعظم من يعذل لافراط جوده و (الحصر) البخل والعى في المنطق

(٢) العافى الضيف وكل طالب فضل أو رزق (٣) المهاة البقرة

الوحشية (والغبغب) منحصر العزى كانوا ينحرون فيه هداياها (٤) الارفاد

الاعانه و (رهل) لحمه بالكسر اضطرب واسترخى وانتفخ أو ورم

من غير داء

فضربت مثلاً في فلتة احسان من المسمى

ومنها أن الغوث بن مر بن أد بن طابخة كان لا يعيش لامه ولد فنذرت لئن عاش لتعلقن برأسه صوفة ولتجعلانه ريطاً للكعبة فلما عاش لها الغوث وفت بنذرها فسمى صوفة وكان له ولولده الاجازة بالحج من عرفة ومن منى لمكانه من الكعبة .

ومن ذلك نذر تهود الاولاد قال السهيلي « اليهود بنو اسرائيل وجملة من كان منهم بالمدينة وخيبر انما هم قريظة والنضير وبنو قينقاع غير أن في الاوس والخزرج من قد تهود وكان من نسائهم من تنذر اذا ولدت ان عاش ولدها ان تهود لان اليهود عندهم كانوا اهل علم وكتاب وفي هؤلاء الابناء الذين تهودوا نزلت (لا اكره في الدين) حين اراد آباؤهم اكراههم على الاسلام في أحد الاقوال »

ومن ذلك ما روى ان عاصم بن ثابت بن أبي الاقلح قتل في غزوة احد من المشركين مسافع بن طلحة واخاه الجلاس بن طلحة كلاهما يصيبه بسهم فيأتى امه سلافة فتضع رأسه في حجرها وتقول يا بى من أصابك . فيقول سمعت رجلاً يقول حين رماني خذها وأنا ابن أبي الاقلح فنذرت ان أمكنها الله من رأس عاصم ان تشرب فيه الخمر

ومنها ما روى ان ابا سفيان لما رجع من مكة ورجع منهزم وقریش من بدر نذر الابس رأسه ما من جنابة حتى يغزو محمداً

ومنها ما كان من عبد المطلب بن هاشم فانه حين لقي من قریش ما لقي عند حفر زمزم نذر لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يعموه لينحرن أحدهم لله عند الكعبة فلما بلغ بنوه عشرة وعرف انهم ما عموه جمعهم وأخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء لله بذلك فأطاعوه فجعل لكل قدحاً وكتب عليه اسمه وضرب القداح سادن هبل عنده فخرج قدح عبد الله فهم يذبجه فقامت قریش وقالوا لا تذبجه ابداً حتى نعد رغيه لئن فعات هذا لابلال الرجل يأتي بابنه حتى يذبجه فما بقاء الناس على هذا وأشاروا اليه أن يذهب لعرافة سموها له ليستفتيها فيما

نزل به فلما نزل عبد المطلب بساحتها وقص عليها أمره أمرته أن يضرب
 القداح على عبد الله وعلى عشر من الابل فان خرج قدح عبد الله زاد الابل
 عشرا وضرب ولا يزال يفعل ذلك حتى يخرج القدح على الابل فعاد الى مكة
 وضرب القداح وما زال يزيد الابل حتى بلغت مائة نخرج القدح عليها
 فذبحوها وعبد الله هو والد نبينا المراد بقوله عليه الصلاة والسلام أنا ابن
 النسيحين وثنائهما اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام

ومن نذورهم السائبة ان أحدهم كان اذا نزل به المذكور ويذكر ان رفع عنه
 ان يسبب ناقته . فاذا فعل ذلك لم تمنع من الماء ولا من الكلاء . وقد يسيبون
 غير الساقة . وكانوا اذا سيبوا العبد لم يكن عليه ولاء

ومن نذورهم ما كان من لبيد بن ربيعة بن عامر وكان شريفا في الجاهلية
 والاسلام فقد نذر في الجاهلية الاتهب الصبا الانحر وأطعم . وهبت الصبا يوما
 وهو بالكوفة مقترم ملاق فلم بذلك الوليد بن عقبة بن أبي معيط وكان أميرا
 عليها لعثمان فخطب الناس فقال ان أخاكم لبيدا كان آلى على نفسه في الجاهلية
 ألا تهب الصبا الا أطعم وألزم نفسه ذلك في الاسلام وهذا اليوم من أيامه
 فأعيوه فأنا أول من يعينه ثم نزل فبعث اليه بمائة بكرة . وبعث الناس اليه
 فقضى نذره وكتب اليه الوليد

أرى الجزار يشحذ شفرتيه اذا هبت رياح أبي عقيل

أغر الوجه أبيض عاسري طويل الباع كالسيف الصقيل

وفي ابن الجعفرى بحلفتيه على العلات والمال القليل (١)

بنجر الكوم اذ مسحبت عليه ذبول صبا تجاوب بالاصيل (٢)

فلما أتاه الشعر قال لابنته أجيبيه فقد أراني ولا أعيا بجواب شاعر

فانشأت تقول

اذا هبت رياح أبي عقيل دعونا عبد هبتها الوليدا

أغر الوجه أبيض عبشميا أعان على مروءته لبيدا

(١) على علاته أى على كل حال (٢) الكوم القطعة من الابل

بأمثال الهضاب كان ركبا عليها من بنى حام قعودا (١)
أبا وهب جزاك الله خيرا نحرناها وأطعمنا الوليدا
فعد ان الكريم له معاد وظى يا ابن أروى أن تعودا

فقال أحسنت لولا انك استزدته فقلت انه ملك ولو كان بسوقة لم أفعل
ذبح الظبي في نذر الشاة — كان أحدهم يقول عند المكروه يصيبه ان

خلصت منه لا ذبحن من الغنم كذا وكذا ثم اذا كشف الله عنه ما يكره ضن بما
نذر لان من ألباسها غذاؤه وكره عدم الوفا فاستبقى الغنم وذبح من الأطباء التي
يصيدها بعدد ما نذر من الغنم وقال الأطباء شاء كما أن الغنم شاء فيجعل ذلك
القربان شاء كله مما يصيد من الأطباء . قال الحارث بن حلزة

عنتابا طلا وظلما كما نع ترعن حجرة الربيض الأطباء (٢)
أعلينا جناح كمدة أن يغنم غازيهم ومنا الجزاء

واصل العتر الذبح في رجب وكانت العرب تذكره لألقتها فيقول قائلهم
ان رزقنى الله خمسين شاة ذبحت منها في رجب واحدة مثلا ويسمى هذا الذبح
العتيرة والرجبية — ومعنى البيتين انكم الزمتعوننا ذنب غيرنا عنتا باطلا كما
يدبح الظبي لحق وجب في الغنم وقال الرماح في تلك العتائر

كان الغوى الفرد أجسد رأسه عتائر مظلوم الهدى المذبح (٣)
وقال كعب بن زهير في رثاء جوى المزنى وهى من أبيات الحماسة
لنذكر والمذور لها وفاء اذا بلغ الخزاية بالغوها

(١) الهضاب والهضب جمع الهضبة وهى الجبل و (حام) هو ابن نوح
أبو السودان (٢) العنت الفساد (وتعتر) تذبح (والحجرة) بالفتح الناحية
والمراد بها هنا موضع الغنم و (الربيض) الغنم برعاها المجتمعة في مراتبها
(٣) الغوى الضال ولعله يريد به الصنم و (الجسد) الدم اليابس والزعفران
واذا قام الثوب من الصبغ قيل قد أجسد ثوب فلان و (العتائر) الذبائح
واضافة الذبائح لمظلوم اضافة بيانية . والهدى المذبح المظلوم هو الأطباء
المذبوحة بدل الشياه

كانك كنت تعلم يوم بزت ثيابك ما سيلقى سالبوها (١)
فما عتر الظباء بحى كعب ولا الخمسون قصر طالبوها
والمعنى انما وفينا ولم نقنع فى أخذ تأرك بشئ يغنى عما ندرته كما تذبح
الظباء بدل الغنم

وكان سبب هذه الابيات أن جوياء المزنى مر على الاوس والخزرج وهم
يقتتلون والاوس حلفاء مزينة فقاتل جوى مع حلفائه فأصيب مر به ثابت بن
المنذر بن حرام أبو حسان الشاعر فقال : اخا مزينة ما طرحك هذا المطرح
فوالله انك من قوم ما يحمونك فرفع جوى رأسه اليه وهو يحود بنفسه
فقال : اعطى الله عهدا ليقتلن منكم خمسون ليس فيهم اعور ولا أعرج وبلغت
كلمته قومه فوفوا له بما قال - فلذلك يقول الرماح : ولا الخمسون قصر
طالبوها ومن هذا الباب قولهم فى المثل (أفرع بالظبي وفى المعزى دثر) الباء
فى بالظبي زائدة أى ذبح الظبي وفى المعزى كثرة - - يضرب مثلا لمن له
اخوان كثيرون وهو يستعين بغيرهم

(ما يفعلونه للموتى)

نذكر فى هذا الفصل عاداتهم التى منشؤها الشرائع السماوية كتحنيط الميت
وتكفينه وغسله والمبالغة فيه بوضعهم فى ماء الغسل سديرا ونحوه ثم نتبع ذلك
تنميا للموضوع بما كان منشؤه المعتقدات الوهمية كوضع البلية على القبر يركبها
الميت يوم البعث وبما كان منشؤه الفخر والزهو كاتخاذ حرم للقبر وتعلية بنائه
وغير ذلك

نعي الموتى - قال الاصمعى كانت العرب اذا مات فيهم ميت له قدر
ركب راكب فرسا وجعل يسير فى الناس ويقول نعماء فلانا أى انعه وأظهر خبر
وفاته وهذا هو الساعى المراد بقول المتنخل الهدلى

(١) بزت الثياب سلبت

أقول لما أتاني الناعيان به لا يبعد الرمح ذو النصلين والرجل (١)
 رمح لما كان لم يقلل نوء به توفي به الحرب والعزاء والجلل (٢)
 وقول أعشى باهلة يرثي أحياه لأمه المنتشر
 اني أتتى لسان لا أسر بها من غلوا لعجب منها ولا سخر (٣)
 فظاات مكتئباً حران أندوه وكنت ذا حذر لو ينقم الحذر
 جاشت النفس لما جاء جمعهم وراكب جاء من تثليث معتمر (٤)
 يأتي على الناس لا يلوى على أحد حتى التقينا وكانت دوننا مضر (٥)
 ان الذي حئت من تثليث تدا به منه السماح ومنه النهى والغير
 ينعي امرأ لا تغب الحي جفنته اذا السكوا كب اخطأ نوءها المطر (٦)
 والغرض من اتخاذ الناعى الاعلام لينهض الناس بالواجب عليهم نحو هذه
 المصيدة ولتعزيزة أهل الميت

(١) يبعد بمعنى يهلك و (الرمح) فاعل يبعد و (النصل) حديد الرمح
 الذى بطعن به وهو السنان (٢) (رمح لنا) أى هو رمح لنا وضهير كان
 يرجع الى المرنى وجملة (لم يقلل) خبر كان أى لم يكسر ولم يثلم من الفل بفتح
 الفاء واحد الفلول وهى كسور فى الشئ و (نوء به) أى نهض به يقال ناء
 بكذا أى نهض به مثقلا و (توفى به الحرب) أى تعالى به وتقهر وهو بالفاء
 وروى بالقاف أيضا من الوفاية و (العزاء) بفتح المين وتشديد الزاء المعجمة
 السنة الشديدة و (الجلل) بضم الجيم وفتح اللام جمع حلى وهو الامر الجليل
 العظيم و (كبرى) و (كبرى) و (غرى) و (غرى) اللسان الرسالة وأراد بها نعى المنتشر
 و (سخر) بضم السين والمعنى أتاني خبر من أعلى نجد لا أعجب منها وان
 كانت عظيمة لان مصائب الدنيا كثيرة (٤) جاشت النفس ارتفعت من حزن
 أو فزع (٥) لا يلوى على أحد أى لا يعرج (٦) النعى خبر الموت و (أغبت)
 القوم جفنته جاءتهم يوم، او تركت يوما كغب و (النوء) سقوط النجم فى المغرب
 مع الفجر وطلوع آخر يقابله من ساعته فى المشرق والعرب كانت تنسب نزول
 المطر للنوء فتقول مطرنا بنوء كذا

غسل الميت — كانوا يغسلون موتاهم في الجاهلية . قال الافوه الاودى
 ألا علماني واعلماني انني تغرر فما قلت ينجليني الشقاق ولا الحذر (١)
 وما قلت يجديني ثوابي اذا بدت مفاصل أو صالي وقد شخص البصر (٢)
 وجاءوا بماء بارد يغسلونني فيالك من غسل سيتبعه غير
 وفي الاغانى أن أبا لهب لمات بالعدسة تركه ابنه ليلتين أو ثلاثا لا يدفنه
 حتى أنن في بيته . وكانت قريش تتقى العدسة كما تتقى الطاعون تخشى عدواها
 حتى قال لهما رجل من قريش ويحكمما ألا تستحيان ان أباكما قد أتن في بيته
 لا اغيباه فقالا نخشى هذه القرحة قال : فانطلقا فأنا معكما فما غسلوه الا
 قذفا بالماء عليه من بعيد ما يمسونه فاحتملوه فدفنوه بأعلى مكة
 وكانوا يضعون في ماء الغسل ما يساعد على النظافة من سدر أو اشنان .
 ويغسلون بالسدر ونحوه رءوسهم ولحاهم وشاهدده قول امرئ القيس لما أخذت
 بنو تغلب ثمانية وأربعين نفسا من بني آكل المرار فقدم بهم على المنذر فضرب
 رقابهم بحفر الاملاك في ديار بني مر

ملوك من بني حجر بن عمرو يساقون العشية يقتلونا
 فلو في يوم معركة أصيبوا ولكن في ديار بني مرينا
 ولم تغسل رءوسهم بسدر ولكن في الدماء مزماينا (٣)

وقد أقرهم الاسلام على ما كان عندهم من ذلك
 تحنيط الميت كانوا بمد غسل الميت يحنطونه والحنوط كصبور وكتاب
 عطر مركب من أشياء طيبة الرائحة يخلط للميت
 وذكروا أن مشما كانت امرأة تبسح الحنوط في الجاهلية . ف قيل للقوم

(١) الغرر بالنفس التعريض للخطر - مصدر يراد به اسم المفعول
 (٢) والواصل المفاصل أو مجتمع العظام (وشخص بصره) فذبح عينيه
 وجعل لا يطرف (٣) السدر ورق النبق وفي رواية ولم تغسل جماجمهم بغسل
 و (تزمّل) تأفف

إذا تحاربوا دقوا بينهم عطر منشم أرادوا بذلك طيب الموتى وروى أن أول من طيب الموتى بالحنوط مقسم بنهر القضاعى كفن الميت كانوا يكفنون الميت (١) وشاهده قول قس بن ساعدة الأيادى .

يا بأكى الموت والاموات فى جدث عليهم من بقايا بزهم خرق (٢) دعهم فان لهم يوماً يصاح بهم كما ينبه من نومانه الصعق وقال عترة العيسى

وأحمى حمى قومي على طول مدتى الى أن أدانى فى اللقائف أدرج (٣) وقال حجة بن المضرب بخاطب النعمان بن المنذر

ان كان ما بلغت عى فلامنى صديقى وشلت من يدى الانامل وكفنت وحدي منذرا فى ردائه وصادف حوطا من أعادى قاتل (٤) وسبب هذين البيتين أن النعمان بن المنذر أغار على بنى تميم ونذروا به ومعه بكر بن وائل والصنائع من العرب . وكان فيمن كان معه حجة بن المضرب وكانت أخته فكيهة بنت المضرب تحت ضمرة بن ضمرة . فنذر بنو تميم بالنعمان فهزموه (٥) فانهم النعمان حجة أن يكون أنذرهم فقتل البيتين

وكانوا يكفنون الميت فى ثوب ثمين النسيج اذا كان عظيما . وشاهده ما يروى أن دريد بن حرملة لما قتل معاوية بن عمرو الشريد قدم أخوه صخر فأتى بنى مرة . فقال : من قتل أخى . فقال له هاشم بن حرملة اذا أصبتنى أو دريدا فقد أصبت نارك . قال فهل كفنتموه . قالوا : نعم فى بردين

(١) الكفن لباس الميت (٢) الجداث القبر و (البز) الثياب (٣) اللقافة

ما يلف به على الرجل وغيرها جمعه لقائف يراد بها هنا الكفن

(٤) قوله وكفنت وحدي منذرا : أى أكون غريبا لا أجد معينا وقوله فى ردائه أى لا أجد كفنا يليق به و (المنذر) أخو حجة الشاعر و (حوط) ابنه وبه يكفى (٥) نذر بالشئ كفرح علمه فخره و (انذره بالامر) أعلمه وخره وخوفه فى ابلاغه

أحدهما بخمس وعشرين بكرة قال : فأروني قبره . فأروه إياه . فلما رأى القبر جزع عنده ثم قال ؟ كأنكم قد أنكرتم ما رأيتم من جزعى . فوالله ما بت مذعقلت الا وارا أو موتورا أو طالبا أو مطلوباً حتى قتل معاوية فما ذقت طعم نوم بعده . وقال مهلهل بن ربيعة من رثاء أخيه كليب

فا بكين سيد قومه واندبته شدت عليه قباطى الا كمان (١)

وفد جاء ذكر الحنوط وترجيل الشعر والكف فى شعر يزيد بن حذاق قال ابن قتبية انه أول من بكى على نفسه وذكر الموت فى شعره حيث قال
 هل للفتى من بنات الدهر من واق أم هل له من حمام الموت من راق
 قدر جلونى وما بالشعر من شعث والبسوى ثيابا غير أخلاق
 وطيبونى وقالوا أيما رجل وأدرحونى كالى طى مخراق
 وأرسلوا فتية من خيرهم حسبا ليسندوا فى ضريح القبر أطباق
 وقسموا المال وأرفضت عوائدهم وقال قائلهم مات ابن حذاق
 هون عليك ولا تولع باسفاق فاما مالنا لاوارث الباقي
 وجاء الشرع الاسلامى فأقر تحبيط الميت وتكفينه وكره تسريح شعره
 الصلاة على الميت - كانوا يصلون على موتاهم وصلاتهم اذا مات الرجل
 وحمل على سريريه ان يقوم وايه فيذكر محاسنه كلها ويثنى عليه . قال رجل من
 كلب فى الجاهلية لابن ابن له

اعمرو ان هلكت وكننت حيا فاني مكثرت لك من صلاتي

قيل وأول من صلى فى الجاهلية على الميت عطيرة بن صعب السكسكى .
 ومن بايغ ما ورد من ذلك فى الاسلام ما ذكره الحرمازى وغيره من
 ان الاحنف بن قيس لما مات بالكوفة أبام خرج مع مصعب بن الزبير
 الى قتال المختار فلما دفى قامت امرأة على قبره من بنى مقرر فقالت : لله درك
 من مجر فى جنن ومدرج فى كف ففسأل الذى فجعا بموتك وابتلايا بفقدك

(١) القبطية بالضم وقد تكسر ثياب من كنان تنسج بمصر منسوبة
 الى القبط على غير القياس كالدهرى جمعه قباطى بالتشديد وقباطى بالتخفيف

أن يجعل سبيل الخير سبيلك ودليل الخير دليلك وان يوسع لك في قبرك ويغفر
 لك يوم حشرك . ثم اقبلت بوجهها على الناس فقالت ، معشر الناس أن أولياء
 الله في بلاده شهود على عباده وانافأولون حقاً ومثنون صدقا . وهو أهل الحسن
 الثناء وطيب الدعاء . ثم اقبلت على الفبر فقالت : اما والذي كنت من أجله في
 عدّة ومن الضمان الى غاية ومن الحياة الى نهاية الذي رفع عملك عند انقضاء
 أجلك لقد عشت حميدا مودودا ولقد مت فقيدا سعيدا وان كنت لعظيم السلم
 فاضل الحلم وار كنت من الرجال اشريفا وعلى الارامل عطوفا وفي العشرة
 مسودا والى الخلقاء موفدا . ولقد كانوا اقوالك مستمعين ولرايك متبعين .
 فقال الناس ما سمعنا كلام امرأة أبلغ ولا أصدق معنى منها
 سرير الميت ، - كانوا يحملون الميت اما عنى الحارج وهر خشب يشد بعضه
 الى بعض قال امرؤ القيس

فاما ترى في رحالة جابر على حارج كالقر تهنق أكفاني (١)
 وأما على النعش وهو سرير الميت وقيل النعش للمرأة والسرير للرجل ذكر
 ذاك ابن سيدة في المختص . وعلى احتصاص المرأة بالنعش فأول امرأة حملت في
 نعش زينب بنت جحش زوج النبي عليه السلام كما حكاه القلقشندي في صبح
 الاعشى لكن جاء في كتاب وفا الوفا باخبار دار المصطفى ما يقتضي ان أول
 امرأة حملت في نعش هي فاطمة بنت رسول الله وذات النواصي بعد وفاة أبيها كمدت
 سبعين بين يوم وليلة . فقالت : يا أسماء بنت عميس اني لا استحي من جلالة
 جسمي اذا أخرجت على الرجال غدا وكانوا يحملون الرجال كما يحملون النساء
 وقيل قالت يا أسماء اني قد استقبحت ما يصنع بالنساء انه يطرح على المرأة
 الثوب فيصنعها . قالت أسماء : يا ابنة رسول الله ألا أرياك شيئا رأيت به بأرض
 الحبشة فدعت بحرائد رطبة فحننها ثم طرحت عليها ثوبا . فقالت فاطمة :

(١) الرحالة هنا خشبة كان يحمل عليها امرؤ القيس وكان مريضا وجابر من
 بني تغلب وكان هو وعمرو بن قميئة يحملانه و (الحارج) خشب يحمل فيه الموتى
 و (الفر) مركب من مراكب النساء كالهودج

ما أحسن هذا وأجمله تعرف به المرأة من الرجل . فإذا أنا مت فاعلميني أنت وعلى ولا ندخلي على أحدا فلما توفيت جاءت عائشة تدخل . فقالت أسماء لا تدخلين فشكت إلى أبي بكر قالت : إن هذه الخثعمية تحول بيننا وبين بنت رسول الله وقد جعلت لها مثل هودج العروس . فجاء أبو بكر فوقف على الباب فقال يا أسماء ما حملك على أن منعت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أن يدخلن على بنت رسول الله وقد جعلت لها مثل هودج العروس . فقالت أمرتني ألا أدخل عليها أحد وأريتها هذا الذي صنعت بهي حية فأمرني أن أصنع ذلك لها . قال أبو بكر : فاصنعي ما أمرتك ثم انصرف وغسلها على وأسماء (١) رضى الله عنهما وروى أن فاطمة لما أرستها أسماء النعش تبسمت وما رؤيت متبسمة بعد موت النبي عليه السلام إلا يومئذ واتخذ النعش بعد ذلك سنة

قال ابن عبد البر / فاطمة أول من غطي نعشها من النساء في الإسلام على الصفة المذكورة في الخبر المتقدم ثم بمدّها زينب بنت جحش صنع بها ذلك (وعلى ذلك فأولية زينب بنت جحش التي حكاهما القاضى دى النماهى بالنسبة لمن عدا فاطمة .

تشيعم الجنازة - فاذا وضعوا الميت على سريرته حملوه وساروا به إلى

القبر . قال حاتم الطائي

فاصدق حديثك إن المرء يتبعه ما كان يبني إذا مالمعه حملا

وقالت الخنساء ترى صخرا

ودائلة والنفس قد فات خطوها لتدركه يالهف نفسى على صخر

الا نكلت أم الذين غدوا به إلى الفري ماذا يحملون إلى القبر

وكانت تحمل السيران في تشيعم الجنازة وتتبعها النوائح وقد نهى الإسلام

(١) منعت الخنافية الزوج من تغسيل زوجته ومسها لا من النظر إليها

وأجازته الأئمة الثلاثة وحجتهم غسل على لفاطمة واحتج الخنافية بقوله عليه

السلام كل سبب وسب ينقطع بالموت إلا سببى ونسبى مع أن بعض الصحابة

أنكر على على ذلك

عن ذلك لانه من شعار الجاهلية وقال عمرو بن العاص حين حضرته الوفاة من حديث له رواه مسلم في صحيحه فاذا أنا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار فاذا دفنتموني فسنوا على التراب سدا (١) ثم أقيموا حربي قدر ما تخرج زور ويقسم لهما حتى استأنس بكم وانظر ماذا أراجع به رسل ربي فوهم نأجنازة - كانوا يقومون للجسارة ويقولون كنت في أهلك ما أنت مرتين . وشاهده مارواه البخاري في صحيحه بسنده قال أخبرني عمرو أن عبد الرحمن بن القاسم حدثه أن القاسم كان يمشي بين يدي الجسارة ولا يقوم لها ويخبر عن عائشة أنها قالت كان أهلك في الجاهلية يقومون لها ويقولون اذا رأوها كنت في أهلك ما أنت مرتين

قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري . أي يقولون ذلك مرتين وما موصولة وبعض الصلة محذوف . والتقدير كنت في أهلك الذي كنت فيه . أي الذي أنت فيه الآن كنت في الحياة مثله لأنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث بل كانوا يعتقدون أن الروح اذا خرجت اصير طيرا فان كان ذلك من أهل الخير كان روحه من صالح الطير والا فمالعكس ويحتمل أن يكون قولهم هذا دعاء لليت ويحتمل أن تكون ما نافية ونقظ مرتين من تمام الكلام أي لا تكوني في أهلك مرتين المرة الواحدة الى كنت فيهم انقضت وليست بعائدة اليهم مرد أخرى ويحتمل أن تكون ما استفهامية أي كنت في أهلك شريفة فأى شيء أنت الآن يقولون ذلك حزنا وتأسفا عليه . مقابرهم كانوا يحفرون لموتاهم قبورا أو لحودا (١) يدفنونهم بها قال عنبرة العبسي

بالله ما بال الاحبة أعرفت عنا وراحت بالفراق صدودها
رضيت مصاحبة البلى واستوطمت بعد البيوت قبورها ولحودها
وقال حاتم الطائي

(١) سن التراب صبه في سهولة (٢) القبر مدفن اللسان و (اللحود)

جمع اللحد بالفتح والضم وهو الشق يكون في عرض القبر .

أماوى ما يغنى الثراء عن الفتى اذا حشرت يوم ما وضاق بها الصدر
اذا أنا دلانى الذين أحبهم بملح ودة زلخ جوانبها غبر
وراحوا سراعا ينفضوا أكفهم يقولون قد دمي أنا ملنا الحفر
ومن القبور ما يدنى ومنه ما يجعل فوقه كومة من التراب وتوضع فوقها
الحجارة لتدل على مكان القبر قال طرفة بن العبد
أرى قبر نحام بخيل بماله كقبر غوى فى البطالة مفسد (١)
ترى جثوتين من تراب عليهما صفائح صم من صفيح منضد (٢)
وقال لبيد بن ربيعة العامري
وهل هو الا ما ابتى فى حياته اذا قذفوا فوق الضريح الجنادلا
وقال دريد بن الصمة يرثى معاوية أخا الخنساء لما قتلتها بنو مرة
رأيت مكانه فمطفت زورا وأين مكان زور يا ابن بكر
الى ارم وأحجار وصير وأغصان من السمات سمر (٣)
وبنيان القبور أنى عليها طوال الدهر من سنة وشهر
وقال البرج بن مسهر الطائي
نطوف ما نطوف ثم بأوى ذوو الاموال منا والعديم
الى حفر أسافلهم جوف وأعلاهم صفاح مقبم (٤)
وقالت الخنساء من قصيدة يرثى بها صخر
فى جوف رمس مقبم قد تضمنه فى رسمه مقمطرات وأحجار (٥)

- (١) النحام البخيل و (الغوى) الضال والبطالة ضد العمل (٢) جثوتين
تثنية جثوة بالتثليث وهى الكومة من التراب وغيره و (صفائح) جمع صفيحة
وهى حجارة عراض رقاق و (منضد) مجعول بعرضه فوق بعض
(٣) الارم كعنب العلم و (الصير) واحده صيرة وهى حظيرة الغنم .
(٤) الجوف المطمئن من الارض و (الصفاح) حجارة عراض رقاق
(٥) قال أبو عمرو مقمطرات صخور عظام وأحجار صغار

وقال حفص بن الاحنف الكنانى (١)

نمرت قلوصى من حجارة حرة بنيت على طلق اليمين وهوب (٢)
لا تنهرى يا ناق منه فانه شريب خمر مسعر لحروب (٣)
واذا كان للميت منزلة وشرف بنوا على قبره قبة أو بيتاً أو بناء مشرفاً
كأطم من الآطام مباهاة ونفراً وأعظماً وزهواً فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم
عن ذلك . وقال عدى بن ربيعة المعروف بالمهلhel التغلبى من قصيدة فى رثاء
كليب أخيه وكانت على قبره قبة رفيعة

سألت الحى أين دفنتموه فقالوا لى بسفح الحى دار
فسرت اليه من بلدى حثيثاً وطار النوم وامتنع القرار
وحادت ناقتى عن ظل قبر ثوى فيه المكارم والفخار

ومن ذلك ما رواه الاصبهاني فى الاغاني عن الاصمعى وأبى عبيدة ان
رحلاً من غنى . يقال له قيس الدماى وفد على بعض الملوك . وكان قيس سيداً
جواداً فلما حفل المجلس أقبل الملك على من حضره من وفود العرب . وقال
لاصمى تاجى على أكرم رجل من العرب فوضعه على رأس قيس وأعطاه ما
شاء وناداه مدة ثم أذن له فى الانصراف الى بلده فلما قرب من بلاد طى
خرجوا اليه وهم لا يعرفونه ففتلوه فلما علموا أنه قيس ندموا لاياد له كانت
فيهم فدفنوه وبنوا عليه بيتاً — وقد بنى المنذر الاكبر الغريانى وهما منارة بن
على قبرى عمرو بن مسعود وخالد بن فضالة الاسديين . وسنذكر خبرهما
عند الكلام على العقر — واذا كان الميت من النصارى وضعوا جثته فى
صندوق يسمى التابوت ويسمى الاران أيضاً .

(١) فى الاغاني ان هذا الشعر ينسب لحسان بن ثابت وقيل أيضاً انه

لضرار بن الخطاب الفهرى . وذكر ان محمد بن سلام قال الصحيح انها لعمرو
ابن شقيق أحد بنى فهر بن مالك قال ومن الناس من يرونها لكرز بن حفص
ابن الاحنف العامرى وعمرو بن شقيق أولى بها (٢) الحرة بفتح الحاء أرض
ذاب حجارة نخرة سود (٢) المسعر الذى كانه آلة فى ايقاد الحروب

حمى القبر . من عادتهم أن يجعلوا لقبر الشريف حمى لا ينتهك . حكى أبو عبيدة عن الحرمازي قال لما مات عامر بن الطفيل نصبت عليه بنو عامر أنصاباً ميلاً في ميل حمى على قبره لا ينشر فيه ماشية ولا يرعى ولا يسلكه راكب ولا ماش وكان جبار (١) بن سلمى غائباً فلما قدم . مربقبره فقال ماهذه الانصاب قالوا نصبتها على قبر عامر . فقال ضيقتم على أبي على وأفضاتم منه فضلاً كثيراً ثم وقف على قبره وقال : أنعم صباحاً أبا على . فوالله لقد كنت تش الغارة وتحمى الجارة سريعا الى المولى بوعدك بطيئاً عنه بإيعادك وكننت لا تصل حتى يضل النجم ولا تعطش حتى يعطش البعير ولا تجبن حتى يجبن السيل . وكننت والله خير ما كننت تكون حين لا تظن نفس بنفس خيراً .

وعامر بن الطفيل هذا كان سيداً شريفاً ينادى بسوق عكاظ ويقول : هل من راجل فاحمله أو جائع فأطعمه أو خائف فأؤمنه وقد أدرك الاسلام . وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوسده وسادة ثم قال أسلم يا عامر . قال : على ان لي الوبر ولك المدر . فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقام عامر مغضباً فولى وقال لا ملانها عليك خيلاً جرداً ورجالا مرداً ولا ربطن بكل نخلة فرساً . فقال النبي عليه الصلاة والسلام : اللهم اهدني عامر واشغل عني عامر بن الطفيل بما شئت وكيف شئت وانى شئت فخرج عامر فأخذته غدة مثل غدة البكر فأوى الى بيت امرأة من بنى سلول فجعل يثب وينزو في السماء ويقول : ياموت ابرز لي . غدة مثل غدة البعير وموت في بيت سلولية

أنضح القبر بالحجر — كانوا ينضحون قبر العزيز عندهم بالحجر قال نصر بن غالب أصب على قبريكما من مدامة فلا تذوقاها تروثا كما وقال حاتم يوصي امرأته بنضح الحجر على قبره

(١) كذا في الكامل للمبرد وفي مجمع الامثال انه حبان بالحاء المهملة آخره

نون ابن سلمى بن عامر بن مالك

أماوى امامت فاسمى بنطقة من الحجر ربا فانضحن بها قبرى
السقيا للقبر — وكانت العرب تحب نزول المطر على القبور وقد طلبت
لها السقيا قال المانعة الذبياني من قصيدة يرثى بها النعمان بن الحارث بن
أبى شمر الغساني

سقى الغيث قبرايين بصري وجاسم لغيث من الوسمى قطر ووابل (١)
ولا زال ريحان ومسك وعنبر على منتهاه ديمة ثم هاطل (٢)
وينبت حوذانا وعرفا مورا سابعه من خير ما قال قائل (٣)
وقد أوصى المتأسس بذلك فى قوله من قصيدة يرثى بها نفسه

خليلى امامت يوماء حزحت منابا كما فيماير حزحه الدهر
فرا على قبرى فقومما فساما وقولا سقاك الغيث والقطر بامير
وفال مهامل من قصيدة فى رثاء أخيه كليب

أجبنى يا كليب خلاك ذم لقد فجعت بفارسها نزار
سقالك الغيث انك كنت غيما ويسرا حين يدمس اليسار

والاشعار فى هذا المعنى كثيرة مستهينة

وقد اختلف فى سبب استسقاءهم لها فقال الوزير أبو بكر عاصم بن
أيوب البطلبوسى تدعو العرب للقبور بالسقيا ليكثر الخصب حولها فيقصد
كل من مر بها دعاء لها بالرحمة

وقال التبريزى فى شرح الحماسة عند قول عكرشة العيسى من رثاء بنيه
سقى الله أجداثا ورأى تركتها بحاضر قنسرين من سبل القطر

(١) بصري وجاسم موضعان بالشام و (الوسمى) أول المطر لانه يسم
الارض بالنبات (٢) وروى ابن الاعرابى : ريحان ومسك يشيره على
منتواه . و (يشيره) أى يهيج رائحته ويذكىه و (منتواه) موضع تباعده
عن الاحياء . ومن روى منتهاه أراد قبره لانه الموضع الذى ينتهى اليه سعى
الانسان (٣) الحوذان والعرف نباتان الا أن الحوذان اطيب رائحة .
وقوله (سأبعه من خير ما قال قائل) أى سأثنى عليه بأحسن القول

مضوا لا يريدون الرواح وغالهم من الدهر أسباب جرّين على قدر
ولو يستطيعون الرواح تروحو معي وغدوا في المصبحين على ظهر (١)
لعمري لقد وارت وضمت قبورهم أ كفاً شداً القبض بالاسل السمر
والقصد من طلب السقيا لها أن تبقى عهداً غضة من الدروس طرية لا يتسلط
عليها ما يزيل جدتها ونضارتها ألا ترى انه لما أراد الشاعر ضد ذلك قال :
فلا سقاها من النار تضطرم * وقال السهيلي عند قول كعب بن مالك في
رثاء من قتل من الشهداء يوم موة

صلى الأله عليهم من فتية وسقى عظامهم الغمام المسبل
(وقوله وسقى عظامهم الغمام المسبل يرد قول من قال انما استسقت العرب لقبور
أحبتها لتخصب أرضها فلا يحتاجوا الى الانتقال عنها لطلب النجعة في البلاد .
وقال قاسم بن ثابت في الدلائل فاهذا كعب يستسقى لعظام الشهداء بموة وليس
معهم وكذلك قول الآخر

سقى مطفيات المحل جوداً وديمة عظام ابن ليلى حيث كان رميمها
فقوله حيث كان رميمها يدل على أنه ليس مقيماً معه وانما استسقاؤهم لاهل القبور
استرحام لهم لان السقيا رحمة وضدها عذاب)

وكانت العرب تزعم أن المطر يسقى قبر أحد بنى عبد القيس ونسله حكى
ابن عبد ربه في كتاب النسب من العقد الفريد أن رباب بن زيد بن عمرو بن
جابر بن ضبيب كان ممن وحد الله في الجاهلية وسأل عنه النبي وقد عبد القيس .
وكان يسقى قبر كل من مات من ولده . وفي ذلك يقول الحجين بن عبد الله
ومنا الذي بالبعث يعرف نسله اذا مات منهم ميت جيد بالقطر
رباب وأنى للبرية كلها بمثل رباب حين يخطر بالسمر

وفي المعارف لابن قتيبة (أرباب بن رثاب (٢) هو من عبد القيس من شن .
وكان على دين عيسى وسمعوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم منادياً ينادى

(١) أى لغدوا في صباح اليوم التالى على ظهر الارض ولم يصيروا في بطنها
مع الاموات (٢) في السيرة الحلبية نقلا عن ابن قتيبة أن اسمه رباب بن البراء
(١٣)

خير أهل الأرض ثلاثة رثاب الشنى وبحيرا الراهب وآخر لم يأت بعد يريد
النبي صلى الله عليه وسلم . وكان لا يموت أحد من ولد أرباب فيدفن الا رأوا
طشا على قبره) والطش المطر الضعيف

العقر على القبر ونضجه بالدماء - كانوا يعقرون (١) على قبر العظيم أو السيد

الشريف الخليل أو النوق وينضحون القبر بدمائها . وقد ذكر سبب عقرهم الابل
ابن السيد فيما كتبه على كامل المبرد فقال « واختلف في سبب عقرهم الابل على
القبور فقال قوم انما كانوا يفعلون ذلك مكافأة للميت على ما كان يعتر من
الابل في حياته وينحره للاضياف واحتجوا بقول زياد الاعجم

وانضج جوانب قبره بدمائها فاقدم يكون أخادم وذبايح

وقد قال قوم انما كانوا يفعلون ذلك اعظاما للميت كما كانوا يذبحون للاصنام
وقيل انما كانوا يفعلونه لان الابل كانت تأكل عظام الموتى اذا بليت فكأنهم
يثأرون لهم منها . وقيل ان الابل أنفس أموالهم فكأنهم يريدون بذلك انها
قد هانت عليهم لعظم المصيبة « نقل ذلك عنه البغدادى فى خزانة الادب .
والشواهد على عقر الابل والخليل كثيرة من ذلك ما حكاه المبرد فى الكامل
أن رجلا عربيا وقف على قبر النجاشى فترحم وقال : لولا أن القول لا يحيط
بما فيك والوصف يقصر دونك لا ملئت بل لاسهيت ثم عقر ناقته على قبره وقال

عفرت على قبر النجاشى ناقى باي من غضب أخايمته سياقله

على قبر من لو انى مت قبله لهانت عليه عند قبرى رواحله

وقال حريبة بن الاشيم الفقعسى يوصى ابنه بأن يعقر على قبره

اذا مت فادفنى بجداء ما بها سوى الاصرخين أو يفوز راكب

فان انت لم تعقر على مطيتى فلا قام فى مال لك الدهر حالب (٢)

ولا تدفنى فى سوى وادفنى بدميمة تنزو عليها الجنادب (٣)

(١) عقر البعير بالسيف عقرا من باب ضرب اذا ضرب قوائمه به لا يطلق

العقر فى غير القوائم وربما قيل عقره اذا نحره كذا فى المصباح (٢) يدعو عليه

بنقد ما يحلب من الشاء والابل اذا لم يعقر مطيته (٣) الصوى جمع صوة بضم

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة « وقد ذكرت في مجموعي المسمى بالعقري الحسان أن أبا عبد الله الحسين بن محمد بن جعفر الخالع رحمه الله ذكر في كتابه في آراء العرب وأديانها هذه الآيات واستشهد بها على ما كانوا يعتمدون في البلية وفلت انه وهم في ذلك وانه ليس في هذه الآيات دلالة على هذا المعنى ولا لها به تعلق وانما هي وصية لولده أن يعقر مطيته بعد موته اما لكي لا يركبها غيره بعده أو على هيئة القربان كالهدي المعقور بمكة أو كما كانوا يعقرون عند القبور . ثم قال ومذهبهم في العقر على القبور مشهور وليس في هذا الشعر ما يدل على مذهبهم في البلية فان ظن ظان ان قوله أو يفوز راكب فيه ايماء الى ذلك فليس الامر كما ظنه ومعنى البيت ادفني بفلاة جداء مقطوعة عن الانس ليس بها الا الذئب والغراب أو أن يعتسف راكبها المفازة وهي المهلكة سموها مفازة على طريق الفأل وقيل انها تسمى مفازة من فور أي هلك فليس في البيت ذكر البلية ولكن الخالع اخطأ في ايراده في هذا الباب كما اخطأ في هذا الباب أيضا في ايراده قول مالك بن الربيع

وعطل قلوصى في الركاب فانها ستبرد أكبدا وتبكي بواكيا
فظن أن ذلك من هذا الباب الذي نحن فيه ولم يرد الشاعر ذلك وانما أراد لا تركبوا راحلتى بعدى وعطلوها بحيث لا يشاهدها أعادى وأصادق ذاهبة
جائية تحت راكبها فيشمت العدو ويساء الصديق

ومن العقر على القبور ما ذكره أبو علي القالى في الامالى قال لما مات عمرو ابن حمزة الدوسي وكان أحد من يتحاكم اليه العرب مر بقبره ثلاثة نفر من أهل يثرب قادمين من الشام الهدم بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد أبو كلثوم ابن الهدم الذي نزل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعتيك بن قيس بن هيشة ابن أمية بن معاوية وحاطب بن قيس بن هيشة الذي كانت بسببه حرب حاطب فمقروا رواحلهم على قبره وقام الهدم فقال

الصاد وهو ما غلظ وارتفع من الارض و (الديمومة) الفلاة الواسعة
(و) ننزو) تثب و) الجندب (الجراد جمعه جنادب

لقد ضمت الاثراء منك مرزاً
 حلیم اذا ما الحلم كان حزامه
 اذا قلت لم تترك مقالا لقائل
 ليبيكك من كانت حياتك عزه
 سقى الارض ذات الطول والعرض منجم
 وما بى سقيا الارض لكن تربة
 وقام عتيك بن قيس فقال :

برغم العلا والجود والمجد والندى
 لقد غال صرف الدهر منك مرزاً
 يضم العفاة الطارقين فناؤه
 ويسرو دجى الهيجا مضاء عزيمة
 ويستهزم الجيش المرمر باسمه
 وينقاد ذو البأو الابى لحكمه
 ويمضى اذا ما الحرب مد رواقه
 فأما تصبنا الحادثات بنسكة
 طواك الردى ياخير حاف وناعل
 نهوضا بأعباء الامور الاثاقل
 كما ضم أم الرأس شعب القبائل (٥)
 كما كشف الصبح أطراق الغياطل (٦)
 وان كان جرارا كثير الصواهل
 فيرتد قسراً وهو جم الدغاؤل (٧)
 على الروع وارفضت صدور العوامل (٨)
 رمتك بها احدى الدواهي الضآبل (٩)

(١) الاثراء جمع الثرى وهو التراب الندى و (الرزيةة المصيبة كالرزة
 (٢) الحزامه والحزم ضبط الامر والاخذ فيه بالثقة (٣) الصغر خلاف العظيم
 (٤) منجم أى سحاب سريع المطر مديمه و (الاحم) الاسود من كل شئ
 و (الرحى) وسط الغيم ومعظمه ووسط الحرب ومعظمها (٥) العافى الرائد
 والوارد والضيف وكل طالب فضل أو رزق و قبائل الرأس) واحده قبيلة
 للقطع المشعوب بعضها الى بعض (٦) يسرو يكشف و (الدجى) الظلمة و (الهيجا)
 الحرب و (اطراق) اطرق الليل ركب بعضه فوق بعض و (الغيطة) الظلمة أو
 اختلاط الاصوات وقال ابن الاعرابى هى التفاف الناس واجتماعهم (٧) البأو
 الفخر و (الدغاؤل) الدواهي (٨) الروع الفزع و (ارفضت) سالت و (عامل)
 الرمح وعاملته صدره (٩) الضآبل الدواهي واحدها ضآبل

- فلا تبعدن ان الختوف موارد وقام حاطب بن قيس فقال :
- سلام على القبر الذي ضم أعظما سلام عليه كلما ذر شارق فيا قبر عمرو جاد أرضا تعطف تضمنت جسما طاب حيا وميتا فلو نطق أرض لقال ترابها الى مرمر قد حل بين ترابه فلو وألت من سطوة الموت مهجة فلا يبعدنك الله حيا وميتا وقد كنت تمضي الحكم غير مهمل لعمرو الذي حطت اليه على الونا لقد هدم العلياء موتك جانبا ومن العقر على القبور في الجاهلية عقر المنذر الاكبر على قبر عمرو بن مسعود وخالد بن نضلة الاسديين الابل والخيول وطلاهما بالدماء . وقد بنى على قبرهما الغريان (٨) روى انهما كانا يفدان على المنذر الاكبر في كل سنة فيقيمان عنده ويادمانه وكانت اسد وغطفان لا يدينون للملوك ويغيرون عليهم فوفدا سنة من السنين فقال المنذر لخالد يوما وهم على الشراب يا خالد من ربك فقال
- (١) الوائل طالب النجاة (٢) ذر طلع (٣) الماث السحاب الدائم المطر (٤) والمرزم (٥) الرعد الشديد صوته (٦) المرمر القبر (٧) الاضبط والضيغم (٨) اسمان للاسد (٩) وألت نجت ويشتم يبطى ويشتم يحرك ويدفع (١٠) المهمل المتوقف يقال حمل عليه فما همل و (الابل) الظلوم و (الغشمشم) الذي يركب رأسه ولا يشبهه شئ عما يحب ويهوى (١١) الحداير جمع حد بارو هي المنحنية الظهر (والني) الشحم و (المتهم) الذائب (١٢) في القماموس الغري كغنى البناء الجيد ومنه الغريان بناء ان مشهوران بالكوفة .

خالد عمرو بن مسعود ربي وربك فامسك عنهما ثم قال لهما ما يمنعكما من
الدخول في طاعتي وان تدنوا مني كما دت تميم وربيعه فقالا أبيت اللعن هذه
البلاد لا تلائم مواشينا ونحن مع هذا قريب منك بهذا الرمل فاداشت
أجنحتك فعلم انهما لا يدخلان في حكمه فأوحى الى الساقى فسفاهما سما فانصرفا
من عنده بالسكر على خلاف ما كانا ينصرفان فلما كان في بعض الايام أحس
حبیب بن خالد بالامر لما رأى من شدة سكرهما فنادى خالدا فلم يجبه فقام
اليه فحركه فسقط بعض جسده وفعل بعمره مثل ذلك فكان حاله كحال
وأصبح المنذر نادماً على قتلهما فغدا عليه حبیب بن خالد فقال أبيت اللعن
أسعدك الاهل نديك وخيالك نتابعا في ساعة واحدة فقال له يا حبیب
أعلى الموت تستعدينى وهل ترى الا ابن ميت وأحامي ميت ثم أمر فحفر لهما
قبران بظاهر الكوفة فدفا فيهما ونى عليهما منارتين فهما الغريان وعقر على
قبر كل خمسين فرسا وخمسين بعيراً وغراهما بدسائها وجعل يوم نادمهما يوم
نعيم ويوم دفنهما يوم بؤس

ومن هذا الباب أيضاً ما حكاه الاصمعياني في الاغانى أن حسان بن ثابت
لما مر بقبر ربيعة بن مكرم قال يعتذر لمدم عقر ناقته على قبره

لا يبعدن ربيعة بن مكرم	وسقى الغواذى قبره بذنوب (١)
نفرت فلوصى من حجارة حرة	بنيت على طلق اليدى وهوب
لا تنفري باناق منه فانه	شريب خمر مسعر لحروب (٢)
لولا السفار ولعد قفر مهمه	لتركتها تحبو على عرقوب (٣)

(١) هذا الشعر نسبة أبو تمام في الحماسة لحفص بن الاحنف الكنانى
وقد منا انما من تنسب له هذه الابيات أيضاً . و (الذنوب) الدلو العظيمة
وقيل لا تسمى ذنوباً حتى يكون فيها ماء . وقد استعاره للغيث . وربما
جعل الذنوب في الحظ والنصيب (٢) المسعر الذى كانه آلة في أسعار الحرب
(٣) المهمة الممازة . و (الحبو) الزحف قبل القيام ويفعله البعير
المعقول وهو يريد المشى و (العرقوب) من الدابة فى رجلها بمنزلة الركبة فى

فبلغ شعره بنى كنانة فقالوا والله لو عقرها لسقنا اليه الف ناقة سودا الحدق ولا عبرة لقول ابن عبد ربه في العقد الفريد « كان يعقر على قبر ربيعة بن مكرم في الجاهلية ولم يعقر على قبر أحد غيره لما قدمناه ومنه ظهر ان العقر من سنن الجاهلية وعاداتهم المستفيدة ومشابهته القربان الذي يقدم للاصنام نهى عليه الصلاة والسلام عنه بقوله لا عقر الاسلام ولتأصل هذه العادة من نفوس العرب لم يجتنبها بعضهم في الاسلام وشاهده قول أبي عمر وهانل بن العلاء الرقي (وعقر في الجاهلية على قبر ربيعة بن مكرم وفي الاسلام على قبر المغيرة بن المهلب عقر عليه كعب بن أبي ثور، وقال زياد الاعجم يرثي المغيرة ابن المهلب بن أبي صفرة

قل لا قوافل والغزا اذا غزوا والبأكرين وللمجد الرائع (١)

ان السامة والمرودة ضحنا قبرا بمرور على الطريق الواضح

فاذا صررت بقبره فاعقر به كوم الجلال وكل طرف ساجح (٢)

وانضج جوانب قبره بدمائها فلقد يكرن أخادم وذبايح (٣)

يروى ان زياداً الاعجم أنشد المهلب هذه القصيدة فلما أتى على قوله

فاذا صررت بقبره فاعقر به كوم الجلال وكل طرف ساجح

قال له مهلاً عقرت عامه يا أبا امامة فرسك قال انى كنت على مقرف ولو

يديها وقوله (تحبو على عرقوب) كناية عن الذبح لان العرب كانوا

يضربون ساق الناقة قبل ذبحها قال أبو طالب

ضروب بنصل السيف سوق سمانها اذا عدموا زادا فانك عاقر

(١) روى أبو الحسن والغزى اذا غروا و (القوافل) جمع فافلة وهي

الرفقة الراجعة من سفرها الى وطنها و (الغزاة) جمع غاز

(٢) عقر البعير اذا ضرب بالسيف قوائمه و (الكوم) بالضم جمع

كوماً بالفتح والمد الناقة السمينة و (الجلال) جمع جلدة وهي أدمم الابل

لبنا و (الطرف) بكسر الطاء الاصيل من الخيل و (ساجح) جار بقوة و يروى

كل طرف طامح (٣) المضح الرش القليل

كنت على عتيق (١) لفعلت فاستحسن قوله وقال لمن حضره من ولده ومواليه لينفذ كل واحد منكم الى زياد فرساً من خيله فانصرف بمدة افراس ومن ذلك قول الفرزدق يرثي بشر بن مروان ويزعم انه عقر فرسه على قبره من قصيدة أولها

أعني الا تسعداني المكمما وما بعد بشر من عزاء ولا صبر (٢)
وقل جداء عبدة تسفحانها على انها تشفى الحرارة في الصدر (٣)
ولو أن قرما قاتلوا الموت قبلما بشيء لقاتلت المنية عن بشر
الى أن قال في عقر فرسه

أقول لمحبوك السراة كأنه من الخيل مجنوب الاطاقة والخصر (٤)
أغر صريحاً أبوه وأمه طويل أمراًته الجياد على شذر (٥)
أنصهل عندي بعد بشر ولم تذق ذكورة قطاع الضريبة ذى أثر (٦)
غضبت ولم أملك لبشر بصارم على فبس عند الجنازة والقبر (٧)
حافت له لا يتبع الخيل بعدد ما صحيح الشوى حتى تكوس من المقر (٨)
أنت شحيحاً أنت ركبتهك دمهها ليوم رهان أو غدوت ممي تجري
وقال أبو عبدة دعوى المرزدق أنه عقر فرسه على بشر بن مروان كذب
(وكانوا) يطعمون ما يعقر للفقراء والمساكين
وقد أحسن بعض المحدثين في هذا المعنى فقال

(١) المقرف من الفرس وغيره من أمه عربية لا أبوه والفرس (العتيق)
الكريم (٢) أسعده الله أعانه (٣) الجداء الثواب (٤) محبوك
السراة قوى الظهر (٥) الصريح فرس عبد غوث بن حرب وآخر لبني
نهشل وآخر للخم و (أمراًته) فتلته و (الشذر) قتل الجبل عن اليسار والمعنى
ان آبائه أوريثته القوة (٦) المذكور من السيوف ذو الماء و (الضريبة)
حد السيف و (الاثر) فرند السيف وهو ما يرى فيه شبه غبار أو مدب نمل
(٧) الجنازة الميت (٨) الشوى اليدان والرجلان والاطراف (كاس)
البعير مشى على ثلاث قوائم وهو معرّقب

أيها الناعيان من تنعيان وعلى من أراكا تبكيان
 اندبا الماجد الكريم أبا اسحاق رب المعروف والاحسان
 واذهباني ان لم يكن لك ماعة — ر الى جنب قبره فاعقراني
 وانضحا من دمي عليه فقد كان دمي من نداه لو تعلمان

العقر للضيافة نيابة عن الميت — كما كانوا يعقرون الابل والخليل عند نزول
 الموت أشعارا بأن أنفس أموالهم هانت عليهم لمعظم المصيبة كانوا يعقرون
 عند القبر اذا صروا به نيابة عن الميت في قرى الضيفان قال التبريزي في شرح
 الحماسة عند قول حسان بن ثابت

لولا السفار وبعد قعر مهمه لتركتهما تحبو على عرقوب
 كانت المادة في العرب ان الواحد اذا اجتاز بقبر كريم كان مأوى
 للضياف ينحر راحلته ويطعمها للناس اذا أعوز الزاد ولم يتسع يفعل ذلك
 نيابة عنه الا أن يمنع مانع من بعد سفر أو مايجري مجراه فصار هذا
 يعتذر من ابقائه على راحلته وقال في شرح قول حرير يرثي قيس بن ضرار
 ابن القمقاع

وحق لقيس أن يباح له الحمى وأن تعقر الوحناء أن خف زادها
 كان الواحد منهم اذا مر بقبر رئيس وهر في صحبة أحب أن ينوب عن
 المقبور في الضيافة واذا لم يساعده من الطعام ما يدعو الناس اليه عقر ناقته
 اكراما لذلك قال : وان تعقر الوحناء ان خف زادها — ثم قال وذكر النخري ما
 يشبه هذا ورد عليه أبو محمد الاعرابي فقال ان قوله وان تعقر الوحناء ان خف
 زادها مثل قول سعيد بن العاص بن أمية يرثي هشام بن المعيرة

ألا هلاك المأمول وهو نجيب ومن هو زاد الركب حين يقرب
 فان لم يكن زاد فان قصاره من المفردات صعبة وركوب
 ومن العقر على القبر للقرى ما ذكره المبرد في الكامل عن لهدم مكاتب لبني
 منقر حين ظلع بمكاتبته فأتي قبر غالب فاستجار به وأخذ منه حصيات فشدهن
 في عمامته ثم أتى الفرزدق فأنشده

بقبر ابن ليلي غالب عذت بعد ما خشيت الردى او ان أُرده على قسر
 بقبر امرىء تقري المثين عظامه ولم يك الا غالباً ميت تقري
 فقال لي استقدم أمامك انما فكالك أنت تلقى الفرزدق بالمعصر
 قال المبرد يريد بقوله تقري المثين عظامه انهم كانوا ينحرون الابل عند
 قبور عظمائهم فيطعمون الناس في الحياة وبعد الممات وهذا معروف في أشعارهم
اتخاذ البلية — وقد كان من مذهبهم في الجاهلية اتخاذ البلية وهي ناقة
 تعقل عند قبر صاحبها اذا مات حتى تموت جوعاً وعطشاً

وذكر البلية مطرود بن كعب الخزاعي من قصيدة يرثي بها المطلب وبنى
 عبد مناف جيماً حين أتاه نعي نوفل بن عبد مناف في قوله
 ياعين فابكى أبا الشعث الشجيات يبكيه حسراً مثل البليات (١)
 يبكين أكرم من يمشى على قدم يعولنه بدموع بعد عبرات
 وقد بين مذهبهم في ذلك ابن أبي الحديد فقال «والبلية انهم اذا مات منهم كريم
 بلوا ناقتهم أو بعيره فمكسوا عنقها وأداروا رأسها الى مؤخرها وتركوها في
 حفيرة لا تطعم ولا تسقى حتى تموت وربما أحرقت بعد موتها وربما سلخت
 وملئ جلدتها ثماماً وكانوا يزعمون أن من مات ولم يبلى عليه حشر ماشياً ومن
 كانت له بلية حشر راكباً على بليته » وقد ذكر القلقشندي في صبح
 الاعشى «أن العرب كانت أشد زفة الميت الى قبره ويقبلون رأسها الى ورائها
 ويغطون رأسها بولية وهي البرذعة فاذا أفلتت لم ترد عن ماء ولا مرعى .
 ويزعمون أنهم اذا فعلوا ذلك حشرت معه في المعاد ليركبها » . وقد قال أبو زيد
 في تشبيه رجال البلايا

كالبلايا رؤوسها في الولايا مانحات السموم خرز الحدود

والولايا البراذع وكانوا يقوون البرذعة ويدخلونها في عنق تلك الناقة
 وقال الشهرستاني كانوا يربطون الناقة معكوسة الرأس الى مؤخرها مما يلي
 ظهرها أو مما يلي كلكها أو بطنها ويأخذون ولاية فيشدون وسطها ويقلدون
 البليات جمع بلية

عنق الناقة ويتركونها كذلك حتى تموت عند القبر .
ولا يتخذ البلية من لا يؤمن بالبعث . وقال حريبة بن الاشيم الفقعمسى
يوصى ابنه بالبلية .

ياسعد أما اهلكن فانى أوصيك ان أخوا الوصاة الاقرب
لا تتركن أباك يسعى خلفهم تبعاً يخرج على اليدين وينسكب (١)
واحمل أباك على بعير صالح يوم القيامة ان ذلك أصوب (٢)
ولعل لى مما جمعت مطية فى الحشر أركبها اذا قيل اركبوا
وقال عويمر النبهانى يوصى ابنه أيضا

أبى لا تنس البلية انها لا بيك يوم نشوره مركوب
وقال عمرو بن زيد المتعمى يوصى ابنه عند موته بالبلية .

أبنى زودنى اذا فارقتنى فى القبر راحلة رحل قاتر (٣)
للبعث أركبها اذا قيل اظعنوا (٤) مستوثقين معا لحشر الحاشر
من لا يوافيه على عثراته فالخلق بين مدفع أو عائر
وقال أبو العلاء المعرى فى رسالة الغفران (وقد كانوا فى الجاهلية يكسعون
ناقة الميت على قبره ويزعمون انه اذا نهض لحشره وحدها قد بعثت له فيركبها
فليته لا يهض بشقله منكبها وهيئات بل حشروا عراة حفاة)
قولهم للميت لا تبعد — كان من عادتهم الدعاء للميت بنفوسهم لا تبعد
وقد كثرت أشعارهم فى هذا . قال أعشى بأهله من قصيدة فى رثاء المنتشر بن
وهب الباهلى

(١) فى رواية : لا أعرفن أباك يحشر حلمكم . وفى رواية الخطائى

لا تتركن أباك يحشر مرة عدوا يخرج على اليدين وينسكب

(٢) رواية . وتق الخطيئة انه هو أصوب (٣) القاتر من الرحال أو

السروج الجيد الوقوع على الظهر أو اللطيف منها الذى يقى الظهر ولا يعقره

(٤) رواية للبعث أركبها اذا قيل اركبوا

فاذهب فلا يبعدنك الله منتشر اما سلكت سبيلا كنت سالكها (١)
وقالت أم عمرو ترى ربيعة أخاها

فاذهب فلا يبعدنك الله من رجل لاقى التي كل حى مثلها لاقى
وقالت الخنساء من رثاء ل أخيها
اذهب فلا يبعدنك الله من رجل دراك ضيم وطلاب بأوتار
وقال السموءل

يا ليت شعري حين أندب هالكا ماذا يؤبذنى به أنواحى
أيقظن لا تبعد قرب كريهة فرجتها بيسارة وسماح
وقال مخارق بن شهاب أحد بنى خزاعي بن مالك بن عمرو بن تميم .
كم شامت بى ان هلكت وقائل لا يبعدن مخارق بن شهاب
المشترى حسن الثناء بماله والمالى الجففات للاصحاب
وقد قصدوا بقاء الذكركما قصد الشنفرى فى قوله وقد قطع يده من أسره
لا تبعدى اما ذهبت شامه قرب واد تقرت حمامه
ورب قرن فصلت عظامه

وقال عبد القادر البغدادي فى خزانة الادب ولب لباب لسان العرب عند
قول الخرنق بنت هفان من قصيدة رثت بها زوجها بشر بن عمرو بن مرثد
الضبي وابنها علقمة بن بشر وأخويه حسان وشرحبيل ومن قتل معه من
قومه فى يوم قلاب

لا يبعدن قومي الدين هم سم العداة وآفة الجزر (٢)

(١) يقال بعد بعدا من باب فرح فرحا اذا هلك (٢) السم سینه
مثلثة و(العداة) الاعداء جمع عادٍ و(الآفة) العلة و(الجزر) بضم فسكون
جمع جزور والاصل بضمّتين كرسول ورسول فسكن الثانى تخفيفا والجزور هى
الناقة التى تنحر فان كانت من الغنم فهى جزرة بفتحّتين - وصفتهم (أولا)
بالشجاعة والنجدة وانهم يقتلون أعداءهم كما يقتلهم السم و (ثانيا) بالكرم
ونحر الابل للاضياف فكانهم آفة للابل تصيبها فتهلكها

النازليين بكل معترك والطيبون معاقد الازر (١)
 وقال ابن السينا في شرح أبيات الجمل فان قيل كيف دعت لقومها بالآ
 يهلكوا وهم قد هلكوا فالجواب ان العرب قد جرت عادتهم باستعمال
 هذه اللفظة في الدعاء للميت ولهم في ذلك غرضان (احدهما) انهم يريدون به
 استعظام موت الرجل الجليل . وكأهم لا يصدقون بموته وقد بين هذا المعنى
 زهير بن أبي سلمى بقوله

يقولون حصن ثم تأبى نفوسهم وكيف بحصن والجبال جنوح
 ولم تلفظ الموتى القبور ولم تزل نجوم السماء والاديم صحيح
 يريد انهم يقولون مات حصن ثم يستعظمون أن ينطقوا بذلك ويقولون كيف
 يجوز أن يموت والجبال لم تنسف والنجوم لم تنكدر والقبور لم تخرج موتاهها
 وجرم العالم صحيح لم يحدث فيه حادثو (الغرض الثاني) انهم يريدون الدعاء
 له بأن يبقى ذكره ولا يذهب لان بقاء ذكر الانسان بعد موته بمنزلة حياته
 ألا ترى الى قول الشاعر

فائنوا علينا لا أبا لا بيكم بافعالنا ان الثناء هو الخلد

وقال آخر يرثي يزيد بن يزيد الشيباني

فان تلك أفنته الليالي فأوشكت فان له ذكرا سيفنى الاياليا
 وقد بين مالك بن الريب المزني ما في هذا المعنى من المحال فقال من قصيدة
 يقولون لا تبعد وهم يدفنوني وأبن مكان البعد الا مكانيا
 هذا ومن لم يجد في هذا المعنى غناء الضرار السلمي فقال
 وكتيبة فرجتها بكتيبة حتى اذا التبتت نقضت بها يدي

(١) تعنى بقولها (النازليين بكل معترك) انهم ينزلون عن الخيل عند ضيق
 المعترك فيقاتلون على أقدامهم وفي ذلك الوقت يتداعون نزال وتعنى بقولها
 (والطيبون معاقد الازر) انهم اعفاء في فروجهم لان العرب تكنى بالشيء
 عما يحويه أو يشتمل عليه و (المعاقد) اما جمع معقد بكسر القاف وهو موضع
 العقد واما جمع معقد بفتح القاف وهو مصدر ميمي قال اللخمي (المعاقد) الحجز

ما كان ينفعني مقال نسائهم وقتلت دون رجالهم لا تبعد (١)
ومثله قول الشاعر

يقولون لا تبعدو من يك مسدلا على وجهه ستر من الارض يبعد
وقال قراد بن غوية بن سلمى بن ربيعة بن زبان

ألا ليت شعري ما يقولن مخارق اذا جاب الهام المسيح هامتي (٢)
ودليت في زوراء يسنى ترابها على طويلا في ذراها اقامتي (٣)
وقالوا ألا لا تبعدن اخنياله وصولته اذا القروم تسامت (٤)
وما البعد الا أن يكون مغيبا عن الناس منى نجدتي وقسامتي (٥)

معتقداتهم الدينية

نبدأ هذا الفصل باعتقادهم في الله تعالى فنقول : قد آمن به أصحاب
الاديان السماوية من العرب كما آمن به عبدة الاوثان منهم وانما حجوا للاصنام
وقربوا لها القرابين ونذروا لها النذور وعما منهم أنها تشفع لهم عند الله فقالوا
ما نعبدكم الا ليقربونا الى الله زلفى . قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات

والحجزة هي حبت ينثى طرف الارار في لوث الازار أى طيه و (الازر) جمع
ازار وسكن تخفيفا والاصل ضمها والازار عند العرب ماستر النصف الاسفل
من الانسان والرداء ماستر النصف الاعلى منه والعرب لا تكاد تلبس الا
الازر . ولبس السراويل عندهم نادر . يروى ان اعرابيا مرّ بسراويل ملقاة
فظنّها قميصا فادخل يديه في ساقيهما وأدخل رأسه فلم يجد منفذا . فقال ما أظن
هذا الا من قص الشياطين (١) في رواية . وقتلت بين (٢) معنى البيت جاب
صداه صداهم على عادتهم فيما كانوا يقولون أن عظام الموتى تصير اصداء وهاما
(٣) أى أرسلت في حفرة معوجه يعنى اللحد و (يسنى ترابها)
أى يهال ترابها على (٤) اختياله أدلاله وتجبره و (القروم) الفحول ويريد
بنسامت القروم تنازلت (٥) القسامة الحسن وروى مكانها نسالتى
أى نجدتي وشجاعتى

والارض ليقولن الله . فكان كفرهم بخضوعهم لها الخضوع التام واحترامهم اياها أعظم الاحترام لان الله خص نفسه بغاية التعظيم ولم يرض الوساطة بينه وبين عباده لانه قريب يجيب دعوة الداع اذا دعاه وهو أقرب اليه من حبل الوريد ومن العرب من انكر وجود الله . وحكى الشهرستاني مذهبهم فقال : (وصنف منهم أنكروا الخالق والمبعث والاعادة وقالوا بالطبع المحي والدهر المفى وهم الذين اخبر عنهم القرآن المجيد وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر اشارة الى الطبائع المحسوسة وقصر الحياة والموت على تركيبها وتحللها فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون فاستدل عليهم بضرورات فكرية وآيات قرآنية فطرية في كم آية وكم سورة فقال تعالى : أولم يتفكروا ما يصاحبهم من جنة ان هو الا مذير مبين أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض . وقال أولم ينظروا الى ما خلق الله . وقال يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي حاقكم فنبئت الدلالة الضرورية من الخلق على الخالق فانه قادر على الكمال ابداء واعادة)

الا «نباء والرسل الكرام» - قد آمن كل أهل دين سماوى بالانبياء والمرسلين الذين ذكرهم نبيهم أو أخبر عنهم كتابهم . اما الدهريون الذين أنكروا الخالق فأذكروا الانبياء والمرسلين كما أنكرهم عباد الاصنام وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الاسواق الى قوله ان تتبعون الا رجلا مسحورا قال الشهرستاني (وكان انكارهم لبعث الرسول في الصورة البشرية أشد واصرارهم على ذلك أبلغ وأخبر عنهم التنزيل وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا أبشر يهدونا فمن كان يعترف بالملائكة كان يريد أن يأتي ملك من السماء وقالوا لولا أنزل عليه ملك . ومن كان لا يعترف بهم كان يقول الشفييع والوسيلة منا الى الله تعالى هم الانصاب المنصوبة اما الأئمة والشرعية من الله اليها فهو المتكبر فيعبدون الاصنام التي هي الوسائل)

البعث والحساب - اختلف اعتقاد العرب في البعث اختلافا كثيرا فأكثروا عباد الأصنام الذين تقربوا لله بعبادتها أنكروا بعث الأجساد مع إقرارهم بالخالق وابتداء الخلق والابداع - فقالوا (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون) وقال تعالى فيهم (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم - وقد استدلل الله تعالى عليهم بالنشأة الاولى لا عترافهم بها فقال (قل يحييها الذي أنشأها أول مرة) وقال (أفعمينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد) ومن أشعارهم الدالة على انكار البعث قول بعضهم

حياة ثم موت ثم شر حديث خرافة يأم عمرو
وقال شداد بن الاسود الليثي يرثي قتلى بدر أمم المشركين ويتهكم بما أنزل على سيدنا محمد

ألا من مبلغ الرحمن عني بأننى تارك شهر الصيام
إذا ما الرأس زایل منكبیه فقد شبع الانیس من الطعام
أیوعدنا ابن كبشة أن سنحیا وكيف حياة اصداء وهام (١)
أترك ان ترد الموت عی وتحیننی اذا بليت عظامی
ومنهج من كان يؤمن بالله واليوم الآخر وعرض الاعمال يومئذ لحساب بقية
فيهم من الاديان السماوية وقال أعشى قيس في ذلك

فأأيلى على هیکل بناء وصلب فيه وصارا (٢)
يراح من صلوات الملی لك طور اسجودا و طور اجوارا (٣)
بأعظم منك تقى في الحساب اذا النسمات نفضن الغبارا (٤)
وقال حاتم الطائي في البعث واستنثاره تعالى بعلم الغيب
اما والذي لا يعلم الغيب غيره ويحيي العظام البيض وهي رميم

(١) يريد ابن كبشة سيدنا محمد أرسول الله (٢) الايبلى الراهب و (الهيكل) بيت النصراني فيه صورة مریم وديرهم و (صلب) اتخذ صليبا (٣) الجوار رفع الصوت بالدعاء (٤) النسمة الانسان جمعه نسمات

لقد كنت أطوي البطن والزاد يشتهي محافظة من أن يقال لئيم
وقال حاتم أيضا

واني وان طال الثواء لميت ويعظمنى ماوى بيت مسقف (١)
ونى لمجزى بما أنا كاسب وكل امرئ كسب بما هو متلف
وقال قس بن ساعدة الايادى فى البعث وكان ممن يعتقد التوحيد
يا باكى الموت والاموات فى جدث عليهم من بقايا بزهم خرق
دعهم فان لهم يوماً يصاح بهم كما ينبه من نوماته الصمق
حتى يجيئوا بحال غير حالهم خلق مضى ثم هذا بعده خلقوا
منهم عراة وموتى فى ثيابهم منها الجديد ومنها الازرق الخلق
وهو القائل فى وصية له : كلا ورب السمكة ليعودن ما بآد ولئن ذهب
ليعودن يوماً . وقال زيد بن عمرو بن نفيل .

فلن تكون لنفسى منك واقية يوم الحساب اذا ما يجمع البشر
وقال علان بن شهاب التميمي

وعلمت أن الله جاز عبده يوم الحساب بأحسن الاعمال

ومن المؤمنين بالبعث عبد الله بن تغلب بن وبرة وعبد المطلب بن هاشم وكان
يقول : انه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم الله منه الى أن هلك رجل
ظلوم حتف أنفه لم تصبه عقوبة فقيل له فى ذلك ففكر ثم قال والله ان وراء
هذه الدار دارا يجزى فيها المحسن باحسانه والمسيء يعاقب بأساءته . ومنهم
عامر بن الظرب العدواني حكيم العرب القائل من وصية له : انى مارأيت شيئاً
قط خلق نفسه ولا رأيت موضوعاً الا مصنوعاً ولا جائياً الا ذاهباً ولو كان
يميت الناس الداء لآحياءهم الدواء . ثم قال انى أرى أموراً شتى وحتى قيل له
وما حتى . قال : حتى يرجع الميت حياً ويعود ما ليس بشئ شيئاً ولذلك خلقت
السموات والارض فتولوا عنه ذاهبين فقال : ويل أمها نصيحة لو كان من يقبلها
كتابة الاعمال — اعتقد بعضهم بكتابة الاعمال فى هذه الدار وعرضها

(١) يعظمنى من عظمه عظمة ضرب عظامه وفى رواية : يضظمنى

يوم البعث . فهذا زهير بن أبي سلمى كان يمر بالعضاه وقد أوردت بعد ما يبست
فيقول (لولا أن يسبني العرب لآمنت بأن الذي أحيا الأرض بعد يبسها
سيحيي العظام وهي رميم) أى لا علمت هذا المعتقد ثم جهر به فقال :

فلا تكتمن الله ما فى نفوسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينتقم
ومعنى البيتين ان الله لا تخفى عليه خافية فلا تضمروا الغدر فيرقه الله
فى كتاب ويؤخر العقاب ليوم الحساب او يعجله فى الدنيا فينتقم من
الغادر .

الايان بالقدر - كانت العرب فى الجاهلية تعتقد ان الله قدر جميع الممكنات
من خير أو شر قبل خلقها . قال الحسن البصرى لم يرل أهل الجاهلية يذكرون
القدر فى خطبهم وأشعارهم . وجاء الاسلام فزاد هذه العقيدة تأكيداً . وعن
سعيد بن أبى عروبة قال : سألت قتادة عن القدر . فقال رأى العرب تريد أن
رأى المعجم . فقلت رأى العرب . قال فانه لم يكن أحد من العرب الا وهو
يثبت وأنشد

ما كان قطعى هول كل تنوفة الا كتاباً قد خلا مسطورا
ومن الايمان بالقدر قول لبيد بن ربيعة العامري فى معلقته
فاقنع عما قسم المليك فانما قسم الخلائق بيننا علامها
وقال النابغة :

وليس امرؤ نائلا من هواه شيئا اذا هو لم يكتب
خالق أفعال الانسان - اختلف المتكلمون فى الموجد لأفعال الانسان
الاختيارية فقالت المعتزلة خلقها الانسان وحده وقالت الجبرية بل خلقها الله
وهذا الاختلاف مسبوق بالخلاف فيها عند العرب فى الجاهلية . وتوسط أهل
السنة فقالوا بوجود الجزء الاختيارى للانسان فى أفعاله

وحكى الخشنى أبو عبد الله محمد بن عبد السلام خلافهم فى الجاهلية فقال :
شاعران من فحول الجاهلية ذهب احدهما فى شعره مذهب العدلية والآخر مذهب

الجبرية فالذي ذهب مذهب العدلية أعشى بكر حيث يقول
استأثر الله بالوفاء وبالعد ل وولى الملامة الرجال
والذي ذهب مذهب الجبرية لبید بن ربيعة العامري حيث يقول
ان تقوى ربنا خير نفل وبأذن الله ريث وعجل (١)
من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء أضل
وذكر صاحب الاغانى أن أعشى بكر أخذ مذهبه من أساقفة نجران وكان
يعود فى كل سنة الى عبد المدان فيمدحهم ويقيم عندهم يشرب الخمر معهم
وينادهم ويسمع من أساقفة نجران قو لهم فكل شئ فى شعره من هذا
فهم أخذه

التناسخ - هو وصول روح اذا فارق البدن الى جنين قابل للروح .
وافترق القائلون به على فرقتين (الاولى) تميز انتقال الروح لجسد ولو لم يكن
من نوع الجسد الذى فارقه اذ ليس انتقالها الى نوعها أولى من انتقالها الى
غير نوعها . والتناسخ عندهم على سبيل العقاب والثواب فالفاسق تنتقل روحه

(١) النفل محرقة الغنيمة والهبة و (الريث) الابطاء كالريث
قال السيد « ان كان لا طريق الى نسبة الجبر الى مذهب لبید الا هذان
البيتان فليس فيهما دلالة على ذلك . واما قوله . وبأذن الله ريثى والمجل .
فيحتمل ان يريد باذنه علمه كما يتأول عليه قوله تعالى « وما هم بضارين به من
أحد الا باذن الله » أى بعلمه وان قيل فى هذه الآية انه أراد بتخليته وتمكينه .
وان كان لا شاهد لذلك فى اللغة أمكن مثله فى قول لبید . وأما قوله من
هداه سبل الخير فيحتمل أن يكون مصروفا الى بعض الوجوه التى يتأول
عليها الضلال والهدى المذكوران فى القرآن مما يليق بالعدل ولا يقتضى الاجبار
اللهم الا أن يكون مذهب لبید فى الاجبار معروف بغير هذه الايات فلا
تأول له هذا التأويل بل يحمل مراده على موافقة المعروف من مذهبه «
زاد بعضهم بين بيتى لبید قوله

أحمد الله فلان له بيديه الخير ما شاء فعل

الى أجساد البهائم المسخرة للأعمال الشاقة أو المعدة للذبح أو المرتطمة في
الاقذار و (الثانية) تمنع انتقال الروح لجسد يغاير نوع الجسد الذى فارقه
لان النوع الذى أوجب لها طبعها الاشراف عليه والتعلق به لا يجوز ان
تتعلق بغيره والتناسخ مذهب قديم قال به أهل الهند والعرب فى الجاهلية
قال ابن أبى الحديد : وكان من العرب من يعتقد التناسخ وتنقل الارواح
فى الاجساد ومن هؤلاء أرباب الهامة (١)

وقد منّا آ نفا عند قولهم للجنّاة كنت فى أهلك ما أنت مرتين عن ابن
حجر انهم كانوا لا يؤمنون بالبعث بل كانوا يعتقدون ان الروح اذا خرجت
تصير طيرا فان كان ذلك من أهل الخير كان روحه من صالح الطير والا فبالعكس
ولقد خالف بعض المسلمين الاجماع فأجاز انتقال الروح لجسد من نوع
الجسد الذى فارقه أو من غير نوعه ومن هؤلاء احمد بن حابط و احمد بن
نانوس تلميذه وأبو مسلم الخراسانى ومحمد بن زكريا الرازى الطبيب وهو قول
القرامطة وأكثر جماعة الشيعة وقال رجل من النصيرية

اعجبى امنا لصرف الليالى جعلت اختنا سكينه قاره

فازجرى هذه السنانير عنها وأتركها وما نضم الفراه

المسح - تحويل الصورة الى صورة هى دونها قال الجاحظ قلت لعبيد

الكلابى وكان مشغولا بالابل أئينكم وبين الابل قرابة قال نعم خؤوله فقلت
مسحك الله بعيرا فقال ان الله لا يمسح انسانا على صورة كريم بل لئيم . وينكر
المسخ أكثر الدهرية وأهل الكتاب لم يقرأوا به غير أنهم أجمعوا على أن الله
جعل امرأة لوط حجرا والمسلمون على جوازه لا مكانه ووقوعه قال تعالى (فلما

(١) قال الشهرستانى فى الملل ومن العرب من يعتقد التناسخ فيقول اذا

مات الانسان أو قتل اجتمع دم الدماغ واجزاء بنيته فانتصب طيرا هامة فيرجع
الى رأس القبر كل مائة سنة ولهذا أنكر الرسول عليهم فقال لا هامة ولا عدوى
ولا صفر) وانت خبير بأن هذا ليس من التناسخ الذى هو وصول الروح عند
مفارقة البدن لجسم جنين

عتوا عما نهوا عنه . قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) أما اعتقاد مسخ شيء معين فتوقف على ورود النص

وكانت العرب في الجاهلية تعتقد وقوع المسخ فزعموا أن عشارين مسخ أحدهما ضبعا والآخر دثباً وزعموا أن سهيلاً كان عشاراً وأن الزهرة كانت امرأة اسمها اناهيد فسحنا نجمين .

﴿ أحكامهم الدينية ﴾

لا نذكر في هذا الفصل الأحكام الدينية لليهود والنصارى من العرب ولكن نذكر بعض الأحكام الدينية لمشركيهم وهم الدهماء وتلك الأحكام إما من مجهود قرائعهم واستحسناتهم ما حسنه عقلهم واستقبحاتهم ما قبحه أو بقية فيهم من شريعة إبراهيم وإسماعيل فإن الخنيفية لم تطمس جميع أحكامها بما دخل عليها من عبادة الأصنام والكواكب وغيرها فقد حرم كثير منهم الزنا لتحريم شريعة إبراهيم وآياه أو لما فيه من ضرر الاغارة على الاعراض واختلاط الانساب فن هؤلاء عبد الله بن عبد المطلب والد نبينا عليه الصلاة والسلام وهو القائل لما راودته فاطمة بنت مر الخنعمية عن نفسها

أما الحرام فالملامات دونه والحل لاجل فأستبيحه

فكيف بالامر الذي تبغيه يحمي الكريم عرضه ودينه

ومنهم الاسلوم اليالى وهو القائل في تحريم الزنا والحرم .

سألت قومي بعد طول مضاضة والسلم أبقى في الامور وأعرف

وتركت شرب الراح وهى أميرة والمومسات وترك ذلك أشرف

وعففت عنه يا أميم تكرمًا وكذاك يفعل ذو الحجا المتعفف

ومنهم عنبرة بنى عبس وهو القائل .

ما سمت أننى نفسها فى موطن حتى أوفى مهرها مولاها

أغشى فتاة الحى عند حليلها واذا غزا فى الحيش لا أغشاها

واغض طرفى ان بدت لى جارتى حتى يوارى جارتى مأواها

وكانوا يرجون فى الزنا وبروى أبو هلال العسكري عند قولهم فى المثل

(احدى بنات طبق) ان امرأة قالت لزوجها في سفر احمل لي هذا السكر
 حملة فلما توسط الثانية وحد بللا على عنقه فقذف به فخرج منه رجل يسمى
 فاستفتى لقمان بن عاد في شأنها فقال تدفن حية في كرزها قال أبو حاتم وأظن
 ان أصل رجم المحصنة من هذا وذكر القلقشندي ان أول من رجم في الزنا
 في الجاهلية ربيع بن حذان ثم جاء الاسلام بتقريره في المحصن
 وحرم كثير من أهل الرأي فيهم الحمر تكريما لانفسهم وصيانة لها عن
 معة السكر او اتقاء لضرر الحمر وذكر ان أول من حرمها الوليد بن المغيرة
 وقيل قيس بن عاصم السعدي وفيها يقول

لعمرك ان الحمر مادت شارباً لسالة مالي ومذهبة عقلي
 وتاركتي من الضعاف قواهم ومورثتي حرب الصديق بلا نبيل
 وحرمها صفوان بن أمية بن محرز الكنانى وقال وتروى لقيس بن عاصم
 رأيت الحمر صالحة وفيها خصال تفضح الرجل الكريم
 فلا والله أشربها حياتي ولا أشفي بها أبدا سقيما
 ولا أعطى بها ثمناً حياتي ولا أدعو لها أبدا نديما
 فان الحمر تفضح شاربها وتورثهم بها الامر العظيما
 اذا دب حياها نعلت طوالع تسفه الرجل الحليما

ومنهم مقيس بن صباية السهمي وذلك انه سكر مرة فجعل يخط ببوله .
 ويقول نعمة أو بعير فلما أفاق أخبر بذلك حرمها وقال

رأيت الحمر طيبة وفيها خصال كلها دس ذميم
 ولا والله أشربها حياتي طوال الدهر ما طلع النجوم
 ومنهم الاسلوم اليالى وعبد المطالب بن هاشم جد النبي عليه السلام وعمه أبو طالب
 وجده قصي بن كلاب وهو القائل لبنيه اجتنبوا الحمر فانها تصلح الابدان
 وتفسد الازهار وورقة بن نوفل وشيبة بن ربيعة والوليد بن الوليد وعامر بن
 الظرب العدواني وعبد الله بن جدعان وكان من أجواد قريش وساداتها وسبب
 تحريمه الحمر كما قال أبو الزناد انه شرب مع أمية بن أبي الصلت الثقفي فضربه

على عينه فأصبحت عين أمية مخضرة يخاف عليها الذهاب فقال له عبد الله
ما بال عينك فسكت فألح عليه فقال له ألت ضاربها بالامس فقال أو بلغ مني
الشراب ما أبلغ معه من جليسي هكذا ووداها ديتين عشرة آلاف درهم وقال
الحمر على حرام لا أذوقها بعد اليوم أبدا وحرمها عفيف بن معد يكرب
الكندي عم الاشعث بن قيس وقال

وقائلة هلم الى التصابي فقلت عففت عما تعلمينا
وودعت القداح وقد أراني بها في الدهر مشغوفا رهينا
وحرمت الخمر على حتى أكون بقعر ملحود دفيئا
وقال أيضا

فلا والله لا ألقي وشرباً أنازعهم شراباً ما حييت
أبي لي ذاك اباء كرام وأخوال بعزم ربيت
ومن حرمها في الجاهلية وأدرك الاسلام أسد بن كرز وكان يدعي في
الجاهلية رب بجيلة وسويد بن عدى بن عمرو بن سلسلة الطائي وهو القائل
حين أدرك الاسلام

تركت الشعر واستبدلت منه اذا داعى منادى الصبح قاما
كتاب الله ليس له شريك وودعت المدامة والندامى
وحرمت الخمر وقد أراني بها سدكا وان كانت حراما

وأبو بكر الصديق وعبد الرحمن بن عوف والعباس بن مرداس وقد قيل
له حين كبر لو أخذت من الشراب شيئا فانه يزيد في قوتك فقال لا أدخل
رأسى شيئا يحول بينى وبين عقلى . وعثمان بن عفان وقيل له ما منعك من شرب
الخمر في الجاهلية فقال انى رأيتها تذهب العقل جملة وما رأيت شيئا ذهب جملة
ويعود جملة وعدى بن هاشم وقد قيل له مالك لا تشرب الخمر فقال لا أشرب
ما يشرب عقلى وقيل له مالك لا تشرب النبيذ فقال معاذ الله أصبح حكيم قويم
وأمسى سفيهم

ومن بقايا دين ابراهيم فيهم احترام البيت وأعمال الحج والعمرة وحرمة

الاشهر الحرم والغسل من الجنابة وتفصيل الموتى وتسكينهم مما تقدم ذكره
ومن الاحكام الدينية التي ذكرتها مفصلة في كتابي « المرأة العربية في الجاهلية »
حرمة تزوج الامهات والبنات والعمات والخالات وحرمة الجمع بين الاختين
وأول من جمع بينهما أبو احيحة سعيد بن العاص جمع بين هند وصفية ابنتي
المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وحرمة قربان الحائض والاغتسال من
الحيض والظهار والايلاء والخلع وعدة الوفاة والطلاق والعدة منه وكونه ثلاثا
على التفرقة قال عبد الله بن عباس أول من طلق ثلاثا اسماعيل بن ابراهيم
بثلاث كرات وكانت العرب تفعل ذلك فيطلقها واحدة وهو أحق الناس بها
حتى اذا استوفى الثلاث انقطع السبيل عنها ولقد حرموا السرقة وكانوا
يقطعون يد السارق اليمى وكانت ملوك اليمن وملوك الحيرة تصلب الرجل اذا
قطع الطريق وقدروا الدية في النفس والجوارح وحكموا بأن الخنثى يتبع في
ميراثه المبال وكان طريق الحكم عندهم يمينا أو منافرة الى حاكم يقطع بالبينات
أو جلاء وبرهانا يحل به الحق وتنصح به الدعوى وجاء ذلك في قول زهير
فان الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو حلاء

قال بعض الرواة لو أن زهيرا نظر الى رسالة عمر بن الخطاب الى أبي موسى
الاشعري ما زاد على ما قال وكانت اليمين على المدعى . وأول من قال البيعة على
من ادعى واليمين على من أنكر قس بن ساعدة الإيادي . وكانوا يقضون
بالقسامة وهي الايمان تقسم على أهل المحلة في شأن قتيل وجد في محلهم لم
يدر قاتله فيستحلف ولي الدم منهم خمسين رجلا بالله ما قتلت وما علمت له قاتلا
وأول قسامة في الجاهلية كانت بحكم أبي طالب وجاء الاسلام فأقر القسامة على
ما كانت عليه في الجاهلية . وكانوا يداومون على طهارات الفطرة العشر التي
ابتلى الله بها ابراهيم وهي خمس في الرأس المضمضة والاستنشاق وقص الشارب
وفرق الشعر والسواك وخمس في الجسد وهي الاستنجاء بالماء وتقليم الاظفار
ونشف الابط وحلق العانة والختان امثالا لامر ربه . فلما جاء الاسلام أقرها
سنة من سنن الدين ولنبسط الكلام على الختان فنقول

الختان - هو في العرب سنة للنساء والرجال وأول امرأه أختنت هاجر أم اسماعيل وأول رجل أختن إبراهيم أمثالاً لأمه ربه . ولقد حافظت العرب على سنة الختان حتى أن العربي ليخشى أن يوسم بانه أغرل (١) وشاهده ما حكاه ابن هشام في غزوة حنين من انه لما استبحر القتل من ثقيف في بني مالك فقتل منهم سبعون رجلاً منهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة وقتل معه غلام نصراني له أغرل فبينما رجل من الانصار يسلب قتلى ثقيف اذ كشف العبد يسلبه فوجده أغرل فصاح بأعلى صوته يامعشر العرب يعلم الله ان ثقيفاً غرل قال المغيرة بن شعبه فأخذت بيده وخشيت أن تذهب عنا في العرب فقلت لا تقل ذلك فذاك أبي وامى انما هو غلام لنا نصراني . ومنه يعلم أن نصارى العرب كانوا لا يختنون ومن عادتهم أن يختنوا الوليد رضيعاً أو صبياً ويتخذون لذلك وليمة يسمونها الاعذار وحكى أهل السير أن النبي ولد معذورا (٢) قال الجاحظ في الحيوان (والختان في العرب في الرجال والنساء من لدن إبراهيم وهاجر الى يومنا هذا ثم لم يولد صبي مختون قط أو في صورة مختون وناس يزعمون أن النبی وعيسى ابن مريم عليهما السلام ولدا مختونين والسبيل في مثل هذا الرجوع الى الرواية الصحيحة) وقد اختلف في ولادة نبيينا مختونا على ثلاثة أقوال حكاه ابن القيم الجوزية في كتابه زاد المعاد (أولها) انه ولد مختونا مسرورا (٣) وقد روى في ذلك حديث لا يصح ذكره أبو الفرج ابن الجوزي في الموضوعات وليس فيه حديث ثابت وليس هذا من خواصه فان كثيراً من الناس يولد مختونا والناس يقولون لمن ولد كذلك ختنه القمر وهذا من خرافاتهم (٤) (ثانيها) انه ختن

(١) الاغرل كالأقلاف ذو الغرلة أو القلفة وهي الجلدة التي تقطع في الختان
(٢) معذورا أى مختونا يقال عذر الصبي واعذر اذا ختن (٣) مسرورا أى مقطوع السرة (٤) كانت العرب في الجاهلية تزعم أن الغلام الذي يولد في القفرء يخننه القمر وذلك لان غرلته تنقلص فيصير كالمختون قال ابن أبي الحديد « ويجوز عندنا أن يكون ذلك من خواص القمر كما أن من خواصه ابلاء الكتان واثنان اللحم وقد روى عن علي بن أبي طالب اذا رأيت الغلام طویل

يوم شق قلبه الملائكة عند ظئره حليلة (ثالثها) ان جده عبد المطلب ختنه يوم سابعه وصنع له مأدبة وسماه محمدا « قال أبو عمرو ابن عبد البر وفي هذا الباب حديث غريب مسند الى ابن عباس ومن رجال سنده يحيى بن أيوب القائل قد طلبت هذا الحديث فلم أجده عند أحد من أهل الحديث ممن لقيته الا عند ابن أبي السرى وقد صنف كمال الدين بن طلحة مصنفاً في انه ولد مختوناً وأجلب فيه من الاحاديث التي لا زمام لها فنقضه عليه كمال الدين بن العديم وبين فيه انه ختن على عادة العرب وكان عموم هذه السنة للعرب مغنياً عن نقل معين فيها

✽ الدين الفتشي ✽

يقال له دين الوثن وذى الروح . لان أهله اعتقدوا أن لكل مادة روحاً تحتل الجسم أو تتصل به ولها سلطان على الاجسام الاخرى حتى أن عبید غانة كانوا اذا خرجوا لسفر أقسموا أمام أول كائن يبصرونه انهم يخصوصونه بأنواع العبادة اذا وفقوا في سفرتهم فعبدوا لذلك الاشجار واغصانها وجزورها وقشورها والجلد والعظم والريش والنباب والمخلب والحافر والسن والظفر والحجر وأنواع الحيوان وآلات الحرب والشمس والقمر وغير ذلك لا اعتبارهم أن لها قوة مؤثرة وقدموا لها الترايين باعتبار الروح التي تتصل بها أو تحتلها واتخذوها تيممة تقيهم عوادي الايام وتدفع عنهم الخطوب . وهذه ديانة كل الامم المتوحشة ويسمى الافرنج هذا الدين فتيش *fétichisme* وأصلها في اللغة

الغرة فأقرب به من السؤ د واذا رأيت قصير الغرة كأنما ختنه القمر فأبعد به « وأنت خبير انه يولد في القمراء كثيرون ومتقاص الغرة منهم أقل من القليل وكان يصح دعوى جواز الخاصة للقمر لو كان من يولد في القمراء كلهم أو جلهم متقلص الغرة وانما خاطبهم على رضى الله عنه بحسب ما يعتقدون قال امرؤ القيس لقيصر وقد وجده أقلق حين دخل معه الحمام

انى حلفت يمينا غير كاذبة لانت أغلف الا ماجنى القمر

البرتغالية Leão بمعنى السحر لان الملاحين البرتغاليين سموها السحرة من الزنوج . ثم توسعوا فيها فأطلقوها على هذا الدين ولقد كان اكبار بعض الناس للحكماء الاولين أن اتخذوا لهم الصور والتماثيل اعترافا بفضلهم فيما بذلوا من الارشاد والتهذيب فاتخذ المتأخرون لجهلهم تلك الصور والتماثيل زلفى يعبدونها لتقربهم الى الله ثم آل الامر ببعضهم أن اتخذ تلك الاصنام آلهة خصوصها بأنواع العبادة كما دعتهم أوهاهم الى ذلك

ولشيوع هذا النوع من العبادة في أمم عديدة عبدت الملوك العادلون والعُباد والشجعان والقواد والسحباء الاجواد ممن بلغ في صفة غاية الكمال ثم زادوا فيه توسعا فعبد كل قوم صنما استحسنوه على صورة انسان أو كوكب أو حيوان أو معدن أو نبات ثم توسعوا في ذلك حتى اختص بعضهم بصنم يعبد في خلوته دون ذويه وعشيرته

ومعبودات هذا الدين لا تحصر فان من لوازم النفوس البحث عن موحد فتصوروه النافع أو الضار من النبات أو المعدن أو الحيوان أو الكواكب وافترقوا في عبادة ذلك النافع أو الضار بحسب اختلاف النظر الى فرق شتى . فمنهم عباد الثيران وعباد الشعابين . وعباد الفيلة وعباد القطط وعباد الثوم وعباد شجر الزيتون وعباد الخرنوب وعباد الشمس أو القمر وعباد التماثيل ، وعباد الانسان أو جزء منه أو غير ذلك حتى عبدوا الارواح كالملائكة والشياطين . واعتنق هذا الدين كثير من العرب من قديم الزمان ولم تدل دولة هذا الدين وغيره من الاديان حتى أشرق على العرب نور الاسلام فتبددت بأشعته حجب الاوهام

* عبادة الانسان والحيوان والشجر والملائكة والجن *

من العرب عباد الحيوان أو عبدة الملائكة أو الجن أو الشجر لمعنى تلحظه في المعبود من النفع أو الضرر . فمن عبادة الحيوان عبادتهم للجمل وشاهدها ما ذكره السهيلي في قدوم وفد طيئ على رسول الله قال « خرج نمر من طيئ

يريدون النبي عليه السلام بالمدينة وفودا ومعهم زيد الخيل ووزر بن سروس
النهباني وقبيصة بن الاسود بن عامر بن جويس الجرمي وهو النصراني ومالك
ابن عبد الله بن خبيري بن افلت بن سلسلة وقعين بن خليف الظريفى رجل
من جديلة ثم من بنى بولان فمقلوا رواحهم بفناء المسجد ودخلوا فجلسوا
قريبا من النبي صلى الله عليه وسلم حيث يسمعون صوته فلما نظر النبي صلى الله
عليه وسلم اليهم قال إني خير لكم من العزى ولاتها ومن الجمل الاسود
الذى تعبدونه من دون الله ومما حازت منا (١) من كل ضار غير نفع ،
ونقل هذا الخبر الاصفهاني في الاغانى . ومن ذلك ما كان من عمرو بن حبيب
الموصوف بنى الكيود أى كثير الكيد فانه أغار على بنى بكر فأصاب
سقباً (٢) كانوا يعبدونه من دون الله فأراد اغاظتهم فنحره وأكله وفى ذلك
يقول احمد البدوي الشنجيطى عند ذكر محارب وهو أبو قبيلة

وأنسب حبيهم وذا الكيود آكل سقب بكر المعبود

عبادة الانسان — كانوا يعظمون الامراء والرؤساء تعظيم العبادة . وليس
أدل على ذلك من الحج اليهم وتعظيم أما كنهم وآثارهم وقد حجت العرب
عصابة الزبرقان بن بدر قال السهيلي « وكان الزبرقان يرفع له بيت من عمام
وثياب وينضح بالزعفران والطيب وكانت بنو تميم تحج ذلك البيت وقد أشار
الزبرقان لذلك بقوله من قصيدة

بما ترى الناس تأتينا سرائهم من كل أرض هوىنا ثم نصطنع (٣)

فننحر الكوم عبطا فى أرومتنا للنازلين اذا ما انزلوا شبعوا

قال البغدادى فى خزنة الادب (وقال أبو محمد الاسود الاعرابي ان بنى سعد

ابن زيد مناة كانوا يحجون عصابة الزبرقان اذا استهلوا رجبا فى الجاهلية اجلالا
له واعظاما لقدره وذكر ذلك ربيعة بن سعد النمري يمدح الزبرقان بقوله

كانت تحج بنو سعد عصابته اذا استهلوا على أنصابه رجبا

(١) قال أبو المنذر يعنى بمناع جبل طي (٢) السقب ولد الناقة أو ساعة

يولد أو خاص بالذكور (٣) وفى رواية . من كل أرض هوىنا ثم نتبع

سب يزغفره سعد ويعبد في الجاهلية يدتابونه عصباً
والمصابة ما يعصب به الرأس « فأنت ترى الشاعر قد صرح بأن هذا
التمظيم نوع من العبادة في قوله ويعبد في الجاهلية . ولقد هجا الزبرقان بن
بدر المخبل السعدى فقال

ألم تعلمي يا أم عمرة اني تخاطبني ريب الزمان لا كبرا (١)

وأشهد من عوف حلولا كثيرة يحجون سب الزبرقان المرعفرا (٢)

والزبرقان هو حصين بن بدر لقب به لحسن وجهه لأن الزبرقان من أسماء
القمر أو لأنه كان يزبرق عمامته في الحرب أى يصفرها . وكان الزبرقان في وفد
تميم الذين وفدوا على رسول الله فنادوه من وراء الحجرات وقد أسلم وولاه
رسول الله صدقات قومه فأداها في الردة الى أبى بكر فأقره ثم الى عمر وذكر
الكوكبى انه وفد على عبد الملك وقاد اليه خمسة وعشرين فرسا ونسب كل
فرس الى آبائه وأمهاته وحلف على كل فرس مسها يمينا غير التى حلف بها
على غيرها فقال عبد الملك : عجبى من اختلاف إيمانه أشد من عجبى بعمرته
بأنساب الخيل

عبادتهم الملائكة والجن — شاهدما ما ذكره الشهرستاني في كتابه

(١) تخاطبني بمعنى تخاطبني وفاتني و (ريب الزمان) حوادثه و (كبر) في

السن من باب فرح . يعنى انه كره أن يعيش ويعمر حتى يرى الزبرقان من
الجلالة والمظمة بحيث يحج بنو سعد عصابته (٢) قال البغدادى في خزانة
الادب قال أبو محمد الاسود (واشهد) بالنصب عطف على لا كبرا و (عوف)
أبو قبيلة وهو عوف بن كعب بن سعد و (الحلول) القوم النزل من حل
بالمكان اذا نزل فيه و (يحجون) يقصدون قال ابن دريد في الجرة الحج
القصص وأنشد هذا البيت و (السب) بكسر السين المهمة العمامة وكانت
سادات العرب تصبغ العمامم بالزغفران وقال بعض الناس ان الشاعر قصص
بهذا البيت معنى قبيحا وكنى بهذا اللفظ عنه . ويدفعه قوله يزورون فان
الزيارة لا تستعمل في هذا الا أن يدعى التهم

الملل والنحل : ان من العرب من يصبوا الى الملائكة فيعبدونهم ومنهم من يعبد الجن ويعتقدون فيهم انهم بنات الله . وقال أبو المنذر « وكانت بنو مليح من خزاعة يعبدون الجن وفيهم نزلت ان الذين تدعون من دون الله عبادةً أمثالكم ، وفي شعب الايمان عن مجاهد قال قال كفار قريش الملائكة بنات الله . فقال لهم أبو بكر الصديق فمن أمهاتهم قالوا بنات سراة الجن . ولقد رد الله عليهم بقوله « الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون » الى أن قال « وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون سبحانه الله عما يصفون »

وقد اعتقد بعض العرب في أشخاص من الملائكة والارواح التدبير لاهل الارض فيما دون الامور العظام من اصلاح حال العابد في نفسه وولده وماله وشبههم بحال الشفعاء والندماء . وبعضهم اعتقد أن الله جل جلاله يكتسب من الملائكة علما ليس عنده قياسا على الملوك بالنسبة للجواسيس . واعتقد العرب أيضا ان الجن يعلمون الغيب . وانهم قادرون على ايداء الانسان فكانوا يستعينون بهم اذا ركبوا المفاوز يزعمون انهم اذا استعاضوا بهم دفعوا عنهم كل مكروه حتى قال بعضهم وقد استعاض بالجنى عظيم الوادي فأكل السبع ولده

قد استعذنا بعظيم الوادي من شر ما فيه من الاعادي

فلم يجرنا من هزبر عادي

وسبوا أكثر الامراض الى الجن وداووها بالتقرب اليها واذا اشترى أحدهم داراً أو استخرج عينا ذبح للجن ذبيحة لتسعد الدار ولا تنضب العين وأمثال هذه المعتقدات كانت مدعاة لعبادتهم وعن عبد الله بن مسعود في رواية أن نفراً من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن فأسلم الجنيون والانس كانوا يعبدونهم ولا يشعرون فأنزل الله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا : ولقد رد الله أيضا على من عبد الملائكة من العرب بقوله

« ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء آياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون عبادتهم للأشجار - حكى عبادتهم لها ابن هشام في السيرة عند الكلام على غزوة حنين عن الحارث بن مالك . قال « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية . فسرنا معه إلى حنين وكانت لكفار قریش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواط (١) يعظمونها ويأتونها كل سنة فيعلقون أسلحتهم عليها ويذبحون عندها ويمكفون عليها يوماً . فرأينا ونحن نسير مع رسول الله سدره خضراء عظيمة فتنادينا من جنبات الطريق يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر قلتم والذي نفس محمد بيده كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا الهأ كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون انما السنن تركبن سنن من كان قبلكم » وفيها يقول الشاعر

لنا الميمن يكفيننا أعادينا كما رفضنا إليه ذات أنواط

هذا وعبدت العرب العزى وهي كما قال السهيلي « مخلات مجتمعة وكان عمرو بن لحي قد أخبرهم أن الرب يشقى بالطائف عند اللات ويصيف بالعزى فعظموها وبنوا لها بيتاً وكانوا يهدون إليه كما يهدون إلى الكعبة »

ومما فعله عمر بن الخطاب مخافة عبادة الشجر قطعه للشجرة التي حصلت تحتها بيعة الرضوان عام الحديبية سنة ست للهجرة فمن نافع قال (كان الناس يأتون الشجرة التي بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها بيعة الرضوان فيصلون عندها فبلغ ذلك عمر فأوعدهم فيها وأمر بها فقطعت . فعل عمر ذلك قطعاً لشأفة الوثنية خشية الفتنة بها وعبادة غير الله تعالى . ولعمري في هذا الباب مواقف مجيدة منها انه عند ما دخل مسجد بيت المقدس استدعى كعب الاحبار فلما أتى به قال له أين ترى أن نجعل المصلى فقال إلى الصخرة فقال

(١) ناطه نوطاً علقه والانواط المعاليق سميت بذلك لانهم كانوا يعلقون

بها أسلحتهم

ضاهيت والله اليهودية يا كعب وقد رأيتك وخلعتك نعليك فقال أحببت أن أبشره بقدمي فقال قد رأيتك بل نجعل قبلته صدره كما جعل رسول الله قبلة مساجدنا صدورنا فاذهب اليك فاننا لم نؤمر بالصخرة ولكننا أمرنا بالكعبة. ومنها قوله للحجر الاسود لولا اني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك ولقد أعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع

❖ الوثنية في العرب ❖

أول من سجد للأصنام الصابئون . وكانوا كالمجوس يسجدون في مبدأ أمرهم للأجرام السماوية ولما رأوا الشمس تختفي ليلاً وسائر الكواكب نهراً وأرادوا التمكن من عبادتها في كل حين مثلوا لها صوراً عبدوها ولذلك كانت أوثان القدماء المشهورة هي المشتري وزحل والمريخ وعطارد وأرطاميس ويونون والزهرة ثم زعموا أن لنفوس الاموات العظماء مدداً الهياً به كانوا عظماء في الحياة فمثلوا لهم صوراً عبدوها واتخذوهم شفعاء عند الله . وأول من فعل ذلك نينوس بن نمرود بن نوح ملك الاشوريين باني مدينة نينوى فانه صنع لانيه تمثالاً سنة ٢٠٥٩ قبل الميلاد وحمل الناس على عبادته وذلك مبدأ عبادة الملوك والامراء والشجعان

وتاريخ دخول الوثنية في بلاد العرب قديم جداً وأول من أدخلها الى مكة وما جاورها عمرو بن لحي سيد خزاعة . وذلك أن جرهما كانوا قد طغوا في الحرم وظلموا واستحلوا منه أموراً عظيماً . فإرسل الله اليهم خزاعة حين أجلهم سيل العرم من بلادهم فطردوا جرهما منه وقتلوا من قتلوا منهم فشفى ذلك صدور أهل الحرم وفرحوا بانتصار خزاعة على جرهم . وربما ظنوا أن الله قد أرسلهم اليهم ليخلص أهل حرمه من جورهم وكان رئيس خزاعة عمرو بن لحي فتولى سدانة البيت . ودانت له العرب واتخذوه رباً لا يبتدع لهم بدعة الا اتخذوها شرعة . وكان فوق ذلك قد ملكهم بأحسنه فربما نحر في الموسم عشرة آلاف بدنة وكسى عشرة آلاف حلة . وكان يطعم الحجيج السويق فدعاهم لعبادة الاوثان وكانت نفوسهم مستعدة لعبادتها بما كانوا يعظمونه

من حجارة الحرم فأجابوه حكى أبو المنذر عن أبيه وغيره قال « ان اسماعيل ابن ابراهيم صلى الله عليهما وسلم لما سكن مكة وولد له بها أولاد كثير حتى ملأوا مكة ونفوا من كان فيها من العماليق فضاقت عليهم مكة ووقعت بينهم الحروب والعداوات وأخرج بعضهم بعضا فتفسحوا في البلاد والتماس المماش وكان الذي سلخ بهم الى عبادة الاوثان والحجارة انه كان لا يظعن من مكة ظاعن الا أحتمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم وصباغة بمكة فحيثما حلوا وضعوه وطاقوا به كطوافهم بالكعبة تيمنا منهم بها وحبا لها وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتصرون على ارض أبيهم ابراهيم واسماعيل . ثم سلخ ذلك بهم الى أن عبدوا ما استحبوا ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل غيره فعبدوا الاوثان (١) وصاروا الى ما كانت عليه الامم من قبلهم وانتجشوا (٢) ما كان يعبد قوم نوح منها على ارض ما بقى فيهم من ذكرها وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم واسماعيل يتنسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف على عرفة ومزدلفة واهداء البدن والاهلال بالحج والعمرة مع ادخالهم فيه مالم يس منه . فكان أول من غير دين اسماعيل عليه السلام فنصب الاوثان وسبب السائبة ووصل الوصيلة وبحر البحيرة وحمل الحامية عمرو بن ربيعة . وهو لحي ابن حارثة بن عمرو بن عامر الازدي وهو أبو خزاعة . وكان الحارث هو الذي يبلى أمر الكعبة فلما بلغ عمرو بن لحي نازعه في الولاية وقاتل جُرُهما ببني اسماعيل فظفر بهم واجلاهم عن الكعبة وتقاهم من بلاد مكة وتولى حجابة

(١) لهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتسوية القبور وطمس التماثيل ولعن المتخذين على القبور المساجد والسرج ونهى عن الصلاة الى القبور وسأل ربه ألا يجعل قبره وثنا يعبد ونهى أمته أن يتخذوا قبره عيداً وقال اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد حتى لا تحلف الخلوفاً بعد الخلوفاً وتنسى ما كان عليه السلف وتتخذ ما تصنع ديناً فساداً للذريعة نهى عن ذلك (٢) انتجشوا استخرجوا

البيت . ثم انه مرض مرضاً شديداً فقليل له ان بالبقاء من الشام حجة (١) ان أتيتها برأت فأثامها فاستحم بها فبرأ ووجد أهلها يعبدون الاصنام . فقال ماهذه فقالوا نستسقى بها المطر ونستنصر بها على العدو فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة (٢) « فانت ترى ان الوثنية كانت فيهم قبل عمرو بن لحي بما عبدوه من حجارة الحرم في أسفارهم وانما عمرو بن لحي هو أول من وضع لهم أنواع عبادتها وبين لهم ضروب التقرب اليها من اتخاذ البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى وغير ذلك . وأول من نقل الاصنام الى الحرم ونصبها حول الكعبة وحمل أهلها على عبادتها ولولاه ما رسخت فيهم أقدامها ولذلك قال عليه الصلاة والسلام قد عرفت أول من سيب السائبة ونصب النصب عمرو بن لحي رأيت يثؤذى أهل النار بريح قصبه (٣) وقال سحنة بن خلف الجرهمي في اتخاذ عمرو بن لحي للاصنام

يا عمرو انك قد أحدثت آلهة شتى بمكة حول البيت انصاها

وكان للبيت رب واحد أبداً فقد جعلت له في الناس أربابا

لتعرفن بأن الله في مهل سيصطنى دونكم للبيت حجابا

ونظم ذلك أحمد البدوي الشنقيطى في كتابه عمود النسب فقال

قمة قيل جد عمرو بن لحي ذى القصب في حديث أفضل لوى

أول من حمل أكياس الحرم لكفره على عبادة الصنم

وأدخل الذين أخرجهما أذا أحدثا فسحنا أهلها (٤)

(١) الحجة بفتح الحاء والميم المشددة المفتوحة كل عين فيها ماء حار ينبع

يستشفى بها الاعلاء (٢) حكى أبو المنذر أيضاً أن عمرو بن لحي كان كاهنا

ركان له رثنى من الجن يكنى أبا ثمامه فقال له عجل بالسير والظمن من تهامة

بالسعد والسلامة . قال جبر ولا أقامه قال . انت ضف جدة تجدد فيها أصناما

معدة . فأوردها تهامة ولا تهب ثم أدع العرب لعبادتها تحب . فأتى شط جده

فاستشارها ثم حملها حتى ورد تهامة وحضر الحج فدعا العرب الى عبادتها قاطبة

(٣) القصب بالضم المعنى جمعه أقصاب (٤) انظر الكلام على أساف صفة ١٣٣

وصلبها على الصفا ليتعظ عن الزنا بمكة كل يقظ
ملك أربعين الفا فسمي عن شكرها عيون عشرين جل (١)
وكاد يعبد فكل ما أمر به من المختلقات يعتبر
كالبحر والوصل والتسيب والحماية وكل ريب
الى أن قال بعد تفصيل في البحيرة والوصيلة والسائبة والحامى

والعرب قبل متدينونا بمكة الخليل يعملونا
وهو أبو خزاعة واكنم شبهه به النبي منهم (٣)

وقد نص الشهرستاني في الملل أن عمرو بن لحي وضع الاصنام في البيت في
أول ملك سابور ذي الاكتاف وتاريخ دخول الوثنية في الحرم يرجع لتولى
عمرو بن لحي الحرم حين نزوحه مع خزاعة وتغلبه على جرهم عام سيل العرم .
وقد اختلفوا في وقت حدوث ذلك السيل قال حمزة الاصفهاني انه حدث قبل
الاسلام باربعمائة سنة أى في القرن الثالث للميلاد . وقال ابن خلدون أن السد
تهدم في أيام حسان بن تبيان أسعد أى في القرن الخامس للميلاد وذكر
ياقوت انه وقع في ملك حبشان ولعلها حسان حرفها النساح بحبشان فيوافق ابن
خلدون أو المراد بحبشان الاحباش وقد كان ملكهم على اليمن في القرن السادس
(١) في الروض الانف : وذكر أبو الوليد الازرق في أخبار مكة أن عمرو
ابن لحي فقاً أعين عشرين بعيراً وكانوا يفتقون عين الفحل اذا بلغت الابل الفا
فاذا بلغت الفين فقوا العين الاخرى قال الراجز

وكان شكر القوم عند المنى كى الصحيجات وفق الاعين

(٢) حكى ابن اسحاق في سيرته أن أبا هريرة قال سمعت رسول الله
يقول لا كنتم من الجون الخزاعي يا أكنم رأيت عمرو بن لحي بن قعدة بن خندف
يمجر قصبه في النار . فما رأيت رجلاً أشبه برجل منك به ولا بك منه . فقال
أكنم عسى أن يضرنى شبهه يا رسول الله قال لا انك مؤمن وهو كافر . انه
كان أول من غير دين اسماعيل فنصب الاوثان وبحر البحيرة وسب السائبة
ووصل الوصيلة وحمى الحامى

وكانت الوثنية في عاد قوم هود وكانت ديارهم بالدو والدهناء وعالج ويبرين ووبار الى عمان وفي نمود قوم صالح وكانت منازلهم بين الشام والحجاز في الحجر وقرح وهي وادي القرى وفي دولة حور رابي وهي الدولة البابلية الاولى من سنة ٢٤٦٠ ق م الى ٢٨١ ق م وفي أثناء هذه الدولة بعث لهم ابراهيم الخليل وقد حكى الله قصة تكسيره الاوثان في قوله « وتالله لا كيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا الا كبيراً لهم لعلمهم اليه يرجعون » الى آخر الآيات ومعبودات البابليين على ما ذكره جرجي زيدان في كتابه العرب قبل الاسلام كثيرة الشبه في أسمائها وأسماء الذين ينتسبون اليها باقدم الهة العرب في اليمين وغيرها مثل ايل وبل وشمس واشتار وسين وسمدان ونسر ويشع وذكر ايضا أن العرب القحطانيين والعدنانيين يشتركون في عبادة الاصنام الا أن آلهة القحطانيين أهل اليمين أقرب الى معبودات البابليين فعندهم عشتار وايل وبل وغيرها أما العرب الاسماعيليون أو العدنانيون سكان شمال جزيرة العرب فيشتركون في عبادات تختلف عن تلك كالكالات والعزى ومناة وهبل وغيرها وكانت الوثنية في مدين قوم شعيب وكانت منازلهم تجاور أرض معان من أطراف الشام مما يلي الحجاز وكانت الوثنية دين ملوك الحيرة قبل أن يتنصروا ودين أهل اليمين قبل أن يدخل تبع الآخر اليهودية فيهم

﴿ أصنام العرب وبيوت عبادتها ﴾

قال السهيلي يقال لكل صنم من حجر أو غيره صنم ولا يقال وثن الا لما كان من غير الصخر كالنحاس وغيره وقال أبو المنذر المعمول من خشب أو ذهب أو فضة صورة انسان فهو صنم واذا كان من حجارة فهو وثن وقال غيره الوثن كل ماله جثة معمولا من جواهر الارض أو من الخشب أو الحجارة كصورة الأدمى تعمل وتنصب فتعبد والصنم الصورة بلا جثة ومن العلماء من لم يفرق بينهما وقال اذا كان ما يعبدونه حجرا على غير صورة فهو نصب وان كان تمثالا سمي صنما ووثنا ويقال لبيت الاصنام الذي يتخذ ويزين الزونة

وللبيت الذي فيه أصنام وتصاوير البد وكان للعرب أصنام عدة وبيوت
للمعبادة يعظمونها ويجعلون لها سدة وحجابا ويهدون لها كما يهدون للكعبة
ويطوفون بها كطوافهم بها وينحرون عندها وهم يعرفون فضل الكعبة عليها
لأنهم يعلمون أنها من بناء إبراهيم الخليل عليه السلام . ولذا ذكرنا عليه
من ذلك مرتبا على حروف المعجم فنأتي بكل ما جاء منها بكتاب الاصنام لأبي
المنذر هشام بن محمد السائب بن بشر الشهير بأبن السكبي وما لم يذكر منها فيه
ننبه عليه وقد نعزوه الى مأخذه ونكتفى فيما ذكره احمد بن فارس الشدياق
في كتابه الساق على الساق فيما هو الفاريق بقولنا عن احمد فارس وفيما ذكره
ابن سيده في المخصص بقولنا عن المخصص وفيما ذكره السيد مرتضى في تاج
العروس شرح القاموس بقولنا عن تاج العروس فنقول :

آذر - صنم عبدة العرب في الجاهلية (عن تاج العروس)

اساف ونائلة - صنمان عبدهما العرب وكانوا ينحرون ويذبحون عندهما .
حكى ابن المنذر عن أبي صالح عن ابن عباس « ان اساف بن يعلى رجل من
جرهم كان يتعشق نائلة بنت زيد من جرهم (١) في أرض اليمن فاقبلا حاجين
فدخلتا الكعبة فوجدا غفلة من الناس وخلوة في البيت ففجر بها في البيت
فسخا فأصبحوا فوجدوهما مسخين فأخرجوهما فوضعهما موضعهما ليتعظ
الناس بهما فلما طال مكثهما وعبدت الاصنام عبدا معها وكان أحدهما يلمص
الكعبة والآخر في موضع زمزم فنقلت قريش الذي كان يلمص الكعبة الى
الآخر فعبدتهما خزاعة وقريش ومن حج البيت بعد من العرب » وحكى ابن
العربي عن ابن اسحاق « ان اسافا ونائلة بعد مسخهما وضع أحدهما على الصفا
والآخر على المروة لينزجر الناس عن مثل ما ارتكبا فلم يزل الامر يدرس

(١) في سيرة ابن هشام اساف بن بغي ونائلة بنت ديك . وفي الملل

لشهرستاني اساف بن عمرو ونائلة بنت سهيل وفي الاغانى جزء ١٣ صفحة ١٠٥
عن عثمان بن ساج عن أبي الزناد اساف بن سهيل ونائلة بنت عمرو بن ذئب
وقال غيره نائلة بنت ذئب

ويتقدم حتى صار يتمسح بهما من وقف على الصفا والمروة فلما كان عمرو بن
لحى أمر بعبادتهما وتعظيمهما والتمسح بهما . وقال : انهما كانا معبودين لمن
قبلكم فلما كان قصي بن كلاب حولهما من الصفا والمروة فجعل أحدهما
ماصقا بالكعبة وجعل الآخر في موضع زمزم وكان يطرح بينهما ما يهدي
للكعبة . وكان يسمى ذلك الموضع الخطيم وكان ينجر عندهما ويذبح ولم
تكن تدنو منهما امرأة طمئت وفي ذلك يقول بشر بن أبي حازم الاسدي
أسد خزيمية

عليه الطير ما يدنون منه مقامات العوارك من اساف

فكان الطائف اذا طاف بالبيت يبدأ باساف ويستلمه فاذا فرغ من طوافه
ختم بنائلة فاستلمها فكان كذلك حتى كسرهما رسول الله مع الاصنام يوم فتح
مكة « وفي عتبة باب السلام الخارجية أحد أبواب المسجد الحرام حجر عظيم
يشبه درجة سلم غير منتظم تطفوه النعال يقول أهل مكة انه اساف ذلك الصنم
الاسحيم - صنم عبده العرب (عن تاج العروس)

الاشهل - صنم وبه سمى عبد الاشهل أبو حي من العرب (عن
تاج العروس)

الاقيصير - قال أبو المنذر هو صنم كان لقضاة ولحم وجذام وعاملة
وغطفان وكان في مشارف الشام فكانوا يحجونه ويحلقون رؤوسهم عنده
فكان كلما حلق رجل منهم رأسه التي مع كل شعرة قرّة من دقيق - والقرّة
القبضة - فكانت هوازن تنتابهم في ذلك الابان فان أدركوا أحدهم قبل أن يلقى
القرّة مع الشعر قال : أعطني فاني من هوازن ضارع وان فاته أخذ ذلك الشعر
بما فيه من القمل والدقيق فخبزه وأكله « وفي الاقيصر يقول زهير بن أبي
سلمى حلفت بأنصاب الاقيصر جاهدا وما سحقت فيه المقادير والقمل
أوال - صنم لبكر وتغلب (عن تاج العروس)

باجر - بالجيم المفتوحة وربما كسرت صنم كان للزد ومن جاورهم من

طي وقضاة

البجعة - صنم عبده العرب (عن تاج العروس)

بس - بيت لغطفان (انظر صفحة ٣٣)

بعل - صنم كان لقوم الياس عليه السلام (عن احمد فارس)

البيعم - صنم (عن تاج العروس)

بلج - صنم (عن تاج العروس)

بوانة - صنم عبده . روى عن أم أيمن أنهم كانوا في الجاهلية يجعلون لهم عيداً عند بوانة وهو صنم تعبده قريش وتعظمه وتنسك أى تذبح له وتحلق عنده وتعكف عليه يوماً الى الليل في كل سنة فكان أبو طالب يحضر مع قومه ويكلم رسول الله أن يحضر ذلك العيد معه فيأبى ذلك . قالت حتى رأيت أبا طالب غضب عليه ورأيت عماته غضبن عليه أشد الغضب وجعلن يقلن انا نخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا وما تريد يا محمد أن تحضر لقومك عيداً ولا تسكر لهم جمعا فلم يرالوا به حتى ذهب معهم ثم رجع فزعا مرعوباً فقلن ما دهاك فقال : انى أخشى أن يكون بي لمم (جمع) لمة وهى المس من الشيطان فقلن ما كان الله ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك فما الذى رأيت قال انى كلما دنوت من صنم من تلك الاصنام التى عند ذلك الصنم الكبير الذى هو بوانة تمثل لى رجل أبيض يصيح بى وراءك يا محمد لا تمسه قالت أم أيمن فما حاد الى عيدهم حتى تنبأ صلى الله عليه وسلم وتلك احدى ارهاصاته تيم - صنم كانت تعبده بنو تميم في الجاهلية قال أبو عبيدة تميم كلها كانت في الجاهلية يقال لها عبد تيم (عن الاغانى)

الجبهة - صنم كان يعبد في الجاهلية (عن تاج العروس)

جريش - كأمر صنم عبد في الجاهلية واليه نسب عبد جريش والد عبد

قيس (عن تاج العروس)

الجلسد - صنم عبد في الجاهلية كما في المخصص لابن سيده قال الشاعر

فبات محتاب شقارى كما ييقر من يمشى الى المجلسد (١)

(١) الشُقَارَى شقائق النعمان ويقر أسرع مطأطأ رأسه

جهمار - صنم كان لهوازن (عن تاج العروس)
 الدار - صنم سمي به عبد الدار بن قصي بن كلاب أبو بطن من الغرب
 (عن تاج العروس)

دوار - قال البغدادى فى خزائن الادب « دوار بالفتح صنم كانوا يدورون
 حوله أسابيع كما يطاف بالبيت الحرام قال امرؤ القيس

فمن لنا سرب كان نعاجه عذارى دوار فى ملاء مذيّل (١)
 يقول ان هذا القطيع من البقر يلوذ بمضه ببعض ويدور كما تدور
 العذارى حول دوار وهو نسك كانوا فى الجاهلية يدورون حوله . وقال
 العسكري فى التصحيف وروى دوار بدال مضمومة ودوار بدال مفتوحة
 وواو مخففة (٢) وهو نسك كان لهم فى الجاهلية يدور حوله « ويطلق الدوار
 على الطواف قال أبو المنذر » وكانت للعرب حجارة غير منصوبة يطوفون
 بها ويعترون عندها يسمونها الانصاب ويسمون الطواف بها الدوار وفى ذلك
 يقول عامر بن الطفيل وأتى غنى بن أعصر يوماً وهم يطوفون بنصب لهم فرأى
 فى فتياتهم جمالا وهن يطفن به فقال :

ألا ياليت اخوالى غنيا عليهم كلما أمسوا دوار

وقال فى ذلك المثقب العبدى لعمر بن هند

يطيف بنصبهم حجن صغار فقد كادت حواجبهم تشيب (٣)
 ذو الخلصة - بفتحات الخاء المعجمة واللام والصاد المهملة (٤) بيت نخشم
 كان يدعى الكعبة اليمانية وكان فيه صنم يدعى الخلصة وقيل اسم البيت
 الخلصة واسم الصنم ذو الخلصة . وحكى المبرد ان موضع ذى الخلصة صار
 مسجدا جامعاً لبلدة يقال لها العبلات من أرض خشم وقال أبو المنذر « ان ذا الخلصة

(١) السرب قطيع من ظباء أو بقر أو شاة أو نساء أو قطا و (الملاء)

بضم الميم جمع ملاءة وهى الملحفة و (المذيّل) السابغ (٢) فى القاموس
 الدوار ككتان ويضم صنم ويخفف (٣) حجن صبيان (٤) حكى فيه فتح أوله
 اسكان ثانيه أو ضمه أو ضمهما

كانت مروة بيضاء منقوشة عليها كهيئة التاج وكانت بتبالة بين مكة واليمن مسيرة سبع ليال من مكة وكان سدنتها بنو امامة من باهلة بن أعصر وكانت تعظمها وتهدي لها خثعم وبجيلة وازد السراة ومن قاربهم من بطون العرب من هوزان ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة وفيها يقول خدش بن زهير العامري لعنث (١) بن وحشى في عهد كان بينهم فغدر بهم

وذكرته بالله يبنى وبينه وما بيننا من مدة (٢) لوتذكرا

والمروة البيضاء يوم تبالة ومحبة السعمان حيث تنصرا

فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وأسلمت العرب ووفدت عليه وفودها قدم عليه حرير بن عبد الله مسلما فقال له يا جرير ألا تكفيني ذا الخلصة فقال بلى فوجهه اليه فخرج حتى أتى بنى أحبس من بجيلة فسار بهم اليه فقاتلته خثعم وباهلة دونه فقتل من سدنته من باهلة يومئذ مائة رجل وأكثرت القتل في خثعم وقتل مائتين من بنى قحافة بن عامر بن خثعم فظفر بهم وهزمهم وهدم بنيان ذى الخلصة وأضرم فيه النار فاحترق. وذو الخلصة اليوم عتبة باب مسجد تبالة وبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تذهب الدنيا حتى تصطك أليات نساء دوس على ذى الخلصة يعبدونه كما كانوا يعبدونه» وكان يحج اليه ويهدي له روى العباس أحمد بن يحيى ثعلب أن المنتشر بن وهب الباهلي خرج يريد حج ذى الخلصة ومعه غلمة من قومه وكان بنو نفيل بن عمرو بن كلاب أعداء له فلما رأوا مخرجه وعورته وما يطلبه به بنو الحارث ابن كعب وطريقه عليهم وكان من حج ذى الخلصة اهدى له هديا يتحرم به ممن لقيه فلم يكن مع المنتشر هدى فسار وانذر بنو نفيل بالمنتشر بنى الحارث بن كعب وأراد قتالهم فأمنوه وكان قد أسر رجلا منهم يقال له هند بن اسماء ابن زبائع فسأله ان يقدى نفسه فأبطأ عليه فقطع أنمله ثم أبطأ فقطع منه أخرى وقد آمنه القوم ووضع سلاحه فقال أتؤمنون مقطعا والهي لا أومنه ثم قتل فرثاه أخوه لامه اعشى باهلة بقصيدته التي يقول في مطلعها

(١) خزانة الادب للبغدادى لعقبة (٢) رواية خزانة الادب من هذه

انى أتتني لسان لا أسر بها من علولا عجب منها ولا سخر (١)
الى أن قال

أصبت في حرم منا أختا ثقة هند بن أسماء لا يهني لك الظفر
خاطب قاتل المنتشر بقوله أصبت منا أختا ثقة في حرم وهو حرم ذى الخلصة
وروى البخارى بسنده عن جرير قال كان بيت في الجاهلية يقال له ذو
الخلصة والكعبة اليمانية والكعبة الشامية فقال لى النبي صلى الله عليه وسلم
ألا تريحنى من ذى الخلصة فنفرت في مائة وخمسين راكبا فكسرناه واستشكله
بعض المحدثين بان معناه كان يقال الكعبة اليمانية والشامية يعنون بالشامية
البيت الحرام فزيادة له سهو وباسقاطه يصح المعنى واجاب عنه السهيلي بان
الحديث فى جامع البخارى بزيادة له كما فى صحيح مسلم وليست له بزيادة
سهوا اذ المعنى كان يقال له أى يقال من أجله الكعبة الشامية للكعبة
وهو الكعبة اليمانية وله بمعنى من أجله لا تنكر كما قال ابن أبى ربيعة
وقير من آخر الليل قد لا ح له قالت العتاتان قوما

ذو الشرى — صنم كان لبني الحارث بن يشكر بن مبشر من الازد
ذو الكعبات — بيت كان لربيعة كانوا يطوفون به كما فى تاج العروس
وكان بسداد وفيه يقول أعشى بن قيس بن ثعلبة

بين الخورق والسدير وبارق والبيت ذى الشرفات من سداد
ذو الكفين — صنم كان لبني منهج بن دوس فلما أسلموا بعث النبي عليه
الصلاة والسلام الطفيل بن عمرو الدوسى فجعل يلقي النار فى وجهه ويحرقه ويقول
يا ذا الكفين لست من عبادك ميلادنا أكبر من ميلادك

انى حشوت النار فى فؤادك

الربة — اللات وكعبة كانت بنجران لمذحج وبني الحارث بن كعب (عن
تاج العروس)

(١) اللسان الرسالة واراد بها نعى المنتشر و (سخر) بضمين أى اتانى
رسالة من أعلى نجد لا أعجب منها وان كانت عظيمة لازم صائب الدنيا كثيرة

رضاء - بيت لبني ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ولها يقول
المستوغر بن ربيعة بن كعب حين هدمها في الاسلام
ولقد شددت على رضاء شدة فتركها قفرا بقاع اسحما
وأعان عبد الله في مكروها وبمثل عبد الله أغشى المحرما
رئام - هو بيت كان بصنعاء لمحير وأهل اليمن يعظمونه وينحرون عنده
ويكلمون منه فيما يذكرون فلما انصرف تبع من مسيره الذي سار فيه الى
العراق قدم معه الخبران اللذان صحبا من المدينة فأمر بهدم رئام وقال
انما هو شيطان يفتنهم فخل بيننا وبينه قال شأنكما فنشر التوراة وجعلا
يقرأنها وهدماه قال ابن اسحاق فبقاياها اليوم كما ذكر لي بها آثار الدماء التي
كانت تهراق عليه

السجة - صنم كما في القاموس

سعد - قال أبو المنذر هو صنم كان لبني مالك وملك كان ابني كنانة ومكانه
بساحل جدة وتلك الناحية وكان سعد صخرة طويلة فأقبل رجل من بني
ملك بأبل له ليقفها عليه ابتغاء بركته فلما أدناها منه ورأته وكان يهراق
عليه الدماء نفرت منه فذهبت في كل وجه فغضب ربها فتناول حجرا فرماه
به وقال لا بارك الله فيك ألها أنفرت على ابلي ثم خرج في طلبها حتى جمعها
ثم انصرف وهو يقول

اتينا الى سعد ليجمع شملنا فشتتنا سعد فلا نحن من سعد

وهل سعد الا صخرة بتنوفة من الارض لا يدعولغي ولا رشد

سعد - صنم أيضا كان لمذحج (عن احمد فارس)

سعد - صنم أيضا كانت تعبد هذيل (عن المخصص)

السعيدة - بيت بني بجبل أحد كانت تحجر ربيعة في الجاهلية (عن المخصص)

سعر - بصيغة التصغير صنم كان لعنزة قال ابو المنذر خرج جعفر بن أبي

خلاس السكابي على ناقته فر به وقد عترت عنزة عنده فنفرت ناقته منه

فأنشأ يقول

نقرت قلوصى من عتائر صرعت حول السعير يزوره ابنا يقدم (١)
 وجوع يذكّر مهطعين جنا به ما ان يحير اليهم بتكلم
 سواع — قال ابوا المنذر وكان أول من اتخذ تلك الاصنام من ولد اسماعيل
 وغيرهم وسموها باسمائها على ما بقى فيهم من ذكرها حين فارقوا دين اسماعيل
 هذيل بن مدركة (٢) اتخذوا سواعا وذلك ان عمرو بن لحي دفع للحارث
 ابن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر سواعا فكان لهم
 (١) يقدم ويذكر ابنا عنزة رأى الشاعر بنى هؤلاء يطوفون حول السعير
 (٢) مقتضاه ان ودا وسواعا ويعوث ويعوق ونسرا هي غير ما عبده
 قوم نوح بل مطابقة لها في الاسم وفي المستطرف انها اصنام قوم نوح لقوله
 واما يعوث ويعوق ونسر . فقل انهم كانوا اولاد آدم عليه السلام وكانوا
 اتقياء عبادا فأت أحدهم فزنوا عليه حزنا شديدا فأرادوا أن يصوروا صورته
 لبدكروه اذا نظروه فصوروه من صفر ونحاس وجعلوه في مؤخر المسجد
 كراهة ان يكون في قبلته ثم مات آخر ففعلوا به ذلك الى أن ماتوا كلهم فصوروه
 هناك وأقام من بعدهم على ذلك الى أن تركوا الدين وعبدوها الى أن بعث الله
 نوحا عليه السلام فنهاهم عن عبادتها . ولما عم الطوفان الارض طعمها وعلا عليها
 التراب زمنا طويلا ثم أخرجها مشركو العرب فعبدوها . وذكر الواحدى
 فى الوسيط ان هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهم السلام
 فسول الشيطان لقومهم بعد موتهم أن يصوروا صورهم ليكون أنشط لهم
 وأشوق للعبادة كلما رأوهم ففعلوا ثم نشأ بعدهم جهال بالاحوال فحسن لهم
 عبادتها فعبدوها ومقتضاه أن تكون هذه الاصنام تماثيل أنسانية لكن
 نقل الواقدى ان ودا كان على صورة رجل وسواعا على صورة امرأة ويعوث
 على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسرا على صورة نسر وهذا
 يصحح ما ذكره أبوا المنذر وابن اسحق من أن الاصنام المذكورة ليست هي
 الاصنام التى عبدها قوم نوح وانما سميت باسمائها

برهاط من أرض يذبغ يعبدونه من يليه من مضر بن نزار وكانت سدة بنته
بنى لحيان وكانوا يحجون اليه وينحرون عنده ويعكفون عليه وفي ذلك
يقول الشاعر

تراهم حول قبلتهم عكوا كما عكفت هذيل على سواع
تظل جبا به صرعى لديه عتائر من ذخائر كل راع
وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لخدمه عمرو بن العاص قال عمرو
فلما انتهيت اليه وعنده السادن فقال ما تريد فقلت أمرني رسول الله أن أهدمه
قال لا تقدر على ذلك قلت لم قال تمنع فقلت وبحك وهل يسمع أو يبصر قال
فدنوت منه فكسرتة ثم قلت للسادن كيف رأيت قال أسلمت لله

الشارق - صنم كانت تعبد هذيل وبه سمى عبدالشارق (عن تاج العروس)
شمس - صنم قديم كان في الجاهلية وبه سمى عبد شمس وهو بطن من
قريش وأول من تسمى به سبأ بن يشجب (عن تاج العروس)

ضمار (١) - صنم عبده العباس بن مرداس ورهطه (سيرة ابن هشام)
الضمين - صنم كان يعبد من دون الله في الجاهلية (عن المخصص)

الضيزان - صنمان كانا للمنذر الأكبر كان اتخذا بباب الحيرة ليسجد

لهما من دخل الحيرة امتحانا للطاعة (عن المخصص)

عائم - بالهمز صنم كان لآزد السراة وأقسم زيد الخير به فقال
تخبر من لاقيت ان قد هزمتهم ولم تدر ما سيأثم لاوعائم
عبدة مرحب - صنم كان بحضرموت

عمععب - بالعين المهملة ويقال بالمعجمة صنم كانت قضاة تعبد (عن المخصص)
العزى - صنم عبده العرب واتخذ عليه بيت قال ابو المنذر (وهي

(١) قال السهيلي ضمار بكسر الراء مثل حذام ورقاش ولا يكون مثل
هذا البناء الا في أسماء المؤنث وكانوا يجعلون آلهتهم انا كالكالات والعزى ومناة
لاعتقادهم الخبيث في الملائكة انها بنات

أحدث من اللات ومناة وذلك انى سمعت العرب سمت بهما قبل العزى
فوجدت تميم بن مرسمى ابنه زيد مناة بن تميم بن مر بن اد بن طابخة وعبد مناة
ابن اد وباسم اللات سمى ثعلبة بن عكابة ابنه تيم اللات وتيم اللات بن رفيدة
ابن ثور وزيد اللات بن رفيدة بن ثور بن وبرة بن مر بن اد بن طابخة وتيم
اللات بن النمر بن قاسط وعبد العزى بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم
فهى أحدث من الاوليين . وعبد العزى بن كعب من أقدم ما سمت به العرب
وكان الذى اتخذ العزى ظالم بن أسعد (١) وكانت بواد من نخلة الشامية يقال
له حراض بازاء الغمير عن يمين المصعد الى العراق من مكة وذلك فوق ذات
عرق الى البستان بتسعة أميال فبنى عليها بيتا وكانوا يسمعون فيه الصوت
وكانت العرب وقريش تسمى بها وكانت أعظم الاصنام عند قريش وكانوا
يزورونها ويتقربون عندها بالذبائح وكانت قريش قد حمت لها شعبا من وادى
حراض يقال له سقام يضاهون به حرم الكعبة فذاك قول ابى جندب الهذلى
فى حلف امرأة كان يهواها بها

لقد حلفت جهدا يميننا غليظة بفرع اتى أحمت فروع سقام
وكان لها منحرج ينحرون فيه هداياها يقال له الغبغب (٢) وفيه يقول
نهيكة الفزارى لعاصم بن الطفيل

يا عام لو قدرت عليك رماحنا والراقصات الى منى فالغبغب
وكانت قريش تخصها بالاعظام فلذلك يقول زيد بن عمرو بن نفيل وكان
قد تأله فى الجاهلية وترك عبادتها وعبادة غيرها من الاصنام
تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل الصبور
فلا العزى ادين ولا ابنتيها (٣) ولا صنمى بنى غنم أزور
ولا هبلا أزور وكان ربا لنا فى الدهر اذ حلنى صغير

(١) تنقل عن ابن العربى عند الكلام على اللات ان اول من دعا لعبادة
العزى عمرو بن ربيعة والحارث بن كعب (٢) قال السهيلي الغبغب هو المنحرج
ومراق الدم كأنه سمي بحكاية صوت الدم عند انبعاثه (٣) رواية ولا ابتغيها

وكان سدة العزى بنو شيبان بن جابر بن مرة من بني سليم وكان آخر من سدنهم منهم دبة بن حرمي السلمي . فلم تزل العزى كذلك حتى بعث الله نبيه فعابها وغيرها من الاصنام ونهاهم عن عبادتها ونزل القرآن فيها فاشتد ذلك على قريش ومرض أبو أحيحة مرضه الذي مات فيه فدخل عليه أبو لهب يعود فوجده يبكي فقال ما يبكيك يا أبا أحيحة أمن الموت تبكي ولا بد منه قال لا ولكني أخاف ألا تعبد العزى بعدى قال أبو لهب والله ما عبدت حياتك لاجلك ولا تترك عبادتها بعدك لموتك فقال أبو أحيحة الآن علمت ان لي خليفة . وأعجبه شدة نصبه في عبادتها فلما كان يوم الفتح دعا النبي خالد بن الوليد فقال انطلق الى شجرة ببطن نخلة فاعضدها فانطلق فقتل دبة سادنها (وذكر ابن هشام انها كانت بيتا يعظمه هذا الحى من قريش وكنانة ومضر فلما علم سادنها السلمي بمسير خالد اليها علق عليها سيفه وأسند في الجبل الذي هي فيه وهو يقول

يا عزى شدى شدة لا توى بها (١) على خالد القى القناع وشمري
فانك الا تقتلى اليوم خالدا فبوئى بذل عاجلا وتنصرى
فلما انتهى اليها خالد هدمها وقال بعضهم ان خالدا حمل على العزى
وهو يقول

يا عزى كفرانك لا سبحانك انى رأيت الله قد أهانك

ثم قتل دبة السادن وقطع الشجرة وكان من سدننها أفلح بن النضر السلمي من بني سليم حكى سعيد بن عمرو الهذلى ان أفلح سادنها لما حضرته الوفاة دخل عليه أبو لهب يعود وهو حزين فقال ما لي أراك حزينا قال أخاف ان تضيع العزى بعدى فقال له لا تحزن فاني أقوم عليها بعدك . فجعل أبو لهب يقول لكل من لقي أن تظهر العزى كنت قد أخذت عندها يدا وان يظهر محمد على العزى وما أراه يظهر فابن أخى فانزل الله تعالى (تبت يدا أبا لهب) وروى ابن العربي من حديث أبي الوليد ان سدة العزى بنو شيبان بن سليم حلفاء

(١) رواه خزائن الادب : عزى شدى شدة لا تكذبى .

بنى هاشم . وكانت قريش وبنو كنانة وخزاعة وجميع مضر تعظمها فإذا فرغوا من حجهم وطوافهم بالكعبة لم يحلوا حتى يأتوا العزى فيطوفون بها ويحلون عندها ويعكفون عندها يوما وقال أبو المنذر (ولم تكن قريش بمكة ومن أقام بها من العرب يعظمون شيئا من الأصنام اعظامهم العزى ثم اللات ثم مناة فاما العزى فكانت تخصها دون غيرها بالزيارة والهدية وذلك فيما أظن لقربها منها . وكانت ثقيف تخص اللات كخاصة قريش العزى وكانت الاوس والخزرج تخص مناة كخاصة هؤلاء الآخرين وكلهم كان معظما للعزى ولم يكونوا يرون في الخسة الأصنام التي دفعها عمرو بن لحي وهي التي ذكرها الله تعالى في القرآن المجيد حيث قال (ولا تذرون ودا ولا سواعا ولا يغوث ولا يعوق وسرا) كرايهم في هذه ولا قريبا من ذلك فظننت ان ذلك كان لبعدها منهم وكانت قريش تعظمها وكانت غي وباهلة يعبدونها معهم » وروى ابن العربي بسنده عن ابن عباس ان خالد بن الوليد بعد أن هدم العزى رجع الى رسول الله . وقال الحمد لله الذي أكرمنا بك يا رسول الله وأتقنا من الهلكة لقد كنت أرى أبي يأتي العزى بخير ماله من الابل والغنم فيذبجها للعزى ويقيم عندها ثلاثا ثم ينصرف اليها مسرورا فمظرت الى مامات أبي عليه والى ذلك الرأي الذي كان يعيش في فضله حتى يذبح لما لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع . فقال رسول الله ان هذا الامر الى الله فمن يسره للهدى تيسره له ومن يسره للضلالة كان لها . وكان هدمها لخمس ليال بقين من رمضان سنة ثمان وجاء حسان بن ثابت الانصاري الى رسول الله وهو في المسجد فقال يا رسول الله ائذن لي أقول فاني لا أقول الا حقا فقال قل فانشا يقول

شهدت باذن الله ان محمدا رسول الذي فوق السموات من عل

فقال النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أشهد فقال حسان

وان ابايحي ويحيي كليهما له عمل في دينه متقبل

فقال عليه الصلاة والسلام وأنا أشهد فقال حسان

وان الذى عادى اليهود ابن مريم رسول أتى من عند ذى العرش مرسل
فقال عليه الصلاة والسلام وأنا أشهد فقال حسان

وان أخا الاحقاف اذ يعذلونه يجاهد فى ذات الاله ويعدل

فقال عليه الصلاة والسلام وأنا أشهد فقال حسان

وان التى بالجزع من بطن نخلة ومن دانها فل عن الحق معزل (١)

فقال عليه الصلاة والسلام وأنا أشهد قال سفيان يعنى العزى

عميانس (٢) — قال أبو المنذر وكان لخولان صنم يقال له (عميانس)

بارض خولان يقسمون له من أنعامهم وحرثهم قسما بينه وبين الله تعالى بزعمهم
فما دخل فى حق الله تعالى من حق عميانس ردوه عليه وما دخل فى حق الصنم
من حق الله الذى سموه له تركوه . وهم اليممرى فى عيون الاثر وابن هشام فى
سيرته فسمياه « عم انس » وقد تبعهما احمد البدوى الشنقيطى فى كتابه عمود
النسب فقال بعد ذكر خولان

أضاهم صنمهم عم أنس	كانوا اذا ما الغيث عنهم احتبس
توسلوا اليه بالذبائح	فامطروا وأعظم القبائح
ان جعلوا له ولله نصيب	من مالهم وان تغيب النصيب
أعطى للصنم حظ الله	وحظ له لم يعط للاله

ومن حديث هذا الصنم أن النبی علیه السلام قال لخولان ما أعظم ما رأيتم
من فتنته قالوا له يا رسول الله لقد رأينا وقد استنتنا حتى أكلنا الرمة وهلك
ثاغيتنا وراغيتنا وحافرنا فقلنا قربوا لعميانس قربانا يشفع لكم فتغاثوا فتعاونا
فجمعنا ما قدرنا عليه من عين مالنا ثم ذهب داهبنا فابتاع مائة ثور ثم حشرها
عائنا فنحرقناها فى غداة واحدة وتركناها للسباع ونحن أحوج اليها من
السباع فجاءنا الغيث من ساعتنا . فأى فتنة أعظم من هذه فلقد رأينا الغيث
يوارى الرجال ويقول قائلنا أنعم علينا عميانس وسأنوه عليه السلام عما قسموا

(١) قال هشام الفل من الارض المجذبة التى لا خير فيها ولا ركة فشبها بذلك

(٢) فى القاموس عميانس بالضم والياء المثناة تحت بعدها الف ونون صنم لخولان

له من ما لهم فذكر لهم ان الله أنزل عليه في ذلك « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث
والانعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل
الى الله . وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون » وفي سيرة ابن
هشام عن ابن اسحاق ان ذلك الصنم كان لبطن من خولان يقال لهم الاديم .
عوص — ذكر ابن هشام ان ابن الكلبي لم يذكره في كتاب الاصنام
وقال عوض اسم صنم كان لبكر بن وائل وفيه يقول رشيد بن رميض بالتصغير
فيهما العزى

حلفت بمائرات حول عوض وأنصاب تركن لدى السعير
حلف بالانصاب التي حول السعير وبالدماء الجاريات حوله وكانوا يذبحون
للانصاب (عن البغدادى في خزنة الادب)
العوف — صنم (عن القاموس)

غبغب — انظر ععبب

غمدان — بيت غمدان بناه الضحاك بمدينة صنعاء اليمن على اسم الزهرة
وخر به عثمان ذو النورين (عن الممل والنحل للشهرستاني)
الملس — قال أبو المنذر . وكان لطبيء صنم يقال الفلس وكان انفاً أحر في
وسط جبلهم الذى يقال له أجأ اسود كانه تمثال انسان . وكانوا يعبدونه
ويهدون اليه ويعترون عنده عتائهم ولا يأتيه خائف الا أمن عنده ولا يطرد
أحد طريدة فيلجأ بها اليه الا تركت له ولم تخفر حويته (١) وكانت سدنة
بنو بولان وهو الذى بدأ بعبادته فكان آخر من سدنه منهم رجل يقال له
صيفى فأطرد ناقة خلية (٢) لامرأة من كاب من بنى عليم وكانت جارة لمالك
ابن كلثوم الشمجى وكان شريفاً فانطلق بها حتى وقفها بفناء الفليس . وخرجت
جارة مالك فاخبرته بذهابه بناقتها فركب فرساً عرياً وأخذ رمحاً وخرج في
(١) الحوية كغنية استدارة كل شئ — والمعنى ان ماصار في حرمة يترك له
(٢) الخلية من معانيها الناقة التى تلتهج وهى غزيرة فيجر ولدها من تحتها
فيجعل تحت أخرى وتخلى هى للحلب

أثره فأدركه وهو عند الفيلس والناقة موقوفة عند الفيلس فقال له خل سبيل ناقة جارتى . فقال انها لربك . قال : خل سبيلها قال أتخفر اهلك فبوا له الرمح (١) خل عقالها وانصرف بها مالك وأقبل السادن على الفيلس ونظر الى مالك ورفع يده وقال وهو يشير بيده اليه

- يارب ان مالك بن كلثوم أخفرك اليوم بنابءكوم (٢)

وكنت قبل اليوم غير مغشوم

يخرضه عليه وعدى بن حاتم يومئذ قد عثر عنده وجلس هو ونفر معه يتحدثون بما صنع مالك وفزع لذلك عدى بن حاتم وقال انظروا ما يصيبه في يومه هذا فمضت له أيام لم يصبه شئ فرفض عدى عبادته وعبادة الاصنام وتنصر فلم يزل متنصرا حتى جاء الله بالاسلام فاسلم فكان مالك أول من أخفره فكان بعد ذلك السادن اذا أطرده طريفة أخذت منه فلم يزل الفيلس يعبد حتى ظهرت دعوة النبي عليه السلام فبعث اليه على بن أبى طالب فهدمه وأخذ سيفين كان الحارث بن أبى شمر الغساني ملك غسان قلده اياهما يقال لهما مخذم ورسوب فقدم بهما على بن أبى طالب على النبي صلى الله عليه وسلم فنقلده أحدهما ثم دفعه الى على بن أبى طالب فهو سيفه الذى كان يتقلده

القليس - كنيسة بناها أبرهة الاشرم (انظر صفحة ١٣٤)

القيس - صنم لم يذكره ابن الكلبي وبه سمى امرؤ القيس أى رجل ذلك الصنم ولذلك كان الاصمعي يكره أن يروى قوله في معاقته - عقرت بعيرى يا امرأ القيس فانزل - فكان يقول يا مرأ الله

كثرى - صنم لجديس وطسم كسره نهشل الربيش بن عرعة ولحق بالنبي عليه الصلاة والسلام فأسلم ولم يكتب له كتاباً وقال عمرو بن صخر بن اشنم حلفت بكثرى حلقة غير برة لتستلبن أثواب قيس بن عازب الكسعة - صنم عبدوه فى الجاهلية (عن تاج العروس)

(١) بوا الرمح نحوه قابله به (٢) أخفره نقض عهده وغدره و(الساب)الناقة المسنة و(الملكوم) الشديدة

الكعبة - هي بيت الله الحرام وهو أول بيت وضع للناس مباركاً وهدى للعالمين بناه بالوحي الإلهي إبراهيم وإسماعيل قال الشهرستاني وكذب من قال ان بيت الله الحرام انما هو بيت زحل ولهذا المعنى اقترن الدوام به بقاء والتعظيم له لقاء مقبولة وسماه بيت زحل وطول العمر أكثر مما يدل عليه سائر الكواكب لان زحل يدل على البقاء وطول العمر أكثر مما يدل عليه سائر الكواكب وهذا خطأ لان البناء الاول كان مستنداً الى الوحي على يدى أصحاب الوحي كعبة نجران . كانت ابني الحارث . قال أبو الفرج الاصفهاني انها بيعة بناها بنو عبد المदान على بناء الكعبة وعظموها مضاهاة للكعبة وسموها كعبة نجران . وكان فيها أساقفة يقيمون وهم الذين جاءوا الى النبي ودعاهم الى المباهاة . وقيل انها قبة من ثلاثمائة جلد لعبد المسيح بن دارس بن عدي وسمتها العرب كعبة نجران لانهم كانوا يقصدون زيارتها كما يقصدون زيارة الكعبة . فكان اذا نزل بها مستجير اجير أو خائف أمن أو أمسترفد اعطى ماطلب أو جائع شبع أو طالب حاجة قضيت وفيها يقول الاعشى يخاطب اقته فكعبة نجران حتم عليك حتى تنأخي بأبوابها

نزور يزيد وعبد المسيح وقيسأهو خير أربابها

قال أبو المنذر « وكان ابني الحارث بن كعب كعبة بنجران يعظمونها وهي التي ذكرها الاعشى وقد زعموا انها لم تكن كعبة عبادة واعدا كانت غرفة لاولئك القوم الذين ذكرهم وما أشبه ذلك عندي بان يكون كذلك لاني لا أسمع بنى الحارث تسموها بها في شعر وكان لا ياد كعبة أخرى بسنداد من أرض بين الكوفة والبصرة في الظهر وهي التي ذكرها الاسود بن يعفر (١) وقد سمعت ان هذا البيت لم يكن بيت عبادة انما كان منزلاً شريفاً فذكره »

كعب وامراته - صنمان لم يذكرهما ابن الكلبي كانا في كنيسة القاييس وكان كعب خشبة من ساج منقوشة طولها ستون ذراعاً وكانت امرأته

(١) قول الاسود بن يعفر المشار اليه هو

أهل الخورنق والسدير وبارق والقصر ذى الشرفات من سنداد

خشبة من السّاج مثلها في الطول وكانوا يتبركون بهما في الجاهلية
اللات - صخرة بالطائف اتخذ العرب عليها بيتا قال أبو المنذر وهي أحدث
من مناة وكانت صخرة مربعة وكان يهودى يلت عندها السويق وكان سدنتها
من ثقيف بنو عتاب (١) بن مالك وكانوا قد بنوا أمامها بناء وكانت قريش
وجميع العرب تعظمها وبها كانت العرب تسمى زيد اللات وتيم اللات وكانت
في موضع منارة مسجد الطائف اليسرى اليوم وهي التي ذكرها الله في القرآن
فقال (افرايتم اللات والعزى) وفيها يقول عمرو بن الجعيد

فانى وتركى وصل كأس لكالدى تبرأ من لات وكان يدينها

وقال السهيلي « ان عمرو بن لحي هو اللات الذي يلت السويق للحجيج
على صخرة معروفة تسمى صخرة اللات ويقال ان الذي يلت كان من ثقيف
فلما مات قال لهم عمرو انه لم يمت ولكن دخل في الصخرة ثم أمرهم بعبادتها
وأن يبنوا عليها بيتا يسمى اللات . ودام أمره وأمر ولده على هذا بمكة
ثلاثمائة سنة فلما هلك سميت تلك الصخرة اللات مخففة الناء واتخذنا يعبد »
وحكى ابن العربي من حديث أبي الوليد بسنده عن ابن عباس قال : « ان رجلا
ممن مضى كان يقعد على صخرة لثقيف يبيع السمن من الحاج اذا مر يلت
سويقهم وكان ذا غنم فسميت صخرة اللات فلما فقده الناس قال لهم عمرو ان
ربكم اللات قد دخل في جوف الصخرة . وكانت العزى ثلاث شجرات نخيل
وكان أول من دعا الى عبادتها عمرو بن ربيعة والحارث بن كعب وقال لهم عمرو
ان ربكم يصيف باللات لبرد الطائف ويشتى بالعزى لحرّ تهامة فبنوا على صخرته
بيتا يعبدونه أهل الطائف وهم ثقيف ويسترونه بالثياب ويهدون له الهدى
ويطوفون حوله ويسمونه الربة يضاهون به بيت الله الحرام بمكة ولهدمه خبر
مفصل وهو انه لما قدم وفد ثقيف على رسول الله بعد فتح مكة لاصلاح
لتيقنهم الاطاعة لهم بقتاله وهم بضعة عشر رجلا من أشrafهم فيهم كنانة
وعبد ياليل وهو رئيسهم يومئذ وصاحب أمرهم فعرض عليهم النبي الاسلام

(١) جعل ابن اسحاق سدنتها بني معتب :

فقالوا له أرأيت الزنا فانا قوم نفترب ولا بد لنا منه قال هو عليكم حرام . قالوا فالربا فانه أموالنا كلها قال والربا حرام ولكم رهوس أموالكم . قالوا فالخمر فانها عصير أرضنا ولا بد لنا منها قال ان الله قد حرمها وتلا عليهم بذلك كله قرآنا قالوا أرأيت الربة ماذا نصنع فيها . قال اهدمناها . قالوا هيهات لو تلم الربة انك تريد هدمها قتلت أهلها . فقال عمر بن الخطاب ويحك يا عبد ياليل ما أحقك انما الربة حجر قالوا انا لم نأتك يا ابن الخطأ ثم قالوا يا رسول الله تول أنت هدمها فاما نحن فلا نهدمها أبداً فقال سأبعث من يكفيكم هدمها فرجعوا الى بلادهم وبعث رسول الله سرية منهم أبو سفيان بن حرب ومنهم المغيرة ابن شعبة وأمرعاليهم خالد بن الوليد فلما قدموا عليهم عمدوا الى اللات ليهدموها وأنكفت ثقيف كلها الرجال والنساء والصبيان حتى خرج العواتق من الحجال وهم لا يرون انها تهدم ويظنون انها ستمتنع فاخذ المغيرة بن شعبة فأسأ كـبيرة وقال لاصحابه لاضحككنكم من ثقيف قالوا بلى فضرب بالمعول ضربة ثم صاح وخر مغشيا على وجهه فارتجت الطائف بالصياح سرورا بان اللات قد صرعت المغيرة وأقبلوا يقولون كيف رأيتها يا مغيرة دونكها ان استطعت ألم تعلم انها تهلك من عاداها . من شاء منكم فليقترب وليجد على هدمها فوالله لا تستطاع ابدا . فوثب المغيرة يضحك منهم ويقول والله يامعشر ثقيف ما قصدت الا الهزء بكم انما هي لكاع حجارة ومدر ثم ضرب الباب فكسره ثم علوا سورها فما زالوا يهدمونها حتى سووها بالارض . وجعل صاحب المفاتيح يقول ليغضبن الاساس فليخفن بهم الارض فلما سمع ذلك المغيرة قال لخالد : دعني أحفر أساسها فخفروه حتى أخرجوا ترابها وحرقوها بالنار ثم أخذوا حايها وثيابها وكسوتها فقدموا به على رسول الله فقسمه من يومه وحمدوا الله عز وجل على نصر نبيه واعزاز دينه وروى ان المغيرة لما قام يهدمها قام قومه دونه بنو معتب خشية أن يرمى أو يصاب وخرج نساء ثقيف حسرا يبكين عليها ويقلن

لتبكين دفاع أسلمها الرضاع (١) لم يحسنوا المصاع (٢)

وفي اللات يقول كعب بن مالك الانصارى من قصيدة

وننسى اللات والعزى وودا ونسايها القلائد والشنوفا

ويقول شداد بن عارض الجشمى ينهى ثقيفا عن العود اليها

لاتنصروا اللات ان الله مهلكها وكيف نصركم من ليس يفتصر

ان التى حرقت بالدار فاشتعلت ولم تقاتل لدى أحجارها هدر

ان الرسول متى ينزل بساحتكم يظعن وليس بها من أهلها بشر

المحرق - صنم لبكر بن وائل كان إسمان (عن تاج العروس)

المدان - صنم وبه سمى عبد المدان وهو أبو قبيلة (عن تاج العروس)

مرحب - صنم كان بحضر موت اليمروذو مرحب ربيعة بن معديكرب

كان سادنه اى حافظه (عن تاج العروس)

مناة - صنم من أصنامهم قدم به عمرو بن لحي من البلقاء من أرض

الشام الى مكة ونصبه حول الكعبة . قال أبو المنذر . اذ العرب دانت للأصنام

وانخذوها فكان أقدمها كلها مناة وسمت العرب عبد مناة وزيد مناة وكان

منصوباً على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد بين المدينة ومكة . وكانت

العرب جميعاً تعظمه وتذبح حوله . وكانت الاوس والخزرج ومن ينزل المدينة

ومكة وما قارب من المواضع يعظمونه ويذبحون له ويهدون له . وكان أولاد

معد على بقية من دين اسماعيل . وكانت ربيعة ومضر على بقية من دينه ولم

يكن أحد أشد اعظاماً له من الاوس والخزرج ومناة هي التي ذكرها الله

تعالى في قوله ومناة الثالثة الاخرى (٣) وكانت لهذيل وخزاعة وكانت قريش

(١) اى أسلمها الأثام (٢) فى رواية اذ ذكر هوا المصاع - والمصاع القتال

(٣) قال السهيلي مناة وزنه فعلة من منيت الدم وغيره اذا صببته لان

الدماء كانت تمنى عنده نقرباً اليه ومنه سميت الاصنام الدمى وجعلها ثالثة اللات

والعزى وأخرى بالاضافة الى مناة التي كان يعبدونها عمرو بن الجموح وغيره من

قومه فهما مناتان واحداً غير الاخرى بالاضافة الى صاحبتهما

وجميع العرب تعظمه فلم يزل على ذلك حتى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة سنة ثمان من الهجرة وهو عام الفتح فلما سار من المدينة أربع ليال أو خمس ليال بعث عليا (١) اليها فهدمها وأخذ ما كان لها فأقبل به الى النبي صلى الله عليه وسلم . وكان فيما أخذ سيفان كان الحارث بن أبي شمر ملك غسان أهدهما اسم أحدهما مخزم والآخر رسوب وهما سيفا الحارث اللذان ذكرهما علقمة في شعره فقال

مظاهر سر بالي حديد عليهما عقيلا سيوف مخزم ورسوب
فوهبهما لعلي . فيقال ان ذا الفقار سيف على أحدهما . ويقال ان عليا وجدتهما في الفلس صنم لطبي حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم لهدمه وكانت الاوس والخزرج يخصوصونها دون غيرها بالزيارة والهدية »

وروى ابن العربي عن ابن اسحاق ان عمرو بن لحي نصب مناة على ساحل البحر مما يلي قديد وكانت الازد وغسان يحجونها ويعظمونها . فاذا طافوا بالبيت وأفاضوا من عرفات وفرغوا من منى لم يحلوا الا عند مناة . وكانوا يهلون لها ومن أهل لها لم يطف بين الصفا والمروة لمكان الصنمين
مناف - صنم به سمى عبد مناف قال أبو المنذر ولا أدري أين كان ولا من نصبه

منهب - صنم ذكره الجاحظ في الترييع والتدوير

نائلة - صنم (انظر أساف)

نسر - صنم قال أبو المنذر واجابت عمرو بن لحي حمير فدفع الى رجل من ذى رعين يقال له معد يكرب نسرا فكان بموضع من أرض سبأ يقال له بلخع تعبد به حمير ومن والاها فلم يزل يعبدونه حتى هودهم ذو نواس ولم أسمع حمير سميت به أحدا ولم أسمع له ذكرا في أشعارها وأشمار العرب وأظن ذلك كان لا ينتقال حمير عن عبادة الاصنام الى اليهودية »

(١) في قول آخر ان النبي بعث لهدمها أبا سفيان بن حرب فهدمها وذكر

القولان ابن هشام

(وأقول) ذكره في الشعر عمرو بن عبد الجن الجاهلي فقال
 اما والدماء المائرات تتخالها على قنة العزى وبالنسر عند ما
 نصّر - صنم (عن المخصص)

نهم - صنم عبده مزيته وبه سمت عبدتهم وكان سادته خزاعي بن عبد
 نهم من مزيته فلما سمع ببعثة رسول الله شرح الله صدره الاسلام فكسر
 صنمه وانشأ يقول

ذهبت الى نهم لا ذبح عنده عتيرة نسك كالذي كنت أفعل
 فقلت لنفسى حين راجعت عقلها أهذا إله أبكم ليس يعقل
 أبيت فديني اليوم دين محمد إله السماء الماجد المتفضل
 ثم لحق بالنبي فأسلم وضمن اسلام قومه مزيته

هبل - كان من أعظم الاصنام عند قريش وكان من عقيق أحمر على صورة
 الانسان مكسور اليد اليمنى أدركته قريش كذلك فجعلوا له يداً من ذهب وكان
 أول من نصبه خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر . وكان يقال له هبل خزيمة
 ذكر ذلك أبو المنذر وحكى ابن هشام أن هبل قدم به عمرو بن لحي من مأرب
 فنصبه في مكة وأمر الناس لعبادته وتعظيمه واختلف في موضعه فالشهرستاني
 ذهب الى انه كان على ظهر الكعبة وابن اسحاق ذهب الى انه كان عند البئر
 التي كانت في جوف الكعبة على يمين من دخالها . وكان عمقها ثلاث أذرع حفرها
 ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ليحفظ فيها ما يهدي الى الكعبة . وكانت
 تسمى الاخسف . وكان قدامه سبعة أقدح يضربونها عنده اذا اختصموا في
 أمر أو أرادوا سفراً أو عملاً فما خرج عملوا به وانتهوا اليه

ود - صنم عبده كلب بدومة الجندل قال أبو المنذر « ان عمرو بن لحي أتى
 شط جده فاستشار الاصنام ثم حملها حتى وردت هامة وحضر الحج فدعا العرب
 الى عبادتها قاطبة فأجابه عوف بن عذرة بن زيد اللات بن ربيعة بن ثور بن
 كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة فدفع اليه
 ودا فجعله الى وادي القرى فأقره بدومة الجندل وسمى ابنه عبد ود فهو أول

من سمي به ثم سمت العرب به بعد وجعل غوف ابنه عامرا الذي يقال له غامر
 الاجدار سادنا له فلم يزل بنوه يسدونونه حتى جاء الله بالاسلام . قال الكلبي
 فحدثني مالك بن حارثة الاجداري انه رأى ودا قال وكان أبى يبعثني بالابن اليه
 فيقول اسقه الهك فاشربه قال ثم رأيت خالد بن الوليد كسره فجعله جذازا وكان
 رسول الله بعث خالد بن الوليد من غزوة تبوك لهدمه فحالت بينه وبين هدمه
 بنو عبد ود وبنو عامر الاجدار فقاتلهم حتى قتلهم وهدمه وكسره قال الكلبي
 فقلت لمالك بن حارثة صف لي ودا حتى كافي أنظر اليه قال كان تمثال رجل
 كاعظم مايكون من الرجال قد ذبر عليه (١) حلتان متزر بحلة ومرتد بأخرى
 عليه سيف قد تقلده وقد تنكب قوسا وبين يديه حربة فيها لواء ووفضة (٢)
 فيها نبل « وفي ود يقول الشاعر

حياك ود فانا لا يحل لنا لهُ النساء وان الدين قد عزمنا
 ودع - صنم (عن المخصص)

ياليل - وزن هابيل صنم سمت العرب به عبد ياليل (عن تاج العروس)
اليعسوب - كان لجديلة طيئ صنم فأخذته منهم بنو أسد فاتخذوا بعده

اليعسوب صنما عبدوه فلذلك قال عبيد

فتبدلوا اليعسوب بعد الههم صنما فقروا يا جديل وأعذبوا
 أى لا تأكلوا على ذلك ولا تشربوا

يعوق - صنم قال أبو المنذر (وأجابت عمرو بن لحي همدان فدفع الى مالك

ابن مرثد بن جشم بن حاشد بن جشم بن خيران بن نوف بن همدان يعوق
 فاتخذته خيوان فكان بقرية يقال لها خيوان (٣) من صنعاء على ليلتين مما يلي مكة
 تعبده همدان ومن والاها من أرض اليمن ولم أسمع همدان سمت به ولا غيرها
 من العرب ولم أسمع لها أو لغيرها فيه شعرا وأظن ذلك لانهم قربوا من صنعاء
 واختلطوا بحمير فدانوا معهم باليهودية أيام تهود ذو نواس فتهودوا معه)

(١) رواية زبر أى نقش (٢) الوفضة الجمبة (٣) خيوان بطن من همدان

كما في ابن هشام

أقول قد ذكره في الشعر مالك بن نبط الهمداني في قوله :

يريش الله في الدنيا ويبرى ولا يبرى يعوق ولا يريش (١)

يفوث - صنم - قال أبو المذر اتخذته مذحج وأهل جرش وفيه يقول الشاعر

وسار بنا يفوث الى مراد فناجزناهم قبل الصباح

ودفعه عمرو بن لحي الى أنعم بن عمرو المرادي فكان بأكمة باليمن يقال لها
مذحج تعبده مذحج ومن والاها

* كثرة الاصنام *

ليس في الاستطاعة حصر أصنامهم في الجاهلية فكثرتها تتجاوز العد .
وقد كان للقبيلة أكثر من صنم وكان منها عند الكعبة كثير حكى الرنخري
انه كان حولها ثلثمائة وستون صنما لكل قوم صنم بحياهم . ولما دخل
رسول الله يوم فتح مكة المسجد والاصنام منصوبة حول الكعبة جعل
يطعن بسية قوسه (٢) في عيونها ووجوهها ويقول جاء الحق وزهق الباطل
ان الباطل كان زهوقا ثم أمر بها فكفئت على وجوهها وارتقى على بن أبي
طالب على منكبه الشريف حتى صعد الكعبة فقال له عليه السلام الق صنمهم
الاكبر وكان من نحاس وقيل من زجاج وألقى كل ما عليها من الاصنام ولم يبق
الا صنم خزاعة موندا بأوتاد من حديد فما زال يعالجه حتى تم كنه منه فقذفه
فتكسر ثم أخرجت من المسجد فخرقت وفي تكسيرها يقول فضالة بن عمير
ابن الملوح الليثي (٣)

قالت هلم الى الحديث فقلت لا ياأبي عليك الله والاسلام

() يريش ويبرى من رشت السهم وبريته ثم استعير في النفع والضرر

قال سويد

فرشني بخير طالما قد بريتني وخير الموالي من يريش ولا يبرى

(٢) سية القوس ماعطف من طرفها (٣) نسبها ابن الكلبي في كتاب

الاصنام لراشد بن عبد الله السلمي

أو ما رأيت محمداً وجنوده (١) بالفتح يوم تكسر الأصنام
 رأيت دين الله أضحى بينا (٢) والشرك يغشى وجهه الاظلام
 وقال تميم بن أسد الخزاعي

وفي الأصنام معتبر وعلم لمن يرحو الثواب أو العقاب
 وأصنامهم سفرا وحضرا تجل عن الحضر أما في الحضر فذكر ابن اسحاق
 ان أهل كل دار اتخذوا في دارهم صنما يعبدونه فاذا أراد أحدهم السفر كان آخر
 ما يصنع في منزله أن يتمسح بصنمه واذا قدم من سفره كان أول ما يصنع
 اذا دخل منزله أن يتمسح به فلما بعث الله تعالى نبيه ودعاهم لمباداة الله
 وحده قالوا أجعل الآلهة إلها واحداً ان هذا شيء عجاب . وأما في السفر
 فكان الرجل منهم اذا سافر فنزل منزلاً أخذ أربعة أحجار فنظر الى أحسنها
 فاتخذها رباً وجعل الثلاثة اثنى لقدره واذا ارتحل تركه فاذا نزل منزلاً آخر
 فعل مثل ذلك قال أبو المنذر « واستهترت العرب في عبادتها فمنهم من اتخذ بيتاً
 ومنهم من اتخذ صنماً ومن لم يقدر على اتخاذ صنم أو بناء بيت نصب حجراً اما
 من الحرم واما من غيره مما استحسن ثم طاف به كطوافه بالبيت وسموها
 الانصاب وسموا طوافهم الدوار » واتخذ كثير منهم في داره صنماً وكثيراً ما
 يسميه بأسم الصنم الذي تعبد به القبيلة ويتخذ على مثاله ليتمكن من عبادته
 وهو في داره حكى ابن هشام في سيرته ان عمرو بن الجموح أحد سادات بني
 سلمة وأشرفهم كان قد اتخذ في داره صنماً من خشب يقال له مناة كما كانت
 الاشراف يصنعون تتخذها لها تعظمه ويطهره فلما أسلم فتيان بني سلمة كانوا
 يدالجون (٣) بالليل على صنمه فيجملونه فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة
 وفيها عذر الناس منكساً على رأسه فاذا أصبح عمرو قال : ويلكم من غدا (٤)
 على آلهتنا هذه الليلة قال ثم يغدو يلتمسه حتى اذا وجدته غسله وطره وطيبه

(١) رواية وقبيلة (٢) رواية نور الله أضحى ساطعاً (٣) أدلج سار أول
 الليل وأدلج سار آخر الليل وقيل الادلاج سير الليل كله (٤) الاصل ان معنى
 غدا عليه بكر ثم كثر حتى استعمل في الذهاب والانطلاق في أي وقت كان

ثم قال أما والله لو أعلم من فعل هذا بك لاخزينه فاذا أمسى ونام عمرو غدوا عليه ففعلوا به مثل ذلك فيغدو فيجده في مثل ما كان فيه من الاذى فيفسله ويطهره ويطيبه ثم يغدون عليه اذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك فلما أكتروا عليه استخرجه من حيث ألقيه يوما ففسله فطهره وطيبه ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ثم قال له انى والله ما أعلم من يصنع بك ماترى فان كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك فلما أمسى ونام عمرو غدوا عليه فأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل ثم ألقيه فى بئر من آبار بنى سلمة فيها عذر من عذر الناس وغدا عمرو بن الجموح فلم يجد في مكانه الذى كان به فخرج يتبعه حتى وجده فى تلك البئر منكساً مقرونا بكلب ميت فلما رآه أبصر شأنه وكله من أسلم من قومه فأسلم وحسن اسلامه وقال حين أسلم يذكر صنمه وما أبصر من أمره

والله لو كنت إلهاً لم تكن أنت وكلب وسط بئر فى قرن (١)

أف للملأك إلهاً مستدن الآن فتشناك عن سوء الغبن (٢)

الحمد لله العلى ذى المنن الواهب الرزاق ديان الدين (٣)

هو الذى أنقذنى من قبل أن أكون فى ظلمة قبر صرتهن

ومثله فى ترك عبادة صنمه حين رآه عاجزا عن الدفاع عن نفسه غاوى بن ظالم فقد كان يأتى صنمه بالخبز والزبد فيضعه عند رأسه ويقول له أطعم وقيل انه كان سادنا له فجاء ثعلبان (وهو ذكر الثعالب) فأكل الخبز والزبد ثم بال على رأس الصنم فلما رأى ذلك غاوى بن ظالم تبين له الحق فآل لقد خاب قوم أملوك لشدة أرادوا نزالا ان تكون تحارب فلا أنت تغنى عن أمور تواترت ولا أنت دفاع اذا حل نائب

(١) القرن الحبل (٢) مستدن من السدانة وهى خدمة البيت وتعظيمه

و (الغبن) يكون فى الرأى يقال غبن رأيه بمعنى خسر نفسه وأوبقها (٣) قال السهيلي الدين جمع دينة وهى العادة ويقال لها دين أيضا ويجوز أن يكون أراد بالدين الاديان أى هو ديان أهل الاديان ولكن جمعها على الدين لانها ملل ونحل

أرب يبول الثعلبان برأسه لقد ذل من بالت عليه الثعالب
 ثم ضرب الصنم فكسره وأتى النبي فأمن وسأله عليه الصلاة والسلام
 عن اسمه فقال غاوى بن ظالم . قال لا بل أنت راشد بن عبد ربه
 (وكانوا) لا يتخذونها من مادة معينة . قال أبو رجاء العطاردي كنا نعبد
 الحجر في الجاهلية فاذا وجدنا حجرا أحسن منه نلقى ذلك ونأخذه فاذا لم
 نجد حجرا جمعنا حفنة من تراب ثم جئنا بغنم فخابناها عليه ثم طفنا به . وقال
 أيضا كنا نعمد الى الرمل فنجمعه ونحلب عليه فنعبده وكنا نعمد الى الحجر
 الابيض فنعبده زمانا ثم نلقيه .

وقد اتخذت بنو حنيفة صنما من حيس فعبدوه دهرآ طويلا ثم أدركتهم
 مجاعة فأكلوه . وفيهم يقول الشاعر

أكلت حنيفة ربهما زمن التقحم والمجاعة
 لم يحذروا من ربهما سوء العواقب والتباعة

وقال رجل من بني تميم

أكلت ربهما حنيفة من جو ع قديم بها ومن أعواز

عبادة الاصنام وما يتقرب به لها

عبد أكثر العرب الاصنام لا لذاتها بل لتقربهم الى الله زلفى وتشفع لهم
 عنده روى انهم كانوا يقولون في طوافهم بالكعبة واللات والعزى ومناة
 الثلاثة الاخرى فانهن الغرائيق العلى وان شفاعتهم لترتجى فعملوا عبادتها
 وسيلة لعبادته ولما كان ذلك من الشرك انكره الله تعالى عليهم في غير ما آية من
 كتابه كما انكر عليهم اعتقادهم انها بنات الله في قوله (أفرايتم اللات والعزى
 ومناة الثلاثة الاخرى الحكم الذكر وله الاثنى تلك اذن قسمة ضيزى ان هي الا
 أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بهامن سلطان) وما أسرع تزلزل هذه
 المقيدة عند مبدأ النظر فقد روى ان قريشا قالت قيسوا لابي بكر رجلا
 يأخذه فقيضوا له طلحة بن عبيد الله فأتاه وهو في القوم فقال يا أبا بكر قم الى
 فقال الام تدعوني قال أدعوك الى عبادة اللات والعزى فقال أبو بكر من اللات

والعزى قال بنات الله قال فن أمهم فسكت طلحة وقال لأصحابه أجيئوا صاحبكم
فسكتوا فقال طلحة قم يا أبا بكر فاني أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله (فكانوا) يعظمونها ويلبسونها أحسن الثياب وخلف الشفري بثياب
الاقيصر فقال

وان امراً اجار عمرا ورهطه على وأثواب الاقيصر يعنف
(وكانوا) يتقربون لها بالمناسك والمشاعر وحملوا لها وحرموا وسيبوا
لها السوائب والبجائر (وكانوا) يحجون اليها فلذلك نهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن شد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجده عليه السلام والمسجد
الحرام والمسجد الاقصى لان الله ضاعف أجر العبادة فيها (وكانوا) يطوفون
بها تقربا اليها وشاهده قول امرئ القيس يشبه قطيعا من البقر يلوذ بعضه ببعض
ويدور كما تدور العذارى حول الصنم دوار

فمن لنا سرب كان نماجه عذارى دوار في الملاء المذيل
(وكانوا) يسبحون ويهللون لها قال ربيع بن صبيغ الفزارى
واننى والذي نغم الانام له حول الاقيصر تسبيح وتهليل
(وكانوا) يستقسمون عندها بالارلام (وكانوا) يجعلون لها نصيبا من
انعامهم وحرثهم (وكانوا) يقفون لها الاوقاف ويهدونها أقواتهم يرجون
بذلك الخير والبركة * روى نافع عن أبي نعيم قال : كان أبو طالب يعطى عليا
قدحا من اللبن يصبه على اللات فكان على يشرب اللبن ويبول على اللات
(وكانوا) يسمون أنفسهم باسماء مضافة اليها بالعبودية أو الاختصاص كعبد
اللات وعبد العزى وامرئ القيس فغير النبي عليه الصلاة والسلام ما كان من أسماء
أصحابه كذلك بعبد الله وعبد الرحمن و (كانوا) يقسمون بها فيقول الحالف
واللات أو وهبل مثلا ويرون ان الحلف بها كذبا يستوجب نقصا في الاموال
والانفس والثمرات فلا يقدمون على ذلك . ويستحلف الاخصام بعضهم بعضا
باسمائهم فنهوا عن ذلك بقوله عليه السلام من حلف بغير الله فقد أشرك
و (كانوا) ينذرون لها النذور ومنها مولى السائبة وهو ما سيب نذر الآلهة

فلا يمنع من ماء ولا كلاء وان كان رقيقا وأعتقه مالكه سائبة فلا يعقل عنه ولا يورث ولا ولاء عليه لاحد . ومن اعتق سائبة سالم مولى أبي حذيفة اعتقه قتيبة بنت يعار وقيل اسمها ثبيثة بنت يعار فانقطع سالم الى أبي حذيفة ابن عتبة بن ربيعة فتبناه فقيل سالم مولى أبي حذيفة

و (كانوا) يسجدون لها وينكسون رأسهم عندها قال الشاعر

فبات يجتاب شقارى كما يقرر من يمشى الى الجلسد (١)

و (كانوا) يستعينون بها في حوائجهم من شفاء المريض وغنى الفقير وغير ذلك فأوجب الله عليهم أن يقولوا في صلاتهم (اياك نعبد و اياك نستعين) وقال تعالى (فلا تدعوا مع الله أحدا) و (كانوا) لا يمكنون الحيض من النساء من الدنو منها ولا التمسح بها انما كانت الحائض تقف ناحية منها قال بلعاء بن قيس بن عبد الله بن يعمر وهو الشداخ الاثني

و قرن قد تركت الطير منه كعتنز العوارك من مناف (٢)

و (كانوا) يجعلون لاصنامهم أعيادا وروينا حديث أم أيمن في ذلك عند ذكر الصنم بوانة و (كانوا) يهدون لها الهدايا ويقربون لها القرابين فمنها (الفرع) وفسره الشافعي بأنه أول نتاج البهيمة كانوا يذبحونه ولا يملكونه لاحد رجاء البركة في الام وكثرة نسلها وفسره أبو على القالى بأنه ذبح كان أهل الجاهلية يذبحونه على أصنامهم ويلبسون جلده سقبا آخر وفي المحكم الفرع أول نتاج الابل والغنم كان أهل الجاهلية يذبحونه لاصنامهم ثم يأكلونه ويلقى جلده على الشجر وعن أبي مالك انه البكر ينحره الرجل للصنم اذا بلغت ابله مائة ويقال انه ذبح كانوا اذا بلغت الابل ما تمناه صاحبها ذبحوه وكذلك اذا بلغت ابله مائة يعتر منها بعير كل عام ولا يأكل منه هو ولا أهل بيته ويطاق الفرع أيضا على الطعام الذي يصنع لنتاج الابل كالخرس لاولادة وقال الميذاني في مجمع الامثال عند قولهم في المثل (أول الصيد فرع) مانصه الفرع أول

(١) البيقرة أن يعدو الرجل منكسا رأسه و (الجلسد) صنم (٢) المعتنز

المتنحى في ناحية - و (مناف) صنم

ولقد ننتجه الناقة كانوا يذبحونه لآلهتهم يتبركون بذلك وكان الرجل يقول
إذا قت ابلى كذا نحرت أول نتيح منها و(كاوا) إذا أرادوا نحروه زينوه
والبسوه ولذلك قال أوس بن حجر يذكر أزمة في شدة البرد

وشبه الهيدب العباب من الاقوام سقياً مجللاً فرعاً (١)

وأفرع القوم إذا ذبحوا الفرع يقال أفرع إذا أراق الدم مأخوذ من الفرع
ومنه قولهم للضبع اذ وقعت في الغنم

أفرعت في قرارى كأنما ضرارى أردت يا جمار (٢)

ومنها (العتيرة) بوزن عظيمة وهي كما قال أبو عبيد . ذبيحة كانوا يذبحونها
في الجاهلية في رجب يتقربون بها لاصنامهم وهي الرجبية . ولغيره انهم كانوا
ينذرون من بلغ ماله كذا أن يذبح من كل عشرة منها في رجب عتيرة . وفي
الصحيح العتيرة هي أن الرجل كان يقول في الجاهلية ان بلغ ابلى مائة عترة
منها عتيرة في رجب ونقل أبو داود تقييدها بالعاشر الاول من رجب . وروى
الحميدى انها الشاة التي تذبح عن أهل بيت في رجب وسميت بذلك لذبحها وهو
العترة . وفسرها النووى بأنها ذبيحة كانوا يذبحونها في العشر الاول من رجب
ويسمونها الرجبية وفيها يقول النابغة الجعدي وكان من المعمرين

قالت أمامة كم عمرت زمانة وذبحت من عترة على الاوثان

وقد أبطلت الشريعة المطهرة كلا من الفرع والعتيرة لقوله عليه السلام
في الحديث الصحيح لا فرع ولا عتيرة وهذا النهي محمول على ما اذا كان
ذبحهما لطواغيتهم وآلهتهم كما كانوا يصنعون في الجاهلية أما اذا لم يقصد
بذبحهما غير وجه الله تعالى فلا حظر فيه وعليه يحمل ما رواه البيهقي بسنده
عن الحارث بن عمر قال أتيت النبي بعرفات أو قال بمنى وسأله رجل عن العتيرة
فقال من شاء عترة ومن شاء لم يعتر ومن شاء فرع ومن شاء لم يفرع ولكنهم
نهوا عن تخصيص ذبح العتيرة في رجب لحديث ان رجلاً نادى رسول الله
(١) الهيدب النبی الثقيل و(العباب) العبي الثقيل و(المقب) الذكر

من ولد الناقة ساعة يولد (٢) القرار الغنم و(جمار) كقطام الضبع

انا كنا نعتر عتيرة في الجاهلية فما تأمرنا قال اذبحوا لله في أى شهر كان لما في التخصيص من تفضيل بعض الاوقات على بعض وتمييزها بالعبادة من غير نص من الشارع كما نهوا عن تخصيص ذبح الفرع أول مايولد لان رسول الله لما سئل عن الفرع قال الفرع حق وأن تركوه حتى يكون بكرا أو ابن مخاض أو ابن لبون (١) فتعطيه ارملة أو تحمل عليه في سبيل الله خير من أن تذبحه فيلزق لحمه بوبره (٢) وتكفى اناك (٣) وتوله ناقتك (٤) ومنه تعلم ان الفرع كان يصلح عندهم للنسك ولو ذبح صغيرا أما غيره فلا يصلح لذلك الا اذا ذبح كبيرا وشاهده قول أبي علي القالى في أماليه (الحلان والحلام فويق الجدى وأنشد لابن احرر

تهدى اليه ذراعُ الجدى تمكرمة اما ذبيحا واما كان حلانا

فالدبيح الذى يصلح للنسك والحلان الصغير الذى لا يصلح للنسك ثم قال وأنشدنا أبو عبيدة قول مهلهل

كل قتيل في كليب حلام حتى ينال القتل آل همام

يقول كل قتيل صغير ليس هو بوفاء من كليب بمنزلة الحلام الذى ليس بوفاء أن يذبح للنسك حتى ينال القتل آل همام فانهم وفاء به «

و (كانوا) يذبحون قربانهم عند الاصنام اذا كانوا بمقربة منها وحينئذ يلعنونها بدمائها يلتمسون بذلك الزيادة في أموالهم ودفع المكروه عنهم وشاهده قول زهير بن أبي سلمى

فزل عنها وأوفى رأس مرقبة كمنصب المتردى رأسه النسك (٥)

(١) البكر النقي من الابل والانشى بكرة و (ابن المخاض) التفصيل اذ لقحت أمه وقيل مادخل في السنة الثانية لان أمه لحقت بالمخاض أى الحوامل وان لم تكن حاملا و (ابن اللبون) ولد الناقة اذا كان في العام الثاني واستكم، وفيل اذا دخل في الثالث والانشى ابنة لبون لان أمه وضعت غيره (٢) يريد انه لا شبع فيه (٣) يشير به الى ذهاب اللبن لان ذهاب ولدها يدفع لبنه فكانه اذا فعل ذلك كفى اناؤه وأراقه (٤) يعنى تفجعها بولدها (٥) معنى البيئ

وقد هجا شاعرهم رجلا فشبّه برأس بقرة قد قاربت أن يذهب بصرها
فلا تصلح الا للذبح والنسك فقال

لقد أنكحت أسماء رأس بقيرة من الادم أهداها أمرو من بنى غنم
رأى قدعا في عينها اذ يسوقها الى غبغب العزى فوسع في القسم (١)
وكذلك كانوا يصنعون اذا نحرّوا هديا قسموه فيمن حضرهم و (كانوا)
يهلون بأسمائها عند الذبح فيقولون باسم اللات أو العزى مثلا وغلوا في ذلك
حتى قالت كفار قريش ما ذكر اسم الله عليه فلا تأكلوه وما ذبحتم لغيره فكلوه
فحرم الله ذلك واعتبر ذبيحتهم نجسة يحرم أكلها بقوله (ولا تأكلوا مما لم
يذكر اسم الله عليه وانه لفسق) (٢) وتبعته نصارى العرب كفار قريش في
تعمد ترك اسم الله تعالى عند الذبح ولذلك نهى عليه الصلاة والسلام عن ذبيحة
نصارى العرب على أن من العرب من فتح الله بصيرته فعلم سوء صنيعهم هذا
من هؤلاء زيد بن عمرو بن نفيل وكان ممن اعتزل عبادة الاوثان وحرم أكل
ذبائح المشركين ومن قوله في ذلك (يامعشر قريش أيرسل الله قطر السماء وينبت
بقل الارض ويخلق السائمة فترعى فتذبحونها لغير الله)

ومن أنواع قرايينهم في الجاهلية البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى وورد
ذكر الثلاثة الاخيرة في قول الشاعر

حول الوصائل في شريف حقّة والحاميات ظهورها والسيب (٣)

زل الصقر عن القطاة وأشرف على رأس (سرقبة) وهى المكان المرتفع حيث
يرقب الرقيب وقوله (كمنصب العتر) أى كأن الصقر مما به من الدم الحجر
الذى يعتر عليه وهو النصيب و (العتر) ذبيح كان يذبح في رجب (١) القدح
ضعف البصر من ادمان النظر و (الغبغب) المنحدر مهبraq الدماء (٢) فسر الفسق
بمترك التسمية عمدا لقوله تعالى أوفسق أهل لغير الله به (٣) حول جمع حائل
ويقال فى جمعها أيضا حوال والحائل كل أنثى لا تحمل و (الشريف) اسم موضع
واذا طعنت الابل فى الرابعة فهى حق وحقّة و (وصائل) ووصل جمع وصيلة
و (سيب) وسوائب جمع سائبة - وفى نسخة حول الفصائل

وتتميز كل واحدة منها عما عداها بعلامة كما قال الجاحظ « وقد أعلم العرب
البحيرة بغير علم السائبة لتمييز عنها وأعلموا الحامى بغير علم الفحول وكذلك
الفرع والرجبية والوصيلة والعتيرة من الغنم وكذلك سائر الاغنام السائمة »
ولنبين معانيها فنقول ، أما البحيرة فهي فعيلة بمعنى مفعولة من البحر
وهو الشق جمعها بحائر وبحر . وفسرها الزجاج بأن أهل الجاهلية كانوا اذا نتجت
الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنفا وحرموها وركوبها ولا تطرد
من ماء ولا تمنع من مرعى واذا لقيها المعى لم يركبها وفسرها ابن اسحاق بانها
بنت السائبة (١) وتعقبه ابن هشام بأنها عند العرب ليست كذلك بل البحيرة
عندهم الناقة تشق أذنفا فلا يركب ظهرها ولا يحجز وبرها ولا يشرب لبنها الا ضيف
ولا يتصدق به وتهمل لآلهتهم

وقال السكبي كانت الناقة اذا نتجت خمسة أبطن فكان الخامس ذكرا أكله
الرجال دون النساء وان كان أنثى بحروا أذنفا وشقوها وتركها لا يشرب لها لبن
ولا تركب قيل ولا يحجز لها وبر ولا يحمل عليها شيء ولا يذكر اسم الله عليها
ان ذكيت وتكون ألبانها للرجال دون النساء وان كانت سبعة اشترك فيها
الرجال والنساء . وقيل البحيرة الناقة التي ولدت خمسة أو سبعة وقيل بل عشرة
أبطن وترك هملا واذا ماتت حل لحمها للرجال خاصة وقيل هي في الشاة خاصة
اذا نتجت خمسة أبطن بحرت . وعن ابن المسيب انها التي منع لبنها للطواغيت
فلا تحلب وقيل هي السقب الذي اذا ولد شقوا أذنفا وقالوا اللهم ان عاش ففتى
وان مات فذكى فاذا مات أكلوه . وقيل التي ترك في المرعى بلا راع

أما السائبة فهي فاعلة من سيبته أى تركته وأعملته فهو سائب وهي سائبة
قال ابن اسحاق هي الناقة اذا تابعت بين عشر أناث ليس بينهن ذكر سبيت
فلم يركب ظهرها ولم يحجز وبرها ولم يشرب لبنها الا ضيف فما نتجت بعد ذلك
من أنثى شقت أذنفا ثم خلى سبيلها مع امها فلم يركب ظهرها ولم يحجز وبرها
ولم يشرب لبنها الا ضيف كما فعل بأمها فهي البحيرة بنت السائبة وتعقبه

(١) من معانيها في القاموس انها ابنة السائبة وحكمها حكم أمها

ابن هشام بأن السائبة عند العرب هي التي ينذر الرجل أن يسيبها ان يرى من مرضه أو ان أصاب امرا يطلبه فاذا كان ذلك اساب ناقة من ابله أو جملا لبعض آلهتهم فسابت فرعت لا ينتفع بها وعن أبي عبيدة كان الرجل اذا قدم من سفر بعيد أو نجته دابته من مشقة أو حرب . قال هي سائبة أو كان ينزع من ظاهرها فقارة أو عظماً (١) وكانت لاتمنع من ماء ولا كلاء ولا تركب وكان هذا نذرا من نذورهم وقيل هي البعير الذي يدرك نتاج نتاجه فيترك ولا يركب وقيل ماترك ليحج عليه وعن ابن عباس وابن مسعود انها التي تسبب للاصنام فتعطى للسدنة ولا يطعم من لبنها الا أبناء السبيل ونحوهم والسائبة أيضا العبد يعتق على ألا يكون عليه ولاء ولا عقل ولا ميراث

وأما الوصيلة فهي فعيلة بمعنى فاعلة على الاظهر وقيل بمعنى مفعولة وفسرها ابن اسحاق بأنها الشاة اذا اتأمت عشر أناث متتابعات في خمسة أبطن ليس بينهن ذكر جعلت وصيلة قالوا قد وصلت . فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور منهم دون أناتهم (٢) الا ان يموت منها شيء فيشترك في أكله ذكورهم وأناتهم . وتعقبه ابن هشام بان الوصيلة عند العرب هي التي تلدها اثنتين في كل بطن فيجعل صاحبهما لآلهته الاناث منها ولنفسه الذكور فتلدها (٣) أمها ومعها ذكر في بطن فيقولون وصلت أخاها فيسبب أخوها معها فلا ينتفع بهما

وقال الفراء هي الشاة تنتج سبعة أبطن عناقين (٤) عناقين واذا ولدت في آخرها عناقا وجديا قيل وصلت أخاها فلا يشرب لبن الام الا الرجال دون النساء وتجري مجرى السائبة . وعن ابن عباس هي الشاة تنتج سبعة أبطن فان

(١) نقل القلقشندي في صبيح الاعشى سببا آخر لاغلاق الظهر اذ قل كان الرجل منهم اذا بلغت ابله مائة عمد الى البعير الذي كملت به المائة فاغلق ظهره بأن ينزع شيئا من فقراته ويعقر سنانه كي لا يركب ليعلم ان ابل صاحبه قد أمأت (٢) يروي فكان ما ولدت بعد ذلك لذكور بنينهم دون أناتهم (٣) أي الاثني (٤) العناق كسحاب الاثني من أولاد المعز جمعه أعنق وعنوق

كان السابع انثى لم ينتفع النساء منها بشئ الا أن تموت فيأكلها الرجال والنساء وكذا ان كان ذكرا وانثى قالوا وصلت أخاها فترك معه وينتفع بها الرجال دون النساء فان ماتت اشتركوا فيها قال ابن قتيبة ان كان السابع ذكرا ذبح وأكلوا منه دون النساء . وقالوا خالصة لذكورنا محرمة على أزواجنا وان كان انثى تركت في الغنم وان ذكرا وانثى فيكقول ابن عباس

وقال الزجاج هي الشاة اذا ولدت ذكرا كان لآلهمهم واذا ولدت انثى كانت لهم واذا ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت أخاها أي دفعت عنه الذبح فلم يذبحوا الذكر لآلهمهم . وقيل هي الشاة تنتج خمسة أبطن أو ثلاثة . فان كان جديا ذبحوه وان كان انثى أبقوها . وان كان ذكرا وانثى قالوا وصلت أخاها . وقيل الوصيلة من الابل هي الناقة التي وصلت بين عشرة أبطن لا ذكر بينها . وقيل أنها الناقة التي تبكر فتلد أنثى ثم تثني بولادة أنثى أخرى ليس بينهما ذكر فيتركونها لآلهمهم ويقولون قد وصلت أنثى بأنثى ليس بينهما ذكر

وأما الحامى فهو فاعل من الحمى بمعنى المنع واختلف فيه . فقال ابن اسحاق انه الفحل اذا نتج له عشر أناث متتابعات ليس بينهما ذكر حتى ظهره . فلم يركب ظهره ولم يحز وبره وخلي في ابله يضرب فيها لا ينتفع منه بغير ذلك وقيل هو الفحل ينتج له سبع أناث متواليات فيحصى ظهره . وقال الشافعى انه الفحل يضرب في مال صاحبه عشر سنين وقال الفراء هو الفحل اذا لقح ولد ولده فيقولون حتى ظهره فيهمل ولا يطرد من ماء ولا مرعى . وقال أبو عبيدة والزجاج انه الفحل يولد من ظهره عشرة أبطن فيقولون حتى ظهره فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى . وروى هذا القول عن ابن عباس وابن مسعود

وكانوا يرون أن الضرورة تبيح المحظور . وشاهده ما رواه المفضل الضبي أن جبيلة بن عبد الله أخا بني قريع بن عوف أغار على ابل جرية بن أوس بن عامر يوم سلوق فاطرد ابله غير ناقة كانت مما يحرم أهل الجاهلية ركوبها وكان لجرية ابن أخت يرعى ابله فبلغ الخبر خاله والقوم قد سبقوا

بالابل غير تلك الناقة الحرام فقال جرية للسلام رد على تلك الناقة لأركبها في أثر القوم فقال الغلام انها حرام فقال جرية «حرامه يركب من لاحتلال له» فحرت مثلاً لمن اضطر الى ما يكرهه

واختلاف أئمة اللغة والمفسرين في معناها يرجع لاختلاف القبائل في ذلك فنقل بعضهم عن قبيلة معنى يخالف ما نقله غيره عن قبيلة أخرى وبهذا تعلم أن لا وجه لابن هشام في تعقبه ابن اسحاق ويؤيد ما ذهبنا اليه ما رواه أبو هريرة ان النبي عليه السلام قال ان عمرو بن لحي بن قعدة بن خندف أول من غير دين اسماعيل وبحر البحيرة وسيب السائية وحى الحامى وما رواه زيد بن أسلم أن رسول الله قال قد عرفت أول من بحر البحائر رجل من مدليج كانت له ذاقةان فجدع آذانهما وحرّم ألبانهما وظهورهما وقال هاتان لله ثم احتاج اليهما فشرب ألبانهما وركب ظهورهما قال فلقد رأيت في النار يؤذى أهل النار ريح قصبة فقد أخبر النبي عليه الصلاة والسلام في حديث أبي هريرة أن أول من بحر البحيرة عمرو بن لحي وهو أبو خزاعة من القحطانية (١) وأخبر في حديث زيد بن أسلم أن أول من بحرهما رجل من مدليج وهم بطن من كنانة بن خزيمية بن مدركة من العدنانية . وأوليتهما انما هي بالنسبة لمن اتبعهما فيما ابتدعا فلا ينافى أولية غيرهما فاختلف المعنى لاختلاف الواضعين وقد أبطل الشارع ذلك وحرّمه لقوله تعالى (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون) وقوله (وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها فوفروا عليه سيئ جزيم) بما كانوا يفترون وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء (٢) سيئ جزيم

(١) قال القاضى عياض المروفي في نسب خزاعة انه عمرو بن لحي ابن قعدة بن الياس بن مضر وعليه فهو من العدنانية وان لم يكن من بنى مدليج (٢) الحجر الحرام كانوا لا يطعمون ما حرموا من الحرث والأنعام الا من

وضفهم (١) انه حكيم عليم »

الاستقسام بالازلام

من عاداتهم معرفة ما قدر لهم بالاستقسام بالازلام أى القداح فاذا أراد أحدهم سفرا أو غزوا أو تجارة أو أمرا من معازم الامور ضرب بالقداح وهي ثلاث قطع من الخشب مكتوب على بعضها نهاني ربي وعلى بعضها أسرنى ربي وبعضها غفل كذا قال الفراء فان خرج الآسرمضى لطيته وان خرج الناهي أمسك وان خرج الغفل أجالها عودا . وقيل كان يستقسم بقدحين مكتوب على أحدهما افعل وعلى الثانى لا تفعل . فان خرج افعل مضى وان خرج لا تفعل ترك وقيل كان لا يمضى حتى يخرج له لا تفعل ثلاث مرات فان خرج له مرة افعل ومرة لا تفعل ولم يخلص له أحدهما ثم مضى فى ذلك فقد مضى وهو يرجو ويخاف . وذهب ابن ظفر الى أن الازلام سبعة قداح مكتوب على أحدها نعم وعلى الاخر لا وعلى قدح منكم وعلى قدح من غيركم وعلى قدح ملصق وعلى قدح العقل وعلى قدح فضل العقل وكانت بيد سادن الاصنام فيأتيه ذو الحاجة بدراهم فيدأل الصنم أن يوضح له ما سأل عنه بضرب القداح . وجعلها ابن هشام سبعة أيضا لكنه اسقط فضل العقل وجعل سابعها للمياه اذا أرادوا أن يحفروا المياه ضربوا به فاخرج عملوا به وذكر انها كانت عند الصنم هبل شاءوا من خدمة الاوثان والرجال دون النساء . وكانوا يحرمون ظهور السوائب والبحائر والحوامى وكانوا يحرمون ذكر اسم الله على بعض الانعام فلا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها كما حرموا ذكر اسمه تعالى على ما ذبح للاصنام وجعلوا ما فى بطونها للذكور دون الاناث . وفى الآية من الفقه الزجر عن التشبه بهم فى تخصيصهم الذكور دون الاناث بالهبات حكى البخارى فى التاريخ ان عمرة روت عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يعبد أحدكم الى المال فيجعله عند ذكور ولده ان هذا الا كما قال الله تعالى « وقالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة للذكورنا » (١) أى سيجزيهم الله بما كذبوا عليه فى التحليل والتحريم

فكانوا يذهبون اليه اذا ارادوا أمرا مما يستشار فيه ويعطون الذي يضرب بالقداح مائة درهم وجزور فان شكوا في نسب أحد قربوا من يشكون في نسبه ثم قالوا يا إلهنا هذا فلان ابن فلان قد أردنا به كذا وكذا فأخرج الحق فيه ويأمرون صاحب القداح أن يضرب بالقداح الموسومة بمنكم ومن غيركم وملصق فان خرج منكم أضافوا نسبه الى أنفسهم وان خرج من غيركم كان حليفنا وان خرج عليه ملصق كان على منزلته فيهم لان نسب له ولا حلف واذا تنازعوا في العقل وهي دية المقتول أحضروا المتهم بالقتل واستقسم لهم الامين بقدرحين أحدهما موسوم بالعقل والآخر غفل فان خرج الموسوم بالعقل تحمل الدية وان خرج الغفل لا وان اشتبهوا فيمن يحمل العقل منهم ضربوا بهذين القدرحين أيضا فان خرج على قوم العقل برئ منه الآخرون وان عقلوا ففضل شيء فان اختلفوا فيه ضرب بالقدرح الموسوم بفضل العقل فان خرج عليه أداه واذا أرا. وا معرفة ما في فعل أسر من خير أو شر أجال لهم أمين القداح قدحى أمرنى ربى ونهاى ربى (١) فان خرج قدح الامر ائتمروا وباشروا المسئول عنه من حرب أو سفر أو زواج أو ختان أو بناء أو نحو ذلك وان خرج قدح النهى أخروا ذلك العمل الى سنة أخرى فاذا انقضت استقسموا مرة أخرى

هذا ما ذكره الثقات ويتاخص من كلامهم ان الاستقسام هام وخاص فالعام ما يزاوله كل واحد بان يعمد الى ثلاث قداح مكتوب على احدها امرنى ربى وعلى الآخر نهانى ربى والثالث غفل فيضعها في خريطة ويحيلها ثم يخرج منها واحدا فان خرج الامر فعل وان خرج الناهى ترك وان خرج الغفل أعاد . والخاص وهو ما يراد منه الحكم لا مجرد الاستشارة يكون لدى سادن الصنم كما اذا ارادوا معرفة من عليه العقل أو غير ذلك . وقال ابن اسحاق كان لهبل سبعة قداح يضرب بها على الميت والعذرة والسكاح وكان قربانه مائة بعير . وكان له حاجب . وكانوا اذا جاءوا هبل بالقربان ضربوا بالقداح وقالوا (١) يروى ان الاستقسام حينئذ بقدرحين كتب على احدهما نعم وعلى

الآخر لا

انا اختلافنا فهب السراحا ثلاثة ياهبـل فصاحا
الميت والعذرة والنكاحا والمبرئ المريض والصحاها
ان لم تقله فر القداها

ولم يقصرها الفلقشندي في صبح الاعشى على سبعة لقوله « كانوا اذا ارادوا فعل امر ولا يدرون ما الامر فيه أخذوا قداها مكتوباً على بعضها افعل . وعلى بعضها لا تفعل وعلى بعضها نعم وعلى بعضها لا وعلى بعضها خذ وعلى بعضها سر وعلى بعضها سرّ » فاذا أراد احدهم سفراً مثلاً أتى سادن الارثان فيضرب له بتلك القداح ويقول اللهم أيها كان خيراً له فاخرجه فما خرج له عمل به واذا شكوا في نسب رجل أجالوا القداح وفي بعضها مكتوب صريح وفي بعضها مكتوب ملحق فان خرج الصريح انبتوا نسبه وان خرج الملحق نفوه وان كان بين اثنين اختلاف في حق سمي كل منهما له سهماً وأجالوا القداح فن خرج سهمه فالحق له » ومن شواهد الاستقسام عند النصب قول طرفة بن العبد

للفتي عقل يعيش به حيث تهدي ساقه قدمه
أخذ الازلام مقتسماً فأغواها زلمه (١)
عند انصاب لها زفر في صعيد حمة ادمه (٢)

واخبار استقسامهم كثيرة فمنها ما حكاه الاصبهاني وغيره انهم كانوا يستقسمون عند ذي الخلصة وان امراً القيس لما قتل بنو أسد اباه حجراً أخذ الازلام وأتى الصنم ذا الخلصة فاستقسم نخرج له القدح الذي يكره فكسر الازلام وضرب بها وجه الصنم وقال لو كان ابوك قتل ماعقتني ثم انشد
لو كنت يا ذا الخلصة الموتورا مثلي وكان شيخك المقبوراً

(١) يروي : فأفاض القدح مقتسماً و (اغواها) من الغواية وثني الضمير في اغواها وهو للازلام لان الشعر لحكم قافيةه يحتمل ما لا يحتمله النثر و (الزلم) واحد الازلام

(٢) الانصاب الحجارة التي كانوا يذبحون عليها و (الصعيد) التراب و (حمة) كثيرة و (ادمه) جلوده يعني جلود ما حمل الرجل الى الانصاب

لم تنه عن قتل العداة زورا

ثم خرج فظفر ببني أسد . قال ابو المذر فلم يستقسم أحد عند ذى
الخلصة بعد ذلك حتى جاء الاسلام فكان امرؤ القيس أول من أحفره
ومن ذلك ما حكاه ابن اسحاق «أن عبد المطلب بن هاشم شرع في حفر
بئر زمزم فلما تمادى به الحفر وجد فيها غزالين من ذهب وهما الغزالان اللذان
دفنت جرحهم فيها حين خرجت من مكة ووجد فيها أسيافا قاعية (١) وأدراعا
فقلت له قريش يا عبد المطلب لنا معك في هذا شرك وحق قال لا ولكن
هلموا الي أمر نصف ببني وبينكم نضرب عليها بالقداح . قالوا وكيف تصنع
قال أجعل للكعبة قدحين ولى قدحين ولكم قدحين فمن خرج له قدحاه
على شيء كان له ومن تخلف قدحاه فلا شيء له قالوا أنصفت فجعل قدحين
أسودين له وقدحين أصفرين للكعبة وقدحين أبيضين لقريش وضرب صاحب
القداح بها عندهبل أعظم أسمنامهم وهو الذى عناه أبوسفیان بن حرب يوم
أحد حين قال اعل هبل أى أظهر دينك نخرج الأصفران على الغزالين وخرج
الاسودان على الاسياف والادراع لعبد المطلب وتخلف قدحا قريش فضرب
عبد المطلب الاسياف بابا للكعبة وضرب فى الباب الغزالين من ذهب فكان
أول ذهب حلته الكعبة فيما يزعمون

ومنها ان قريشا استقسمت فى غزوة بدر الكبرى عند هبل للخروج
لحرب رسول الله فاستقسم أمية بن خلف وعتبة وشيبة نخرج القدح الناهى
فاجمعوا المقام حتى أزعجهم أبو جهل وخرج زمعة بن الاسود حتى اذا كان
بذى طوى أخرج قداحه واستقسم بها نخرج الناهى عن الخروج فلقى غيظا
ثم أعادها الثانية فلقى مثل ذلك فكسرها وقال ما رأيت كاليوم قدحا كاذب
ومن الشواهد على استقسام الرؤساء بالازلام قول شمعلة بن أخضر الضبي
جلينا الخيل من أطراف فلج ترى فيها من الغزو أقورارا (٢)

(١) نسبة الى القلعة بلد ببلاد الهند واليه ينسب السيوف (٢) فلج اسم

بلد و (الاقورارا) الضمور والتغير

بكل طمرة وبكل طرف يزبن سواد مقلته العذارا (١)
 حوالى عاصب بالرأس منا جبن أغر يستلب الدرا (٢)
 رئيس ما ينازعـه رئيس سوى ضرب القداح اذا استشارا
 على أن منهم الحازم الذى لا يستشير قداحه بل اذا هم بالامر مضى فيه
 كجدع بن سنان حيث يقول

أتانى قائر وبنو أبيه وقد جن الدجى والليل لاحا
 وحذرنى أموراً سوف تأتى أهر لها الصوارم والرماحا
 سأمضى لاذى قالوا بعزم ولا أبغى لذلك قداحا

وقد حدث الاستقسام بالازلام فيهم بعد أن كانوا يعتمدون فى المعرفة
 على الرؤيا المنامية . وقد رأى رسول الله صورة ابراهيم واسماعيل وفى
 أيديهما الازلام فقال لقد علموا أنهم لم يستقسما قط وقد حرمه الله تعالى
 وجعله رجساً أى مائماً وفسقاً فى قوله (انما الحجر والميسر والانصاب والازلام
 رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه) وقال (وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق)
 واما حرمه لانه ترجم على علم الغيب الذى استأثر به علام الغيوب وقل (لا يعلم
 من فى السموات والارض الغيب الا الله) فان الغيب لا يمكن ادراكه بصناعة
 من الصناعات واقتراء على الله فى قوله أمرنى ربى ونهانى ربى وما يدريه أنه
 أمره ونهاه . ومن الفسق أيضا الرجوع الى الكهنة والمنجمين لان مفسدته
 كهذه المفسدة

❖ الاقسام ❖

اذا أراد أحدهم فعل أمر أو تركه وخشى أن تهن عزمته قواها بالحلف
 لان الحنث يوجب المؤاخذة . فكانوا يحلفون بمعبوداتهم وبشعائر دينهم

(١) الطمرة الفرس الكريم و (الطرف) الكريم الطرفين من

الامهات والآباء (٢) (الدر) النفس وجمعه الدرا يعنى أنه شجاع يفتهب
 النفوس

وبما عظم فيه ولما كان قصد تعظيم المحلوف به غاية التعظيم هو داعية البر في
اليمين وهذا نوع من أنواع العبادة وهي لاتليق لغير الله تعالى قال عليه الصلاة
والسلام من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت فحرم الحلف بالنبي وبأحد من
ذريته وبالكعبة والصالحين ولكن المسلمين خصوصا في هذه الايام لبسوا
الدين مقلوبا وفعلوا ما نهوا عنه (وكان العرب) مع اختلاف عقائدهم ونحلهم
يحلفون بالله تعالى وبصفاته لانهم ما عبدوا الا صنم الا لتقربهم اليه بل كان
الحلف به أعظم ايمانهم قال المابغة الذبياني

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب
وقال أوس بن حجر

وباللات والعزى ومن دان دينها وبالله ان الله منهم أكبر
ومن الحلف بصفاته تعالى قول عنتره العبسي

قسما بالذى أمات وأحيا وتولى الارواح والاجساما
وقول مهلهل التغلبي

قتلوا كليباً ثم قالوا لا تثب كلا ورب البيت ذى الاحرام

وقولهم لا ورب هذه البنية . (١) لا وقائت (٢) نفسى القصير . وقولهم
لا والذى لا أتقيه الا بمقتله (٣) لا والذى أخرج العذق (٤) من الجرعة (٥)
والنار من الوثيمة (٦) لا ومقطع القطر . لا وفالق الاصباح . لا ومهب الرياح .
لا ومنشر الارواح . لا والذى مسحت أيمن كعبته . لا والذى جلد الابل
جلودها . لا والذى شق الجبال للسيل والرجال للخيول . لا وبارئ الخلق .
لا والذى يرانى من حيث ما نظر لا والذى نادى الحجيـج له لا والذى رقصن
ببطحائه . لا والذى أمد اليه بيد قصيرة . لا والذى كل الشعوب تدينه .

(١) كغنية الكعبة (٢) القائت من القوت يعطيه قليلا قليلا .

(٣) أى كل شيء منى مقتل من حيث شاء قتلى (٤) الذخلة (٥) الزواه

(٦) هى الموثومة أى المربوطة يريد به قدح حوافر الخيل النار من

لا والذي وجهي زمزم بيته (١) لا والذي شقهن (٢) خمساً من واحدة لا والذي
أخرج قائبة من قوب (٣) وقد أكثروا من الحلف بشعائر الحج ومشاهده لأنهم
كانوا على اختلاف نحلهم يرون الحج من دين إبراهيم وإسماعيل وحلف زهير
ابن أبي سلمى بالكعبة فقال

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرحهم
وحلفوا بزمام والخطيم قال ابن دريد وسمى بالخطيم لأن أهل الجاهلية
كانوا يحلفون به فيحطم الكاذب وحلف زهير بن أبي سلمى بالمنازل من منى فقال
فأقسمت بهذا بالمنازل من منى وما سحقت فيه المقادير والقمل
حتى حلفوا بالابل التي تؤم مزدلفة فقالوا لا والراقصات بيطن جمع
وبالتي تؤم منى قال أعشى قيس

حلفت له بالراقصات إلى منى إذا محرم خلفته بعد محرم
وحلفوا بشهر رجب لتعظيمهم له لأنه الشهر الذي كانوا يعتمرون فيه ويذبحون
فيه العتيرة وهي الرجبية وحلف الوثنيون بالانصاب وبما ألبسته من الثياب
وبالانصاب وهي حجارة كانت في الجاهلية يهل عليها ويذبح وبما هريق لها
أو عابها من الدماء قال مهلهل بن ربيعة

قتلوا كليباً ثم قالوا ارتعوا كذبوا لقد منعوا الجياد ارتعوا
كلاً وانصاب لنا عادية معبودة قد قطعت تقطيعاً

وقال طرفة بن العبد يخاطب الملك عمرو بن هند
اني وجدك ما هجوتك وال أنصاب يسفح بينهن دم
وقال النابغة الذبياني

فلا لعمرو الذي مسحت كعبته وما هريق على الانصاب من جسد (٤)
ما قلت من سيء محمداً أتيت به إذا فلا رفعت سوطي إلى يدي

(١) أي تجاهه وحذاءه - (٢) يعنون الاصابيع (٣) يعنون فرخاً من بيضة

(٤) رواية فلا ورب الذي قد ذرته حججاً و (الجسد) والجساد الزعفران

والمراد به هنا الدم

وقال رشيد بن رميظ العنزي
 حلفت بمائزات حول عوض وأنصاب تركن لدى السعير
 وقال المتلمس من قصيدة يهجو بها عمرو بن هند الملقب بالحرقي
 أطردتني حذر الهجاء ولا واللات والانصاب لا تثل (١)
 وحلف مهمل بن ربيعة بالحرام والحل فقال
 كذبوا والحرام والحل حتى يسلب الخدر بيضه المحجولا (٢)
 وحلف عدي بن زيد وكان نصرانيا بالله والصليب فقال يخاطب النعمان
 لما حبسه

سمى الاعداء لا يألون شرا عليك ورب مكة والصليب
 ارادوا كي تمهل عن عدي ليسجن او يدهده في القليب
 وحلفت النصارى بالابيل وهو الناسك والراهب قال في لسان العرب (وكانوا
 يعظمون الابيل فيحلفون به كما يحلفون بالله) حتى حلف الاعشى بسوح
 الراهبان فقال :

حلفت بثوبي راهب الدير والتي بناها قصي والمضاض بن جرهم
 وحلفوا بانفسهم فقالوا لعمري أي وبقائي ولعمرك قال طرفة بن العبد
 لعمرك ما أمرى على بغمة نهاري ولا ليلي على بسرمد (٣)
 وحلفت العرب بالآباء قال عروة بن الورد
 فلا وايك لو كاليوم أمرى ومن لك بالتدبر في الامور
 وكانت قريش تحلف بآبائها فنهاهم النبي عليه السلام عن ذلك بقوله لا تحلفوا
 بابائكم (وكانوا) يحلفون بالملح والرماد كقول الاعشى في حرب ذي قار فيما
 رواه الاصبهاني في الاغانى

حلفت بالملح والرماد وبالعسزي وباللات تسلم الحلقة

(١) أطردتني أي صيرتني طريدا ، وروى والله والانصاب . و (لا تثل)
 لا تنجو (٢) الحل بالكسر ما جاوز الحرم (٣) الغمة الكرب و (السرمد)
 الدائم أي اذا هممت بأمر أمضيته وأمضي هي بالليل ولا ابالي طوله

حتى يظل الهمام منجدلا ويقرع النبل طرة الدرقه
وقد اختلفوا في المراد باسحج المقسم به من قول أعشى قيس
رضيحي لبان ثدى ام تحالفا باسحج داج عوض لانتفرق
على سبعة أقوال ذكرها ابن السيد البطليموسى فى الاقتضاب أولها هو
الرماد وكانوا يخلفون به قال الشاعر

حلفت بالملح والرماد وبالندى وباللله تسلم الحلقة
حتى يظل الجواد منعفرا وتخضب النبل غرة الدرقه

(ثانيها) هو الليل (ثالثها) هو الرحم (رابعها) هو الدم لانهم كانوا
يغمسون ايديهم فيه اذا تحالفوا حكى هذه الاقوال الاربعة يعقوب وحكى
غيره وهو (الخامس) انه حلقة الثدى وقيل وهو (السادس) زق الخمر وقيل
وهو (السابع) دماء الذبائح التى كانت تذبح للاصنام وجعله اسحج لان الدم
اذا بيس اسود قال ابن السيد وابعده هذه الاقوال من قال انه الرماد لان الرماد
لا يوصف بانه اسحج ولا داج وانما يوصف بأنه أورق ومن ذكر حلقهم بالنار
ابن قتيبة فى ابيات الممانى عند الكلام على اراء التحالف حيث قال كانوا يخلفون
بالنار وكانت لهم نار يقال أنها كانت بأشواف اليمن لها سدة فاذا تفاقم الامر
بين القوم خلف بها انقطع النزاع بينهم وكان اسمها هولة والمهولة وكان سادتها
اذا أتى برجل هيمه من الحلف بها ولها قيم يطرح فيها الملح والكبريت فاذا
وقع فيها استشاطت فيقول هذه النار قد تهددتك فاحلف فان كان مريبا نكل
وان كان بريئا حلف قال أوس بن حجر يصف عيرا على مرتفع من الارض
اذا استقبلته الشمس صد بوجهه كما صد عن نار المهول حالف (١)
وقال السكيت

همخوفونا بالعمى هوة الردى كما شب نار الحالفين المهول
وقال ابو عبيدة كان فى الجاهلية لكل قوم نار وعابها سدة وكان اذا
وقع بين الرجلين خصومة جاء من ثبت عليه اليمين الى النار فيحلف عندها
(١) كمحدث المحلف

وكان السدنة يطرحون بها ملحاً من حيث لا يشعرون بها عليه قال السكيت
وذكر امرأة

فقد صرت عما لها بالمشيب زوالاً لديها هو الازول
كهولة ما أوقد المحلفون لدى الحالفين وما هولوا (١)
وفي القاموس « التهويل شيء كان يفعل في الجاهلية إذا أرادوا أن
يستحلفوا انساناً أوقدوا ناراً ليحلف عليها وكان السدنة يطرحون فيها ملحاً
من حيث لا يشعرون بها عليه والجمع التهويل ». والتحليف عند النار
أو بها أثر من آثار المجوسية سري لهم من مجاورتهم لفارس
وحلفت السكهان بما جل قدره وعظم خطره كالسما والارض والليل
والنهار والشمس والقمر وامتازوا عن غيرهم بكثرة الايمان في صدر كلامهم
وأخبارهم بالمغيبات كقول سلمى الهمدانية الحميرية
والخفو والوميض (٢) والشفق والاعريض (٣) والقلعة والحضيض ان
خزيماً لمنيع الجيز (٤) وقول زبراء أمية حويلة والليل الغاسق واللوح (٥)
الخافق والنجم الطارق والمزن الوادق ان شجر الوادي ليأدوا (٦) ختلاً
وقول السكاهن الخزاعي لما تنافر اليه أمية بن عبد شمس وهاشم بن عبد مناف
والقمر الباهر. والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما بالجومن طائر وما اهتدى
بعلم مسافر من منجد وغائر لقد سبق هاشم أمية الى المفاخر ولامية أو آخر.
ولقد اقسم الله في القرآن بكثير من الازمنة والامكنة والاشياء وحاشاه ان
يحتاج في تأكيد اخباره الى القسم بشيء هو صنع قدرته بل اقسم لاغراض
منها تقرير وجود المقسم به في عقل من انكره وتعظيم شأنه عند من احتقره
أولئنه الغافل الى موضع العبارة فيه او غير ذلك من الاغراض الشريفة
(١) هاله هو لا افزعه كهوله فاهتال

(٢) الخفو اللعمان الضعيف (والوميض) اشد من الخفو (٣) الاعريض
حجارة النورة (٤) الجيز الناحية (٥) اللوح بضم اللام الهواء بين السماء
والارض واللوح بفتح اللام العطش (٦) ادوت له ادوا ختلته

أما الحلف بالطلاق فما كانت العرب تعرفه ولا نستحلف به وفي محاضرات
الادباء : واول من استحلف به ابن مسleme وكان واليا على كرمان استحلف
جنده بالطلاق فقال بعضهم

رايت هذيل احدثت في طلاقها طلاق نساء لم يسوقوا لها مهرا
وقيل ان اول من استحلف بالطلاق العباس بن عبد المطلب استحلف
الانصار ليلة العقبة حين اخذ عليهم البيعة لرسول الله « ويبعد صدور ذلك عن
العباس خاصة وعن العرب عامة لانهم لم يكونوا يذكرون الطلاق الا عند ارادة
حل عقدة الزواج واني لم اعثر على ذكر ذلك في سيرة من السير ولو صح لنقل
واستفاض . وكانت بيعة رسول الله ان يقول لمن بايعه بايعتك او ابايعك على
السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره فاحدث الحجاج كما قال
ابن قيم الجوزية بيعة غير هذه تتضمن اليمين بالله تعالى والطلاق والعتاق
وصدقة المال والحج و(كانوا) يغفلون الايمان بالحلف عند الامكنة المحترمة
كالا نصاب وشاهده قول طرفة بن العبد

فأقسمت عند النصب اني لهالك بمعلقة ليست بغبط ولا خفض (١)

او مكة كقول زهير بن ابي سلمى

فتجمع أيمن منا ومنكم بمقسمة تمور بها الدماء (٢)

او الحطيم وفي القاموس « والحطيم حجر الكعبة او جداره او ما بين الركن
وزمزم والمقام وزاد بعضهم الحجر او من المقام الى الباب او ما بين الركن
الاسود الى الباب الى المقام حيث يتحطم الناس للدعاء وكانت الجاهلية
تتحالف هناك »

وكانوا يحرصون على البر في اليمين وعدم الخنث فيها حتى لقد زعم علماء
كندة كما حكاه الاصبهاني في الاغانى ان جد امرئ القيس وهو الحارث بن
عمرو بن حجر آكل المرار بن معاوية بن ثور وهو كندة خرج الى الصيد

(١) المتلفة المفازة و (بغبط) أى تغتبط (٢) المقسمة موضع القسم

وأراد بها مكة حيث تنجر المدن فتسل دماؤها

فألظ بتميس (١) من الأطباء فأعجزه فألى الية ألاياً كل اولاً الا من كبده فطلبته الخيل ثلاثاً فأتى بعد ثلثه وقد هلك جوعاً فشوى له بطنه فتناول فلذة من كبده فأكلها حارة فمات وفى ذلك يقول الوليد بن عدى الكندى فى بنى بجيلة فشوا فكان شواءهم خبطاله ان المنية لا تجل جايلاً

و(كانوا) لا يتركون المحلوف عليه الا اذا وجدوا مخرجاً من اليمين. وشاهده ما ذكره ابن رشيقي فى العمدة من ان المنذر بن ماء السماء حلف فى يوم اواراة الاول ليقتلن بكراً على راس اواراة حتى يلحق الدم بالحضيض فشفع لهم رضيع المنذر مالك بن كعب العجلي وقال للمنذر انا اخرجك من يمينك فصب الماء على الدم فلحق الارض وبر يمين المنذر فكف عن القتل وما روى ان الحارث ابن عباد آلى الا يصالح تغلب حتى تكلمه الارض فلما كثرت وقائعه فى تغلب ورات تغلب انها لا تقوى عليه حفروا سرباً تحت الارض وادخلوا فيه رجلاً وقالوا اذا مر بك الحارث فغن بهذا البيت

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض فلما أتى الحارث على ذلك الرجل غنى بذلك البيت فقبل للحارث برّ قسمك فأبق بقية قومك ففعل واصطلحت بكر وتغلب (وكانوا) يخافون عقوبة الله فى الحنث ولا تعلم من تجراً على الله بالحلف حانثاً قبل امرئ القيس فى قوله

فقلت يمين الله أبرح قاعداً وان قطعوا رأسى لديك وأوصالى (٢)

حلفت لها بالله حلفة فاحر لناموا فما ان من حديث ولا صالى

ولقد نحا نحوه الشماخ بن ضرار الغطفانى فى الاسلام فقال

وجاءت سليم قضها بقضيضها تمسح حولى بالبقيع سبالها (٣)

يقولونلى يا احلف ولست بحالف أخادعهم عنها لكيا أناها (٤)

(١) الظ به لازمه ولم يفارقه (٢) تعارفوا يمين الله حلفاً به تعالى (٣) قضها

بقضيضها بالنصب اى منقضاً آخرهم على اولهم و (البقيع) موضع بالمدينة

و (السبال) جمع سبلة وهى مقدم اللحية

(٤) عنها أى عن الحلقة المفهومة من احلف اى يقولون احلف فأقول

ففرجت هم النفس عنى بحلقة كما قدت الشقراء عنها جلالها (١)
يقول كشفت هم النفس عنى باليمين الكاذبة وخرجت من الهم كما خرجت الفرس
الشقراء من جلالها . ومثله قول بعضهم

سألوني اليمين فارتعت منها ليغروا بذلك الانخداع
ثم ارسلتها كمنحدر السيل تعالى من المكان اليفاع

ومثله قول ابن الرومي

واني لدو حاف كاذب اذا ما اضطررت وفي الحال ضيق
وهل من جناح على مسلم يدافع بالله ما لا يطيق

✽ التحالف ✽

التحالف التعاقد . ولقد دعانا لذكره ما يكون عنده من الاقسام بما هو
محترم ديناً فقد كانت قبائلهم لكثرة شتمهم الغارات وطلبهم الثارات ووقوع
العداوة والبغضاء فيما بين بعضهم وبعض تحتاج القبيلة لحفظ كيانه ان تتحالف
مع قبيلة او اكثر حسبما تقتضيه حاجتها الى البقاء او رغبتها في الانتصار
على الاعداء وقد يكون التحالف لكف القتال والصلح بعد الضال .
وكانوا يغمسون ايديهم في دم أو خلو أو رب أو غير ذلك عند الحلف كناية
عن صبغتهم بصبغة واحدة فمن التحالف بغمس اليد في الدم ما كان من تحالف
قبائل عبد الدار ومخروم وعدى وسهم وجمح فانهم عند ما تحالفوا على الا
يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضاً اخرجوا جفنة مملوءة دم جزور نحروها وقالوا
من ادخل يده في دمها فلحق منه فهو منا ففعلوا ذلك فسموا لعقة الدم لذلك .
ومن ذلك ايضاً ما كان من امر الدم الذي قربه عندما ارادوا الحلف مع
الهجرس بن كليب وذكر خبر ذلك الاصفهاني في الاغانى قال

لا احلف حتى يقبلوها مى فاحلف فتقطع الخصومة (١) قدت شقت والجل
بالضم وبالفتح ما تلبسه الدابة لتصان به

« ان جساسا لما قتل كليبا وكانت اخت جساس تحت كليب فرجعت الى اهلها ووقعت الحرب بين الفريقين زمنا طويلا ثم صاروا الى المهادنة بعد ما كادت القبيلتان تتفانيان فولدت اخت جساس غلاما سمته الهجرس ربا جساس فكان لا يعرف اباً غيره فزوجه ابنته فوقع بين الهجرس وبين رجل من بني بكر بن وائل كلام فقال البكرى ما انت بمنته حتى يلحقك بأبيك فأمسك عنه ودخل الى امه كئيبا فسألته عما به فأخبرها الخبر فلما آوى الى فراشه ونام الى جنب امراته وضع انقه بين يديها فتتنفس تنفسه تنفط ما بين يديها من حرارتها فقامت الجارية فزعة قد اقلتها رعدة حتى دخلت على ابيها فقصت عليه قصة الهجرس فقال جساس نأثر ورب الكعبة وبات جساس على مثل الرصف حتى اصبح فارسل الى الهجرس فأثاه فقال له انما انت ولدى ومنى بالمكان الذى قد علمت وقد زوجتك ابنتى وانت معى وقد كانت الحرب فى ابيك زمانا طويلا حتى كدنا نتفانى وقد اصطاحنا وتحاجزنا وقد رايت ان تدخل فيما دخل فيه الناس من الصلح وان تنطلق حتى نأخذ عليك مثما اخذ علينا وعلى قومنا فقال الهجرس انا فاعل ولكن مثلى لا يأتى قومه الا بلائمه وفرسه حملة جساس على فرس واعطاه لأمة ودرعا . نخرجا حتى اتيا جماعة من قومهما فقص عليهم جساس ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا فيه من العافية . ثم قال وهذا الفتى ابن اختى قد جاء ليدخل فيما دخلتم فيه ويعقد ما عقدتم . فلما قربوا الدم وقاموا الى العقد اخذ الهجرس بوسط رمحه ثم قال . اما وفرسى واذنيه ورمحى ونصليه . وسيفى وغراريه لا يترك الرجل قاتل ابيه وهو ينظر اليه ثم طعن جساسا فقتله ثم لحق بقومه . ومن ذلك ما كان من بكر بن وائل وذلك ان جساس بن مرة لما قتل كليبا اخذه ابوه فأوثقه رباطا وجعله فى بيت ثم دعا بطون بكر بن وائل واستشارهم فى امره . فقال سعد بن مالك بن صبيبة البكرى لا والله ما نعطى تغلب جساسا ولنقاتلن دونه حتى نفنى جميعا فدعا بخزور فنحرت ثم تحالفوا على الدم . ومن ذلك ما قيل ان حثعم وهم بطن من انمار سموا بذلك من التخمم وهو التلطلخ بالدم وذلك انهم نحروا بعيرا

وغمسوا ايديهم في دمه واحتلفوا عليه

ومن التحالف بغمس اليد في الخلق ما كان من امر بنى عبد مناف وبنى اسد بن عبد العزى وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة والحارث بن فهر فانهم تحالفوا على النصره وغمسوا ايديهم في جفنة مملوءة طيبا ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدا على انفسهم فسموا بالمطيبين لذلك . ومن ذلك ما روى ان منشم الى صرب المثل بعطرها فقبل اشأم من عطر منشم ودقوا بيدهم عطر منشم كانت امرأة عطارة تبيع الطيب فكانوا اذا قصدوا الحرب غمسوا ايديهم في طيبها وتحالفوا عليه بأن يستमितوا في تلك الحرب ولا يولوا أو يقتلوا

ومن التحالف بغمس اليد في الرب ما كان من أمر بنى عبد مناف بن اد بن طابخة وهم تيم وعدى وعكل وثور فانهم غمسوا أيديهم في الرب في حلف على بنى صبة فلقبوا بالرباب كذا في العقد الفريد وفي القاموس والرباب احياء نسبة لانهم ادخلوا أيديهم في رب وتعاقدوا - والرب بالضم سلافة خثارة كل ثمرة بعد اعتصارها وثقل السمن و (كانوا) يوقدون نارا عند التحالف وذكرها الجاحظ في البيان والتبيين فقال : وكانوا يتحالفون على النار ويتعاقدون ويأخذون العهد المؤكد واليمين الغموس مثل قولهم ماسرى نجم وهبت ريح وبل بحر صوفة وخالفت جرة درة . ولذلك قال الحارث بن حازة اليشكري . واذكروا حلف ذى الجواز وما دم فيه اليهود والكفلاء

حذر الخون والتعدى وهل تنقض ما في المهارق الالهواء (١)
وقال في كتاب الحيوان « كانوا لا يعقدون حلفهم الا عند نار فيذكرون عند ذلك منافعها ويدعون الله بالحرمان والمنع من منافعها على الذى ينقض عهد الحلف ويخيس بالعهد ويقولون في الحلف الدم الدم (٢) والهدم الهدم

(١) الخون الخيانة ويروى الجور و (المهرق) الصحيفة جمعه مهارق
(٢) قال ابن قتيبة : كانت العرب تقول عند عقد الحلف والجوار دمي دمك وهدمي هدمك أى ما هدمت من الدماء هدمته انا ويقال أيضا بل الدم الدم والهدم الهدم وأنشد (ثم الحقى بهدى ولدى) فالدم

(بحر كون الدال في هذا الموضع) (١) لا يزيد طول الشمس الا شدا وطول الليالي
الا مدا ما بل البحر صوفة وما أقام رضوى في مكانه ان كان جبلهم رضوى
وكل قوم يذكرون جبلهم وربما دنوا منها حتى تسكاد تحرقهم ويهلون على من
تخاف عليه الغدر بحقوقها ومنافعها والنخويف من حرمان منفعتها . ولقد
يحالفت قبائل من مرة بن عوف عند نار فدنوا منها حتى محشتهم فسموا المحاش
وربما تحالفوا وتعاقدوا على الملح قال الشاعر

حلقت لهم بالملح والقوم شهد وبالنار واللات التي هي أعظم
والملح شيئان أحدهما المرقة والآخر اللبن وأنشدوا لشتيم بن خويلد

الغزاري

لا يبعد الله رب العباد والملح ما ولدت خالده

وأنشدوا في قول أبي الطمجان

واني لا رجو ملحتها في بطونكم وما بسطت من جلد أشعث أغبرا

وذلك أنه كان جاورهم فكان يسقيهم اللبن كانه يقول كنتم مهازيل
والمهزول يتقشف جلده وينقبض فبسط ذلك من جلودكم « قال ابن السيد
البطليوسي ولأنهم كانوا يتجالفون على النار ذكر اعشى بكر البار عند المحالفة
في قصيدته التي امتدح بها المخلق حيث قال

لعمري قد لاحت عيون كثيرة الى ضوء نار في يفاع تحرق

تشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار المدى والمخلق

رضيحي لبان ندى أم تحالفا بأسحهم داج عوض لا تتفرق

جمع لادم وهم أهله الذين يلمتدون عليه اذا مات وهو من لدمت صدره اذا ضربته
(١) قال ابن هشام الهدم بفتح الدال الحرمة وانما كنى عن حرمة الرجل
وأهله بالهدم لأنهم كانوا أهل نجمة وارتحال ولهم بيوت يستخفونها يوم ظعنهم
فكلما ظعنوا هدموها والهدم بمعنى المهدوم كالقبض بمعنى المقبوض ثم جعلوا
الهدم وهو البيت المهدوم عبارة عما حوى فهو كقولهم هدمي هدمك أى رحلتى
مع رحلتك أى لا أظمن وأدعك وأنشد يعقوب (كانها هدم في الجفر منقاض)

وعلى العسكري تحالفهم على النار بأن منفعتها تختص بالإنسان لا يشاركها فيها غيره من الحيوان. وأرى أن حلفهم بالنار وتعاقدهم عليها أثر من آثار الديانة المجوسية سرى اليهم من مجاورتهم لفارس ثم رأيت ابن عبد ربه قال في العقد الفريد في بيت الأعشى المتقدم « قوله تقاسما باسحهم داج يقول تحالفا على الرماد وهذا شيء تفعله الفرس لا يتفرقوا أبد الدهر » فإذا كان تحالفهم على الرماد الذي هو أثر النار المقدسة جاءهم من مجاورتهم الفرس فلان يكون تحالفهم على المارجاء هم من مجاورتهم الفرس من باب أولى

﴿ الدعاء ﴾

العربي ككل إنسان ذي دين إذا نزل به مكروه لجأ إلى معبوده في كشف الضر عنه وإذا أصابه قوى بمصيبة تضرع لبارئه أن ينتقم له ممن ظلمه وكانوا يعتقدون أن من دعى عليه فاضطجع لم تستجب فيه دعوة الداعي وشاهد ذلك ما حصل عند دعوة خبيب بن عدى وذلك أنه قدم رهط من عضل والقارة وهما قبيلتان من الهون بن خزيمة بن مدركة على رسول الله فقالوا يا رسول الله ان فينا اسلما فابعث الينا من يفقهوننا في الدين فبعث اليهم ستة نفر منهم خبيب بن عدى فغدروا بهم وباعوا خبيبا من قريش بأسير من هذيل كان بمكة فابتاع خبيبا حجير بن أبي اهاب التميمي لعقبة بن الحارث بن عامر ليقتله بأبيه فأقام في أيديهم حتى انقضت الاشهر الحرم ثم خرجوا به إلى التنعيم ليصاموه ورفعوه على خشبة وقتلوه طعنا بحربة قال ابن اسحاق « فلما أوثقوا خبيبا قال : اللهم احصهم عددا واقتلهم بددا ولا تغادر منهم أحدا ثم قتلوه رحمه الله فكان معاوية بن أبي سفيان يقول حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبي سفيان فلقد رأيته يلقيني إلى الأرض فرقا من دعوة خبيب وكانوا يقولون ان الرجل اذا دعى عليه فاضطجع لجنبه زالت عنه »

﴿ الصابئون ﴾

ينسب الصابئون دينهم إلى سيدنا نوح وإلى ابراهيم الخليل بالتلقى عن نوح

وعن أدريس ومنهم عبدة الاصنام والكواكب والفئة الباقية منهم على معتقدها الاطى بعد أن مزجته بالعقايات يتوجهون في عبادتهم للقطب الشمالى ويصلون ثمانى ركعات عند ظهور شفق الشمس الشروق وخمسا وقت الزوال ومثلها وقت غروب الشمس يسجدون في كل ركعة منها ثلاث سجعات بلا انحناء ويتلون في قيامهم وسجودهم كلمات تشتمل على مناجاة ودعوات واستغفار ويصومون في كل سنة ثلاثين يوما عدد ما تقطعه الشمس في كل برج من بروجها يسكون فيها عن الطعام والشراب من شفق شروق الشمس الى شفق غروبها ويفطرون على غير اللحوم من الالبان والنباتات الا ما حرم منها عندهم يصومون من الثلاثين يوما أربعة عشر يوما متتالية في فصل الشتاء موافقة لاعداد الكواكب السبعة وأفلا كها وسبعة أيام في الربيع موافقة لاعداد الكواكب وحدها وتسعة ايام في أواخر الصيف موافقة للافلاك السبعة مع فلكى الثوابت والمحيط ويقدمون الضحايا في هياكلهم ومعايدهم للسنة والفقراء ويعظمون الكواكب لاعتقادهم أنها أعظم أثر الهى فعال في الاجرام السفلية ويمنعون توريث الفاسق من العدل ويعتقدون بعث الارواح لا الاجسام وطهارة النفس العاصية بعد تعذيبها ثلاثة آلاف سنة وان الرسل لم يبعثهم الله بل هم ملهمون من المجرذات وان الخير من الله والشر من النفوس وان الله لا تدركه الابصار لا في هذه الدار ولا في الدار الآخرة وحرروا تعذيب الحيوان وقتله الا ما أحل أكل لحمه وكلاهما ثم لا يكفر الا بالضحايا المبينة في كتبهم . ذلك هو الاصل ثم تعددت المذاهب واختلفت فبعضها يحرم من النبات والحيوان ما أحله الآخر وبعضها يحل زواج امرأة الاب التى لم تعقب منه والبعض يحرمها مطلقا وبعضها يوجب غسل جراحات القتل عند دفنه والآخر يحرمه الى غير ذلك من الفروع ثم اشتغلوا بالاهيات الحكماء وكتب الفلاسفة على أنها كتب تعليم وارشاد ككتب الرسل والصابئون يعتقدون في الانواء اعتقاد المنجمين في السيارات حتى لا يتحرك أحدهم ولا يسكن ولا يسافر ولا يقيم الا بنوء من الانواء ويقول مطرنا

بنوء كذا وهم ينقسمون الى مؤمن وكافر ولذلك ذكرهم الله تعالى في الامم الاربع الذين تنقسم كل أمة منهم الى ناج وهالك في قوله (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فذكرهم في آية الوعد بالجنة لذلك ولما ذكر المجوس والمشركين وليس منهم سعيد حكم عليهم بالفصل بينهم في قوله (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة) وحران دار الصابئة وهم فرق فصابئة حنفاء وصابئة مشركون وصابئة فلاسفة وصابئة يأخذون محاسن ما عليه اهل الملل والنحل من غير تقييد بجملة ومنهم من يقر بالنبوات جملة ويتوقف في التفصيل ومنهم من يقر بها جملة وتفصيلا ومنهم من ينكرها جملة وتفصيلا

والمشركون منهم يعبدون الله بالتقرب للكوكب والعلويات بأنواع للعبادة من التضرع والابتهال بالدعوات والصلوات وذبح القرابين والبخور والعزائم لتستمد نفوسهم منها بغير واسطة الرسل وأقاموا لها الهياكل للعبادة فكان كفرهم لعبادة العلويات والكوكب

عبادتهم الكوكب وآثار عبادتهم لها

نظر فريق من الناس الى الكوكب نظر المتقدمين من علماء النجوم من حيث تأثير الكوكب في هذا العالم فجمعوا الموجودات الارضية اثرًا للشمس عند قوم وللـكوكب بتوزيع التأثير فيها عند آخرين وهذه الطائفة ترى الكوكب مدبرة لهذا العالم وعنـها يصدر ما فيه من خير وشر وسعادة ونحس وغير ذلك بسبب أوضاع الكوكب من التثايت والتسديس والتربيع ومقارنة كوكبين أو أكثر من الكوكب السبعة السيارة في درجة واحدة من برج واحد ومن الصابئين من عدل عن معتقده الالهى فاعتقد التأثير للـكوكب وهؤلاء ثلاث فرق (الفرقة الاولى) ذهبـت الى أن الكوكب واجبة

الوجود لذاتها غير محتاجة الى مخصص و (الفرقة الثانية) ترى أن الكواكب
آلهة و لكل منها عمل قائم به في هذا العالم يصدر عنه لا يقدر عليه غيره و انها
أبدية الوجود أزلية الاولوية تجري أحكامها لا لغاية (والفرقة الثالثة) ترى
أن لهذه الكواكب والافلاك الهأ مبدعا أعطاهها قدرة و ارادة ذاتية نافذة
في هذا العالم وفوض اليها تدبيره وهذه الطوائف كان لها عصبية في بلاد
العرب فدانت العرب بهذا الدين واعتقدته وبنوا الهياكل العظيمة للشمس
وقربوا لها القرابين وحجوا اليها وذبحوا لها الذبائح واعتكفوا عندها خاضعين
عابدين وأول من دان بهذا الدين من العرب قبائل سبأ الحميرية فلما تهدمت
سدودهم وتخربت أراضيهم تفرقوا في بلاد العرب وقبائلها فانتشروا دينهم في القبائل
التي نزلوا بها أو جاوروها والبطون التي سكنوا معها وعاشروها حتى شاع في
بلاد العرب وانتقل منها الى مجاورهم أهل الحبشة والشأم ومن قبائل سبأ قوم
بلقيس وقد حكى القرآن حديث الهدد لسيدنا سليمان عبادتها وقومها في قوله
« وجئتك من سبأ نبأ يقين اني وجدت امرأة تملكهم واوتيت من كل شيء ولها
عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان
أعمالهم فصدّهم عن السبيل فهم لا يهتدون » وعبدت ثمود الشمس وكانوا بين
الحجاز والشام بأرض الحجر فدعاهم صالح لعبادة الله تعالى وهدم هياكل الشمس
فآمن به الا قاييل . وأخص أنواع عبادتهم للشمس كانت بالسجود لها عند
شروقها وعند غروبها وعند توسطها السماء فلماذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن
الصلاة في هذه الاوقات قطعاً لمشابهة الكفار ظاهراً وسداً لذريعة الشرك
وبعض كنانة كانت تعبد القمر والديبران وبنو لخم وجرهم كانوا يسجدون
للمشترى ومن العرب من عبد عطار وبنو طيء عبد بعضهم سهيلاً وبعضهم
الثريا وهي عدة كواكب مجتمعة وبعض قبائل ربيعة عبدوا المرزم كمنبر
(والمرزمان نجمان مع الشمرين يسمى أحدهما كف الكلب وهو يتبع الشعري
العبور وثانيهما هو الكوكب الاخفى من كوكبي الذراع) وطائفة من تميم
عبدوا الديبران وبعض قبائل لخم وخزاعة وقريش عبدوا الشعري العبور

وهي الشعري اليمنية ذكر بعضهم ان اول من سن لهم ذلك أبو كبشة وجزء ابن غالب جد وهب بن عبد مناف وهو أبو آمنة أم نبيينا عليه السلام فلما بعث الرسول وخالف العرب في عبادتهم الاوثان دعوه بابن أبي كبشة (١) لمخالفته لهم كمخالفة أبي كبشة لقومه في عبادة الشعري

قال ابن قتيبة « وكان قوم في الجاهلية عبدوا الشعري العبور وفتنوا بها وكان أبو كبشة الذي كان المشركون ينسبون اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من عبدها وقال قطعت السماء عرضا ولم يقطع السماء عرضا غيرها وعبدها وخالف قريشا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا الى عبادة الله وترك عبادة الاوثان قالوا هذا ابن أبي كبشة أى شبهه ومثله » وخص الله الشعري بالذكر في قوله : « وانه هو رب الشعري » اما لعبادة كثير منهم لها واما للاشعار بأن النبي عليه السلام ان وافق أبا كبشة في مخالفته دين قومه فانه يخالفه في أن دين أبي كبشة باطل ودين محمد الحق لعبادته الله تعالى أما آثار عبادتهم للسكران كب فنها تسميتهم أنفسهم بأسماء مضافة لها بالعبودية كمعبد شمس ومعبد المشتري فان ذلك دليل على عبادتهم لها ومنها تسميتهم للشمس بالالهة والالاهة قال الشاعر

تروحنا من اللعباء عصرا واعجلنا الالهة أن تؤوبا (٢)

قال الفارسي سموها الالهة على نحو تعظيمهم لها وعبادتهم اياها وعلى ذلك نهاهم الله عز وجل عن عبادتها وأمرهم بالتوجه في العبادة اليه دون ما خلقه وأوجده بعد ان لم يكن فقال « ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن »

(١) في القاموس وكان المشركون يقولون للنبي ابن أبي كبشة شبهوه بأبي كبشة رجل من خزاعة خالف قريشا في عبادة الاوثان أو هي كنية وهب بن عبد مناف جده صلى الله عليه وسلم من قبل أمه لانه كان نزع اليه في الشبه أو كنية زوج حليلة السعدية أو كنية عم ولدها (٢) تروحنا سرنا وقت الرواح وهو العشى أو من الزوال الى الليل (اللعباء) اسم مكان و (اعجلنا) سبقنا

ومن آثار عبادة الشمس ما يفعله الغلام اذا سقطت سنه وذلك انه كان اذا سقطت له سن أخذها بين السبابة والابهام واستقبل الشمس اذا طلعت وقذف بها وقال : يا شمس أبدليني بهاسنا أحسن منها ولتجر في ظلمها أياتك أويقول اياؤك وهما جميعا شعاع الشمس زعموا انه يأمن على اسنانه العوج اذا صنع ذلك . والى هذا أشار شاعرهم

شادن يجلو اذا ما ابتسمت عن اقاح كأقاح الرمل غر
بدلته الشمس من منبته برداً أبيض مصقول الاشر (١)
وقال طرفة بن العبد البكري يصف ثغر محبوبته
سقته آية الشمس الا لثاته أسف ولم تكدم عليه بأثمد (٢)
وقال آخر

وأشذب واضح عذب الثنايا كأن رضا به صافي المدام
كسته الشمس لونا من سناها فلاح كأنه برق الغمام
وقال آخر

بذى أشر عذب المذاق تفردت به الشمس حتى عاد أبيض ناصعا
ووجه كون هذه العادة من آثار عبادة الشمس ان الشمس كانت من معبوداتهم في الجاهلية والعبد يطالب من معبوده سؤاله والاباء يلقنون عقائدهم لابنائهم فالظاهر أن يكون عابد الشمس علم ولده أن يسأل معبوده الشمس أن تبدله بسنه التي سقطت سنا أخرى خيرا منها بريئة من الفساد والعوج ويكون الولد قد امتثل أمر والده فسمعه غيره من الابناء الذين لم تكن الشمس معبودة لهم ولا لابائهم فقلدوه . وبهذا البيان لا تكون هذه العادة من الاوابد التي (١) أشر الاسنان التحزيز الذي يكون فيها خلقة ومستعملا يقال أشرت المرأة أسنانها حزرتها وهذا كان من صنيعهم (٢) أي ثغرها براق اللثاته فانها حواء و (أسف) ذر عليه و (الاثمد) الكحل و (اللاث) اللحم الذي تنبت فيه الاسنان و (آية الشمس) ضوءها و (لم تكدم) لم تعض و (بأثمد) متعلق بأسف أي ذر الاثمد على اللثاة والشفاه وكانت تلك عاداتهم التي يستحبونها

لا يفهم معناها ولا يزال الخلف ينقل هذه العادة عن السلف في الولد اذ اليوم
من اذا سقطت سنه رمى بها في عين الشمس وقال « يا شمس يا شمسة خذى سنة
الحمار وهاتى سنة العروسة »

﴿ المجوسية والزندقة ﴾

المجوس يعتقدون نبوة ابراهيم الخليل وقد بحثوا في كتب الحكماء مقتصرين
على مبحثي التكوين والخير والشر فنظروا في مبحث التكوين الى انفصال الحرارة
التكوينية من ممكن الصادر الاول ثم تدرجها الى الحرارة المركزية بالنسبة
لبطن الارض ومحيط سطحها وبها صارت الارض ذات رواب وجبال وصحارى
وجزائر ونظروا للانسان من حيث تركيبه وأصل نشأته فجعلوه ابن الارض التي
هى بنت الحرارة المقابلة عندهم للقدرة الالهية فاتخذوا النار من حيث هى أثر
الآله وفيها صفته التكوينية دالاً على معبود ومع تقادم الزمن وكثرة تصرف
الرؤساء الدينيين فى هذا الاصل اختلفوا فى الاعتقاد حتى قالت طائفة منهم
أن النار معبود قائم بذاته ونظر قدمائهم فى مبحث الخير والشر لقول الحكماء
ان البارى بتوحيد ذاته جهة واعتبارا يستحيل صدور التكثير عنه لانه لو صدر
الخير والشر عنه لكان عين التكثير فى امكانه وهو باطل فقالوا بوجود فاعلين
أزايين يصدر عن أحدهما الخير وعن الثانى الشر فاعتقدوا بوجود الهين أحدهما
نور ومبدأ الخير كله ويسمونه أرمزاد أو يزدان والثانى ظلام ومبدأ الشر
كله ويسمونه اهرمان او اهرمن يكون الغالب منهما إله الشر متى كثرت
الشرور ومنه يطلب الانسان الشر والبلاء لاعدائه ويغلب إله الخير متى كثرت
الخيرات واليه يضرع الانسان فى طلب الخير لنفسه ولأحبائه وهؤلاء هم الثنوية
وانتهى الامر بالمتأخرين أن صوروا الههم بصورة على كتفها صورتا الخير
والشر ولما نشأ زرادشت بن بيورشت المتوفى سنة ٤٨٧ قبل الميلاد أبطل
القول بألهى النور والظلمة وعلمهم أن الاله واحد وانه خلق ملكى النور
والظلام وان الشر فى العالم يصدر عن طبيعة المخلوقات وعند انتهاء العالم تبعث

الاموات للجزاء فيسجن ملك الظلام وأتباعه في مكان ظلمة وعذاب أبدي ،
 أما ملك النور وأتباعه فيتمعمون خالدين في مكان نور وسعادة وشرع لهم
 شرائع مدونة في مجلدات والمجوس تقر بنبوته وأتباعه هم الزرادشتية ولم يكن
 للمجوس هياكل قبله وكانوا يسجدون للشمس لأنهم يزعمون انها مسكن الاله
 وللنار لمشايتها للشمس في الحرارة والنور فأمرهم ببناء الهياكل حتى لا يمنعهم
 مزاج الفلك عن العبادة في أى وقت وجد ذلك لهم بيوت النيران التي أخذها
 منوشهر وأخبرهم انه عرج الى السماء ورأى الله في سحابة لامعة وسمع صوته
 ثم هبط منها بقبس من النار اشعلت به النار المقدسة التي في هياكلهم ولا يجوزون
 للكهنة تقفها بأفواههم ومن يفعل ذلك فجزاؤه القتل ولا يقربها الكهنة الا
 وعلى وجوههم براقع لئلا يفسدوها بانفاسهم ولا يطفئونها ليلا ولا نهارا
 ووقودها حطب نظيف مقشور وان انطفأت لا تجدد الا من نار هيكل آخر .
 وهو الذي شرع لهم عيد النيروز أى اليوم الجديد في الاعتدال الربيعي وعيد
 المهرجان أى الخريف في الاعتدال الخريفي ولما ظهر مزدك الخارجي في أيام قباد
 ابن فيروز بن يزدجرد زعم انه يدعو الى شريعة ابراهيم واستحل المحارم
 والمنكرات وسوى بين الناس في الاموال والاملاك والنساء والعبيد والاماء
 حتى لا يكون لاحد على أحد فضل في شئ وكان يأخذ امرأة هذا فيسلمها الى
 ذاك وكذا في العبيد والاماء والاموال فكثر أتباعه وعظم شأنه ، وكان مما
 شرعه تحريم ذبح الحيوان واكتفاء الانسان في طعامه بما تنبت الارض وما
 يتولد من الحيوان كالبيض والابن والسمن والجبن وأتباعه هم المزدكية .

وقد دخلت المجوسية بلاد العرب قال ابن قتيبة « وكانت المجوسية في تميم
 منهم زرارة بن عدس التميمي وابنه حاجب بن زرارة وكان تزوج ابنته ثم ندم
 (١) ومنهم الاقرع بن حابس (٢) كان مجوسيا وأبو سود جد وكيع بن
 حسان كان مجوسيا » .

(١) ندم لان زواج البنت كان من الفواحش عند قريش في الجاهلية

(٢) أدرك الاسلام فأسلم وله صحبة

وفي تاريخ ابن الاثير قال بعض العلماء ان المجوسية كان يدين بها بعض العرب بالبحرين فكان زرار بن عدس وابناه حاجب ولقيط والاقرع بن خابش وغيرهم مجوسا وان لقيط تزوج ابنته دختنوس وسماها بهذا الاسم الفارسي وقتل وهي زوج له فقال في ذلك

ياليت شعري عنك دختنوس اذا أتاها الخبر المرموس

أتخلق القرون أو تميس لا بل تميس انهم عروس

وقال أبو زيد احمد بن سهل البلخي في كتابه البدء والتاريخ (كانت المزدكية والمجوسية في تميم) ومن آثار هذه الديانة فيهم نار الاستسقاء ونار الحلف وحلقهم بالرماد والدار

وأما الزندقة فكانت عند العرب أيضا : قال ابن قتيبة في كتاب المعارف عند الكلام على أديان العرب في الجاهلية وكانت الزندقة في قريش أخذوها عن الحيرة . وقال الباخي في كتاب البدء والتاريخ كانت الزندقة والتعطيل في قريش وقال ابن الاثير في تاريخه وفي أيام قباذ بن فيروز بن يزدجرد ملك الفرس خرج مزدك فدعا الناس الى الزندقة فأجابه قباذ الى ذلك ودعا قباذ المنذر بن ماء السماء عامله على الحيرة ونواحيها فامتنع فدعا الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار ملك نجد الى ذلك فاجابه فاستعمله على الحيرة وطارد المنذر من مملكته وفي القاموس (الزنديق بالكسر من الثنوية أو القائل بالنور والظلمة أو من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية أو من يبطن الكفر ويظهر الايمان أو هو معرب زن دين أي دين المرأة) وفي اللسان الزنديق القائل ببقاء الدهر فارسي معرب وهو بالفارسية زندكراي يقول بدوام الدهر والزندقة الضيق وقيل الزنديق منه لانه ضيق على نفسه ورد ابن الكمال . اذهب اليه القاموس من انه معرب زن دين وقال ان زند اسم كتاب أظهره مزدك رئيس الفرقة المزدكية من الفرق الثنوية وتقل بعضهم عن ابن خلدون انه قال ان زرادشت بن بيورشت الحكيم جاء بكتاب ادعاه وحيا وان كيستاسف وضع هذا الكتاب في هيكل باصطخر ووكل به الهرامزة ومنع العامة من تعليمه ويسمى هذا الكتاب تستاه ثم

فسره زرادشت ومعى تفسيره زند ثم فسر التفسير ثانيا وسماه زنديه فكانت هذه اللفظة أصلا لكلمة زنديق لان العرب عربتها هكذا واختصت في عرف الشرع بمن يظهر الاسلام ويظن الكفر والظاهر ان ابن قتيبة يريد بالزندقة احدى الفرق المجوسية من الثنوية أو المرذكية أو الزرادشتية بدليل قوله اخذوها عن الحيرة فان الحيرة وان كانت من بلاد الفرس سكانها وملوكها العرب دينهم دين الفرس أو دين المسيح ولو كانت مراده من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية لم يكن لاخذها من الحيرة وجه فان كثيرا من قبائل العرب كانوا كذلك .

﴿الموحدون من العرب﴾

كانت العرب قبل البعثة عدا من كان على دين سماوى أو غير سماوى مشركين يعبدون الاصنام الايمان أنار الله بصائرهم وهم أفراد قليلون وأخذوا الله وعبدوه بما ارتضته عقولهم او بما أخذوه عن الشرائع السابقة ولا نخلي كتابنا من ذكر بعضهم فمنهم (تباع الاول) و (خالد بن سنان العبسى) و (حنظلة بن صفوان) وذكرت خبرهم في المختلف في نبوتهم من العرب ومنهم (زيد بن عمرو بن نفيل بن عبدالمزى) وقد خلاص هو وورقة بن نوفل ابن أسد وعبيد الله بن جحش بن ذئاب وعثمان بن الحويرث بن أسد يتناجون فيما حكاه ابن اسحاق وقد اجتمعت قريش يوما في عيد لهم عند صنم من أصنامهم كانوا يعظمونه وينحرون له ويمكفون عنده ويدرون به وكان ذلك عيدا لهم في كل سنة فقال بعضهم لبعض تصادقوا ولا يكتم بعضكم على بعض قالوا أجل قال تعلموا والله ما قومكم على شيء لقد اخطئوا دين أبيهم ابراهيم ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع يا قوم التمسوا لا تفسم فانكم والله ما أنتم على شيء فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم فاما ورقة بن نوفل فاستحكم في النصرانية واتبع الكتب من أهلها حتى علم علما من أهل الكتاب واما عبيد الله بن جحش فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ثم هاجر مع المسلمين الى الحبشة فلما قدمها تنصر وفارق

الاسلام حتى هلك هناك نصرانيا واماعثمان بن الحويرث فقدم على قيصر ملك الروم فتنصر وحسنت منزلته عنده وأما زيد بن عمرو بن نفيل فوقف فلم يدخل في يهودية ولا نصرانية وفارق دين قومه فاعتزل الاوثان والميتة والدم والذبائح التي تذبح على الاوثان ونهى عن قتل المؤودة وقال اعبد رب ابراهيم ونادى قومه بعيب ما هم عليه . وروى البخارى في صحيحه بسنده قال حدثنا موسى حدثنا سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح (١) قبل ان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم الوحي فقدمت الى النبي صلى الله عليه وسلم سفره (٢) فأبى « أى زيد » أن يأكل منها ثم قال زيد انى لست آكل مما تذبحون على انصابكم ولا آكل الا ما ذكر اسم الله عليه (٣) وان زيد بن عمرو كان

(١) بلدح مكان في طريق التنعيم ويقال هو واد (٢) تلك رواية البخارى في المواقب وروايته في باب ما ذبح على النصب والاصنام فقدم اليه رسول الله سفره فيها لحم فأبى أن يأكل منها . وجمع ابن المنير بينهما بأن القوم الذين كانوا هناك قدموا السفره للنبي فقدمها لزيد فقال زيد مخاطبا لاولئك القوم ما قال (٣) قال السهيلي فان قيل فالنبي عليه الصلاة والسلام كان أولى من زيد بهذه الفضيلة فالجواب انه ليس في الحديث انه عليه السلام أكل منها وعلى تقدير ان يكون أكل فزيد انما كان يفعل ذلك برأى يراه لا بشرع متقدم وانما تقدم شرع ابراهيم بتحريم الميتة لا تحريم ما ذبح لغير الله وانما نزل تحريم ذلك في الاسلام واذا كانت الاشياء قبل ورود الشرع حكمها الاباحة كما يقوله بعض الاصوليين فان كان أكل فقد فعل أمرا مباحا وان كان لم يأكل فلا اشكال وان قلنا على ما هو الاصح ان الاشياء قبل ورود الشرع لا توصف بالاباحة ولا بالتحريم فان الذبائح لها أصل في تحليل الشرع المتقدم ولم يقدح في هذا التحليل ما ابتدعوه من الذبح على النصب حتى جاء الاسلام وأنزل الله تعالى (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه)

يعيب على قريش ذبائهم ويقول الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء الماء وانبت لها من الارض الكلاء ثم تذبجونها على غير اسم الله انكارا لذلك واعظاما له . قال موسى حدثني سالم بن عبد الله ولا اعلمه الا تحدث به عن ابن عمر ان زيد ابن عمرو بن نفيل خرج الى الشام يسأل عن الدين ويتبعه فلقى عالما من اليهود فسأله عن دينهم فقال اني لعلى ان ادين دينكم فاخبرني فقال لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله قال زيد لا أفر الا من غضب الله ولا احمل من غضب الله شيئا أبداً وانى استطيعه فهل تدلني على غيره قال ما اعلمه الا أن يكون حنيفاً قال زيد وما الحنيف قال دين ابراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يعبد الا الله فخرج زيد فلقى عالماً من النصارى فذكر مثله فقال لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله قال ما أفر الا من لعنة الله ولا احمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئاً أبداً وانا أستطيع فهل تدلني على غيره قال ما اعلمه الا أن يكون حنيفاً قال وما الحنيف قال دين ابراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يعبد الا الله فلما رأى زيد قولهم في ابراهيم عليه السلام خرج فلما برز رفع يديه فقال اللهم اني أشهد اني على دين ابراهيم وقال الليث كتب الى هشام عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهما قالت رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائماً مسنداً ظهره الى الكعبة يقول يا معشر قريش والله ما منكم على دين ابراهيم غيرى وكان يحى المؤودة يقول للرجل اذا أراد أن يقتل ابنته لا تقتلها أنا أكفيكها مؤنتها فيأخذها فاذا ترعرعت قال لا يبها ان شئت دفعتها اليك وان شئت كفيتك مؤنتها وكان زيد بن عمرو بن نفيل يقول اللهم لو اني أعلم أى الوجوه أحب اليك عبدتك به ولكنى لا أعلمه ثم يسجد على راحته قال ابن اسحاق وحدثت أن ابنه سعيد وابن عمه عمر بن الخطاب قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر لزيد بن عمرو قال نعم فانه يبعث يوم القيامة أمة وحده ولم يكن زيدا يأكل الميتة ولا الدم وهو القائل وأسلمت وجهي لمن أسلمت له الارض تحمل صخوراً ثقلاً

دحاها فلما رآها استوت على الماء أرسى عليها الجبالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت له المزن تحمل عذبا [زلالا
إذا هي سيقت الى بلدة أطاعت فصبت عليها سجالا

ولما خرج زيد بن عمرو بن نفيل من مكة يطلب دين ابراهيم سار
يسأل الرهبان والاحبار حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها ثم أقبل لخال الشام
كلها حتى اذا كان بأرض البلقاء أخبره كاهن انتهى اليه علم أهل النصرانية
بأنه قد اظل زمان بنى يبعث من بلاد العرب بدين ابراهيم فرجع سريعا يريد
مكة حتى اذا توسط بلاد لحم عدوا عليه فقتلوه فقال ورقة بن نوفل يرثيه

رشدت وأنعمت ابن عمرو وانما (١) تجنبت تنورا من النار حاميا
بدينك ربا ليس رب كمثلها وتركك أو ثان الطواغى كاهيا
وادرأكك الدين الذي قد طلبته ولم تك عن توحيد ربك ساهيا
فأصبحت في دار كريم مقامها تعمل فيها بالكرامة لاهيا
ومن شعر زيد بن عمرو بن نفيل في الالهيات قوله

عبادك يخطئون وأنت رب بكفيك المنايا والحتوم (٢)

(ومنهم قس بن ساعدة الايادي) كان من أقدم من آمن بالبعث من العرب
وعمر طويلا وسمعه النبي عليه السلام قبل البعثة بعكاظ يقول في خطبته
أيها الناس اسمعوا وعوا فان وعيتم فانتفعوا انه من عاش مات ومن مات
فات وكل ما هو آت آت ان في السماء ظبرا وان في الارض لعبرا مهاد موضوع
وسقف مرفوع ونجوم تمور وبحار ان تغور ليل داج وسما ذات أبراج
أقسم قس قسما حتما ان لله ديننا هو أحب اليه من دينكم الذي أنتم عليه مالى
أرى الناس يذهبون ولا يرجعون أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا فناموا ومنهم
(سحنة بن خلف الجرهمي) وقد منا قوله في لوم عمرو بن لحي على وضع الاوثان
حول الكعبة وحمله العرب على عبادتها ومنهم « المتلمس بن أمية

(١) رشدت وأنعمت أى رشدت وبالغت في الرشدا كما يقال أمعنت

في النظر وأنعمته (٢) الحتوم الاقضية

الـكـذائى) وكان يخطب بفناء الكعبة ويقول أطيعونى ترشدوا قالوا وما ذاك قال انكم تفردتم بالهة شتى وانى لا اعلم ما الله راض به وان الله رب هذه الالهة وانه ليجب أن يعبد وحده فتفرقت عنه العرب وزعموا أنه على دين بنى تميم ومنهم أجداده عليه السلام كعب بن لؤى وقصى وعبد مناف وهاشم وعبد المطلب فاما (كعب) فقد كانت العرب تجتمع اليه فى كل يوم جمعة فيحثهم على صلة الارحام وحفظ العهد وصراعاة حق القرابة والتصدق على الفقراء والاحسان للايتام ويذكروهم بالموت وأهواله وينبئهم ببعثة رسول من عند الله وأما : قصى « فكان يأمر قومه بتعظيم الحرم وينهاهم عن عبادة الاوثان ويخبر قومه ببعثة نبي ينهى عن عبادة الاصنام (وأما عبد مناف) فكان يبغض الاصنام ويأمر قريشا بتقوى الله وصلة الرحم وأما (هاشم) فكان يؤدى الحقوق ويحمل ابن السبيل وبجانب عبادة الاوثان ويؤمن بالله واما (عبد المطلب بن هاشم) فقد منا ايمانه بالبعث وتوحيده الله ورجوعه اليه فى قصة الفيل ومن الموحدين (وكبيع بن سلمة بن زهير بن أبياد) وكانت له ولاية أمر البيت بعد جرحه وبني صرحا بأسفل مكة وجعل فيه أمة يقال لها حزورة وبها سميت حزورة مكة وجعل فى الصرح سلما فكان يرقاه ليخلو بنفسه ويتفكر فى ملكوت السموات والارض والعرب يعدونه من الصديقين ومن أقواله مرضعة أوفاطمة ووادعة أوقاصمة والقطيعة والفجيرة وصلة الرحم وحسن الكلام . ومن كلامه زعم ربكم ليجزين بالخير ثوابا وبالشر عقابا ان من فى الارض عبيد لمن فى السماء هلكت جرحهم وربلت ايادى وكذلك الصلاح والفساد فلما حضرته الوفاة جمع ايادا فقال لهم أسمعوا وصيتى الكلام كلمتان والامر بعد البيان من رشد فاتبعوه ومن غوى فافضوه وكل شاة برجلها معلقة . ولما مات نعى على الجبال وفيه يقول بشير بن الحجير الايادى

ونحن أياد عبيد الاله ورهط مناجيه فى سلم

ونحن ولا حجاب العتيق زمان النخاع على جرحهم (١)

(١) هلك من جرحهم بدء النخاع ثمانون كهلا فى ليلة واحدة سوى الشبان

ومنهم (قيس بن نشبة) قال فيه ابن سيدة في المخصص كان منجما متفلسفا واعدا
ببعثة الرسول فلما بعث عليه الصلاة والسلام أتاه فقال يا محمد ما كحلة فقال
السماء فقال وما كحلة فقال الارض فأمن به وقال لا يعرف هذا الا نبي
وقال حين آمن

تابعت دين محمد ورضيته كل الرضا لامانتى ولدينى
مازلت آملة وأرقب وقته والله قدر أنه يهدينى .
ومنهم (عبد الطابخة بن ثعلب بن وبرة بن قضاة) وروى له الشهرستاني في الملل قوله
أدعوك يا ربى بما أنت أهله دعاء غريق قد تشبث بالعصم
لأنك أهل الحمد والخير كله وذو الطول لم تعجل بسخط ولم تلم
وأنت القديم الاول الماجد الذى تبتدأت خلق الناس فى أكرم العدم
وأنت الذى أحملتني غيب ظلمة الى ظلمة من صلب آدم فى ظلم
ومنهم (علاء بن شهاب التميمي) القائل فى الايمان بالله ويوم الدين
وعلمت أن الله جاز عبده يوم الحساب باحسن الاعمال
ومنهم زهير بن أبى سلمى وقد اعترف بوجود الله واثبت له الحياة والعلم
والقدرة وأقر بالبعث والنشور والثواب والعقاب وكتابة الاعمال مما جاءت
به الحنيفية فى قوله

فلا تكتمن الله ما فى نفوسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم
ومنهم (عبد الله بن تغلب بن وبرة بن قضاة) وكان ينهج فى ديانتة منهج الحنيفية
ومنهم عبيد بن الابرص الاسدى القائل

ولتأتين قبلى قرون حجة ترعى مخارم أيكمة ولدودا
فالشمس طالعة وليل كاسف والنجم يحرى انحسا وسعودا
وليفنين هذا وذاك كلاهما الا الآله ووجهه المعبودا
ومنهم (عامر بن الظرب العدواني) وقد منا قوله فى البعث ومنهم (سيف بن ذى يزن)
وقد بشر عبد المطلب بن هاشم ببعثته عليه الصلاة والسلام . ومنهم (أبو قيس

صرمة بن أبي أنس) قال ابن قتيبة وهو من بنى النجار وكان ترهب ولبس المسوح وقارق الاوثان وهم بالنصرانية ثم أمسك عنها ثم دخل بيتاً له فأتخذه مسجداً لا يدخله طامث ولا جنب وقال أعبد رب ابراهيم فلما بعث رسول الله عليه الصلاة والسلام أسلم وحسن اسلامه وقال في الجاهلية

سبحوا الله شرق كل صباح طلعت شمسك وكل هلال

يا بني الارحام لا تقطموها وصلوها قصيرة من طوال

ومنهم (أمية بن أبي الصلت الثقفى) فقد حدث الزبير بن بكار عن صه ان أمية نظر في الجاهلية الكتب وقرأها ولبس المسوح تعبدًا وذكر ابراهيم واسماعيل والحنيفية وحرم الخمر وتجنب الاوثان وصام والتمس الدين طمعا في النبوة لانه علم ببعثة نبي من العرب وكان يرجو أن يكونه فلما بعث عليه السلام حسده وقال فيه النبي عليه السلام ، آمن شعره وكفر قلبه ، ومنهم (الزائغة الجعدى حسان بن نيسر بن عبد الله) شاعر قديم مفلق طويل البقاء في الجاهلية والاسلام ، وأذكر في الجاهلية الخمر وهجر الاوثان والازلام وقال في الجاهلية قصيدته التي أولها :

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلما

وكان يذكّر دين ابراهيم والحنيفية ويصوم ويستغفر ويتوقع أشياء لعواقبها ولما جاء الاسلام وفد على النبي وأسلم فحسن اسلامه

﴿ اليهودية ﴾

اليهودية هي الشريعة المنزلة على موسى الكليم عليه السلام نسبة الى يهوذا أحد اسباط اسرائيل الذي تناسل منه أكثر الملوك ونشأت هذه الديانة في مصر ولما لم يؤمن بها فرعون وقومه خرج موسى وبنو اسرائيل من مصر سنة ١٤٩١ قبل الميلاد وضرب بمصاه البحر فانشق فجاوزه موسى وأغرق فرعون وجيشه فوصلوا جبل طور سيناء بعد خمسة وأربعين يوما من خروجهم من مصر ثم انتقلت اليهودية الى الاراضي المقدسة ومنها الى بلاد العرب وكان دخولها

اليها زمن موسى على ما رواه ابن زبالة بسنده عن عروة بن الزبير قال : كانت العماليق قد انتشروا في البلاد فسكنوا مكة والحجاز كله وعتوا عتوا كبيرا فلما أظهر الله موسى عليه السلام على فرعون وطيء الشام أو بعث اليها بعثا فأعلمك من بها من الكنعانيين ثم بعث بعثا آخر الى الحجاز للعماليق وأمرهم الا يستبقوا أحدا منهم بلغ الحلم فقدموا عليهم فأظهرهم الله فقتلوا حتى انتهوا الى ملكهم الارقم بن أبي الارقم فقتلوه وأصابوا ابنه وكان شابا من أحسن الناس فضنوا به عن القتل وقالوا نستحييه حتى تقدم به على نبي الله موسى عليه السلام فيرى فيه رأيه فأقبلوا وهو معهم فقبض الله موسى قبل قدوم الجيش فلما سمع بهم الناس تلقوهم فسألوهم فأخبروهم بالفتح وقالوا لم نستبق منهم الا هذا الفتى فاننا لم نر شابا أحسن منه فتركناه حتى تقدم به على نبي الله موسى عليه السلام فيرى فيه رأيه فقالت لهم بنو اسرائيل ان هذه لمعصية منكم لما خالفتم أمر نبيكم لا والله لا تدخلون علينا بلادنا أبدا فقال الجيش ما بلد اذ منعمت بلادكم بخير من البلد الذي خرجتم منه وكان هذا أول سكنى اليهود الحجاز بعد العماليق . وفي الروض الانف عن أبي الفرج الاصبهاني ان السبب في كون اليهود بالمدينة وهي وسط أرض العرب مع أن اليهود أصلهم من أرض كنعان ان بنى اسرائيل كانت تغير عليهم العماليق من أرض الحجاز وكانت مبارهم يثرب والجحفة الى مكة فشكت بنو اسرائيل ذلك الى موسى فوجه اليهم جيشا وذكروا نحو ما تقدم ثم قال ولا أحسب هذا صحيحا لبعد عمر موسى عليه السلام وذكروا الطبري ان نزول بنى اسرائيل بالحجاز كان حين وطيء بختنصر بلادهم بالشأم وخرب بيت المقدس وذكروا صاحب كتاب وفاقا الى اليهود الذين نزلوا المدينة فمنهم قريظة والنضير والنحام وهذل . وفي خطط المقرئ ان العرب تعلموا كبس الشهور من اليهود الذين نزلوا يثرب من عهد شمويل نبي بنى اسرائيل وهو صمويل المتوفى سنة ١٠٥٧ قبل الميلاد وفي كتاب وفاقا الاخبار دار المصطفى « وحكى ياقوت عن بعض علماء الحجاز من يهود ان سبب نزولهم الحجاز ان ملك الروم حين ظهر على بنى اسرائيل وملك الشام خطب

الى بنى هرون وفي دينهم ألا يزوجوا النصارى تخافوه وأنعموا له وسألوه ان يشرفهم باتيانهم اليهم فأتاهم ففتكوا به وبمن معه ثم هربوا حتى لحقوا بالحجاز فأقاموا بها وزعم بنو قريظة ان الروم لما غلبوا على الشام خرج قريظة والنضير وهذل هاربين من الشام يريدون من كان بالحجاز من بنى اسرائيل فوجه ملك الروم في طلبهم فاعجزوا رسله «

أما الذى ادخل اليهودية بلاد اليمن فهو تبع الاصغر أبوكرب تبان اسعد وقد منا خبر ذلك عند الكلام على المختلف في نبوتهم من العرب وقيل سبب تهود العرب غير ذلك . ولما خربت اورشليم على عهد طيطوس فى القرن الاول للميلاد نزح كثيرون من اليهود الى بلاد العرب وتوطنوها ونشروا تعاليم دينهم بين العرب واشهر من دان باليهودية من قبائل العرب بنونعير وبنو كنانة وبنو الحارث بن كعب وبنو كندة ولعلها سرت اليهم من مجاورة اليهود لهم فى ثيما . ويشرب وخيبر

ولم تتغلب اليهودية على الوثنية فى بلاد العرب لان كثيراً من احكامها مبنى على المشقة وتلك لا يسلس لها قياد العربى ولانها وان أباحت قتال الوثنيين والقتال دين العربى الا انها لا تبسح الانتفاع بغنائمهم بل تحرقها والعربى انما يقاتل لينتقم من عدوه فى نفسه ويفتفع بماله واهله ومن طرق معاشهم الغزو والسلب والنهب وكانت بعض نساء العرب تنذر تهود ابنها فى الروض الانف (ان جملة من كان من اليهود بالمدينة وخيبر انما هم قريظة والنضير وبنو قينقاع غير أن فى الاوس والخزرج من قد تهود . وكان من نساءهم من تنذر اذا ولدت ان عاش ولدها أن تهوده لان اليهود عندهم كانوا أهل علم وكتاب) وقد ذكر لبيد بن ربيعة صلاة اليهود من قصيدة له يصف رجلاً غلب عليه النعاس يلمس الاحلاس فى منزله بيديه كاليهودى المصل (١)

(١) فاعل يلمس : ضمير المجود فى البيت قبله وهو (ويجود من صبايات الكرى) والمجرد الذى جاده النعاس وألح عليه حتى أخذ فنام و (الاحلاس) جمع حلس بالكسر وهو كساء رقيق يكون على ظهر البعير تحت رحله أى

قال البغدادى فى خزانة الادب « وقوله كاليهودى المصل . قال الطوسى فى شرحه كانه يهودى يصلى فى جانب يسجد على جبينه هذا كلامه واليهودى يسجد على شق وجهه وأصل ذلك انهم لما تتق الجبل فوقهم قيل لهم اما أن تسجدوا واما أن يلقى عليكم فسجدوا على شق واحد مخافة أن يسقط عليهم الجبل فصار عندهم سنة الى اليوم »

✽ النصرانية ✽

هى دين المسيح بن مريم عليه السلام نسبة للناصره اول قرية بث فيها عيسى دعوته فقال العرب ناصرى ونصرانى . وكان يقال للمسيح الناصرى ودخلت النصرانية بلاد العرب زمن الحواريين فقد نقل ان القديس توما أول من دعا اليها فى بلاد اليمن اثناء مسيره الى الهند وان بولس دعا اليها فى الشام فاعتنقها كثير من عرب الشام وفى بعض التواريخ المسيحية ان اوريجانوس فى القرن الثالث للميلاد زار أحد حكام العرب فهدى قبيلة للنصرانية وفى القرن الرابع سار موسى الراهب المصرى الى العرب ودعاهم للنصرانية فتنصرت زوجة حاكمهم المسماة موفية . وفى تاريخ القرون الوسطى ان عرب غسان تنصروا فى أيام القيصر والنتين وكان تنصرهم على يد عباد الصحراء بالشام ، (يعنى النساك) وقال ابن خلدون كان أهل نجران (هم بنو الحارث بن كعب من مذحج) من بين العرب يدينون بالنصرانية وكان لهم فضل فى الدين واستقامة أخذوا هذا الدين عن رجل سقط لهم من ملك التبعية يقال له سيمون من بقية اصحاب الحواريين) وكانت العرب تسمى عيسى عليه السلام ابيل الايلين والابيل « الراهب أو الناسك والزاهد فى الدنيا » وشاهده قول عمرو بن عبد الجن .

أما والدماء المائثرات تخالها على قة العزى وبالنسر عند ما (١)

يطلب الاحلاس بيديه وهو لا يعقل من غلبة النعاس (٢) نسر صنم و« المائثرات » المترددات من مار الدم على وجه الارض يمور اذا تردد و(قة العزى) اعلاها و(العندم) البقم ودم الاخوين

وما سبّح الرهبان في كل ليلة أبيل الابلين المسيح بن مريم (١)
 لقد هزمني عامر يوم لعل حساما اذا ماهز بالكف صمما (٢)
 وكان ولدان النصارى يتبركون بالراهب الذي يجي من بيت المقدس ويمسحه
 الذي هو لابس وأخذ خيوط منه حتى يتمزق ثوبه وشاعده قول امرئ القيس
 الكندي يصف أدراك كلاب الصيد لفرسه

فأدركنه يأخذن بالساق والنسا كما شبرق الولدان ثوب المقدس (٣)
 وكانت النصرانية تقيم اعيادها في بلاد العرب فنما يوم السباسب ويسمونه
 يوم السمانين . ويقال شعانين وعيد الفصح وهو ما يتقدم عليه صوم الاربعين
 أنشد سيبويه لبعض العرب

صدت كما صد عما لا يحمل له ساقى نصارى قبيل الفصح صوام
 وكانوا في الفصح يوقدون المشاعل قال اوس بن حجر يصف رمحاً ويشبه سناناه
 بمصباح يوقده رئيس النصارى يوم الفصح

عليه كعباح العزيز يشبه بمصيح ويمحشوه الذبال المفتلا
 وقال عدى بن زيد يشير الى تعمير قنديل الفصح
 بكروا على بسحرة فصبحتهم بأناء ذى كرم كقعب الحالب
 بزجاجة ملء اليدين كأنها قنديل فصح في كنيسة راهب
 ومن اعيادهم الدنح ذكره ابن سيده في المختص عن ابن دريد . وكانت
 الراهبات تلبس في الاعياد الملاء والانسجة الطويلة الاذيال . قال امرؤ القيس
 يصف سرباً من بقر الوحش

فأنت سرباً من بعيد كأنه رواه عيد في ملاء مهذب
 ولم تستطع النصرانية أن تتغلب على الوثنية في بلاد العرب لان
 تعاليمها تبين اخلاقهم الغريزية فن من العرب يرضى اذا ضربته على خده

(١) سبّح أى نزه وسمى الراهب أبيلاً لتأبله وبعده عن النساء
 (٢) يريد أن عامراً وجدده حساماً ذلك اليوم و«صمم» . مضى يقال
 صمم الرجل في الامر اذا جد فيه . (٣) شبرق جلده أى قطعه .

الايمان ان يدبر لك خذ الاليسر لتصفه عليه مرة أخرى بل قلد النصرارى العرب
 فى كثير من أمورهم الدينية فكانوا يحجون ويعتصرون ألا أنهم كانوا يقفون
 فى الحج فى بطن محسر . وأنشد عليه السلام لما أفاض من عرفة الى مزدلفة
 وكان فى بطن محسر الذى كان موقف النصرارى قول شاعر جاهلى
 اليك تعدو قلقاً وضينها معترضاً فى بطنها جنينها
 مخالفاً دين النصرارى دينها

يشير الى الناقة التى كان راكبها فى مسيره الى الحرم . وكانوا يعظمون
 الكعبة ووضعوا فيها صورة السيدة مريم وسيدنا عيسى مع ما وضع فيها
 من صور الملائكة والانبياء كوسى وابراهيم . وكانوا لا يذكرون اسم الله
 على الذبيحة يقدّمون فى ذلك مشركى العرب . وخالفوا تعاليم المسيحية فى
 شتم الفارات وطلبهم الثارات لان العربى جعل رزقه فى ظل رحمه ولذلك
 لما قدم عدى بن حاتم الطائى على رسول الله عليه السلام قال له . أو لم تكن
 تسير فى قومك بالمربع . فقال عدى . بلى . فقال عليه السلام فان ذلك لم يكن
 يحل لك فى دينك . فقال أجل . ذلك لان الدين الذى يحرم القتال لا يحل
 غنائم الحرب . وقد بين عقيدة العرب هذه جابر بن حنى النخلى النصرانى
 فى قوله

وقد زعمت بهراء أن رماحنا رماح نصرارى لا تخوض الى دم
 وأشهر من تدين بالنصرانية من العرب ربيعة وبعض قضاة وكأنتهم
 تلقوها عن الروم فقد كانوا يكثرّون التردد الى بلادهم للتجارة والفساسنة
 بالشام لمجاورتهم نصرارى الروم ودان بالنصرانية كثير من بنى تغلب وتنوخ
 وحير وطبيء وشاعت النصرانية فى قبائل شتى بالحيرة يقال لهم العباد « بكسر
 العين وتخفيف الباء » منهم عدى بن زيد العبادى . وتنصر ملوك الحيرة على
 عهد امرئ القيس الاول ابن عمرو فى أوائل القرن الرابع على قول . وقيل
 ان أول من تنصر منهم النعمان بن المنذر فى آخر القرن السادس . وفى سجل
 الكنيسة الشرقية أن الحيرة كان عليها أسقف سنة ٤١٠ ميلادية وأن ملكها

حتى النصرانية سنة «٤٢٠» ميلادية . وقيل أن ملوك الحيرة كانوا في أواسط القرن السادس وثنيين وأن المنذر بن امرئ القيس بن ماء السماء كان يقدم ذبائح من بني آدم الى العزى وكان من بين نسائه امرأة من غسان اسمها هند الكبرى ام عمرو بن هند كانت مسيحية فبثت مبادئ النصرانية في ابنها ففسأ نصرانياً . ويستظهر بعضهم أن النصرانية لم تثبت بعد عمرو المذكور . فلما مات طاد خليفته المنذر الى الوثنية ونشأ ابنه النعمان وثنياً حتى تنصر على يد الجاثليق صبر يشوع او على يد عدي بن زيد العبادي كما يقول مؤرخو العرب . وكان نصارى العرب يقولون بالطبيعة الواحدة للمسيح كاعتقاد اتباع يعقوب البرادعي اسقف اورفا سنة ٩٢٨ وهم اليعقوبيون ونسب هذا المذهب ليعقوب لانه قال به بعد ان كاد يندثر والا فقد سبقه بالقول بالطبيعة الواحدة ديوسقوروس وبرسوماس وزينياس وفلو وغيرهم من القائلين بأن طبيعة المسيح قد اتحدتا حتى صارتا طبيعة واحدة . وكانت النصرانية شائعة في بعض أمكنة من جزيرة العرب وذكر حاتم الطائي شيوعها بين ناب ودارة في قوله

واني لمزج للمطى على الوجا وما انا من خلانك ابنة عفزرا
ومازلت أسعى بين ناب ودارة بلحيان حتى خفت أن اتنصرا
والمعجب لصاحب شعراء النصرانية كيف عد حاتما من النصاري مع
نقله له قوله خفت أن اتنصراى خفت الدخول في دين النصارى وذلك منه كثير
فقد عد طرفه بن العبد والمتلمس نصرانيين مع نقله حلف طرفه بالنصب في قوله
فأقسمت عند النصب انى لهالك بمتلفة ليست بغيبط ولا خفض
ونقله حلف المتلمس بالانصاب في قوله في هجاء عمرو بن هند
اطردتنى حذر الهجاء ولا والله والانصاب لا تثل
وعد أعشى قيس في النصارى مع نقله قوله يخاطب ناقته من قصيدة يمدح
بها سيدنا رسول الله .
وآليت لا أرثى لها من كلاله ولا من حنى حتى تزور محمدا

نبي يرى ما لا ترون وذكره أغار لعمرى في البلاد وأنجدا
متى ماتناخى عند باب ابن هاشم تراخى وتلقى من مكارمه يدا
﴿الاسلام﴾

كانت العرب في الجاهلية في شر حال من الاضطراب والفوضى سواء في ذلك نظام الحكومة أو سياسة البيت أو غيرها فكانت النفوس في كل حين عرضة للسفك والاموال في كل وقت معرضة للسلب والنهب لانهم كانوا بشعوبا وقبائل تغلى صدورهم بالاحقاد وكل قبيلة اما مقاتلة أو لقتال غيرها على قدم الاستعداد أخذاً بثأر مقتول عمداً أو خطأ أو لهفوة لم يتناولها الصفيح ولم يغفرها المغو وكانوا يورثون ابناءهم الاحقاد وناهيك بحرب داحض والغبراء التي لم تضع أوزارها الا بعد اربعين سنة وسببها أهون من أن يرى فيه سهم عن كبد قوس أو مجرد فيه حسام من غمد وكان الصماليك المدلون بقوتهم يؤلفون عصابات للغارة على المراعى لسلب الانعام ورعاتها او على الاحياء اذا علموا أن المخلفين بها من الرجال لا يقدررون على الدفاع عن أنفسهم لنهب ما بها من الاموال وأسر النساء والولدان والرجال وكان أسر النساء يجيز الاستمتاع بهن ولو كن ذوات أزواج أما الاسرى من الرجال فكانوا يكبلون بالسلاسل والاغلال وجزاؤهم القتل او الفداء وكم قتلوا من رجال وولدان او استذلوهم او باعوهم أرقاء وكان الفتى المدل بقوته او بمنعة عشيرته يرى الفتاة فيصبيه حسنها فيختطفها من أبيها أو أخيها أو غيرها ولو كانت في مدينة أهلة بالسكان بلا حياء ولا خجل كأنما يفعل اسراً معروفاً غير منكر ومثل هذه الحادثة كان سبباً في حاف الفضول وناهيك بقوم باغ من اعتدائهم على المرأة انهم كانوا يكرهون فتياتهم على البغاء يبتغون عرض الحياة الدنيا ولم يكن عندهم قانون للقصاص يمنع البنى ويقف في سبيل الظلم بل كان اولياء الدم يقيمون على الخسف ان كانوا ضعفاء انتهزاً لسنوح الفرصة للاخذ بثأرهم غدرآ وان كانوا أقوياء اسرفوا في القتل فربما قتلوا بظنة واحد العدد العديد والجماء الغفير قال شاعرهم .

قتلنا سبعة بأبي لبني وألحقنا الموالى بالصميم (١)
 حتى قال مهلهل بن ربيعة وهو يثأر لآخيه كليب لبجير بن الحارث بن
 عباد وهو يقتله وكان غلاماً بثوبشسع نعل كليب فقال له بجيران رضيت بذلك
 بنو ضبيعة بن قيس رضيت فلما باغ الحارث مقتله ولم يكن دخل في حربهم
 قال نعم الغلام غلام اصلح بين ابني وائل وباء بكليب فأبلغوه قول مهلهل
 اذ قتله فغضب وأدخل يده في الحرب وقال

قربا مربط النعامة منى لقتحت حرب وائل عن حيال (٢)
 لا بجير أغنى قتيلا ولا ره ط كليب تزا جروا عن ضلال
 قربا مربط النعامة منى ان قتل الغلام بالشسع غالى
 لم أكن من جناتها علم الا واني بجرها اليوم صالى

أما سيئاتهم للبيت فكانت أشد خرقاً وآلم جرحاً وناهيك بقوم يدفنون
 بناتهم احياء خشية الفقر أو توهم العار ولقد بلغت القسوة بأحدهم أن ولدت
 امرأته في غيبته بنتاً فخبأتها عند احد أقاربها لئلا تفتك بها يد القسوة حتى
 اذا ترعرعت واصبح مثلها قرة عين والدها وظنت انها قد أمنت قسوة ايها
 وعدوانه وان عاطفة الابوة تحول بينه وبين وأدعا احضرتها من مكانها وقد
 زينتها وقدمتها لايها فسألها عنها فأخبرته خبرها فسكت منتهزاً فرصة غفلة
 أمها حتى اذا سنحت أخذ الفتاة فحفر لها حفرة ودفنها فيها حية وهى تمسح
 التراب عن لحيته وتقول ما الذى تفعله بى يا أبى ذلك صنعهم بالبنيات وهن
 برد الا كباد ومسرة الفؤاد

ولم يكن صنع بعضهم بالشيوخ والمعجزة بأقل قسوة من ذلك فقد روى عنهم
 انهم كانوا اذا تبرموا بشيخ تركوه وارتحلوا ليموت أو يأكله الذئب أو حملوه
 على بعير تقور يسقطه فيموت فيستريحوا منه وجاء فى امثالهم (أهون هالك

(١) أى قتلنا ساداتهم فصار الموالى سادة (٢) النعامة اسم فرس الشاعر و (لقتحت)

حملت و (الحيال) ان تضرب الناقة فلا تحمل وضربه مثلاً لما تولد عن الحرب
 وانتج منها من الامور التى لم تكن تحتسب بعد ذلك

شيخ يقادبه البعير) وقولهم (أهون هالك عجوز في سنة جذب) نعم لم يكن هذا العمل عاما فيهم

أما حالة العرب الدينية فما قدمناه في هذا الكتاب تعلم ان الدهماء منهم قد انغمسوا في عبادة الاوثان واتخذوا آلهة شتى ووصل من انحطاطهم في احكام العقل أن اتخذوا الهأ من حيس فلما جاعوا أكلوه وصاروا يتعرفون الخير والشر من أمور دنياهم بالاستقسام بالازلام لا بما فيها من نفع وضرر وكانوا على بقية من دين ابراهيم خلطوها بالوثنية خلطا غير محاسنها وطمس معالمها فأهلوا في الحج للاصنام وأشركوها في التلبية وجعلوا صلاتهم عند البيت الحرام وهي التي شرعها الله في دين ابراهيم خالصة لله وخضوعاً له مكاء وتصدية (١) ولم تكن اليهودية ولا النصرانية عندهم خيرا من اختهما الحنيفية . أما اليهودية فقد عبثت بها أيدي الاحبار يحرفون فيها الكلام عن مواضعه فغيروا كثيراً من الاحكام التي شرعها الله بالحيل التي استحلوها والاهواء التي ابتدعوها ومالوا للتشبيه وغلت فرقة منهم فيه فقالوا غزير ابن الله وتأولوا التوراة بالرأي والهوى واخبروا ان تأويلهم من عند الله ولقد نعى عليهم القرآن ذلك بقوله (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً) ومنهم من وقف عند الفاظ التوراة دون أن يبين معانيها ويشرح المراد منها وعم الذين وصفهم القرآن بقوله (مثل الذين حملوا النوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين) . أما النصرانية فقد انحطت في بلاد العرب الى درك الوثنية فكانوا يتركون ذكر اسم الله صمداً على

(١) مكاء الرجل يمكوا اذا جمع بين يديه وصنفر فيهما و (التصدية) التصفيق قال ابن عطية والذي مر بي من اثر العرب في غير ماديوان ان المكاء والتصدية كانا من فعل العرب قديماً قبل الاسلام على جهة التقرب به وكان مخزومة بن قيس بن عبد مناف يصنفر عند البيت فيسمم من حراء وكانت قريش تطوف بالبيت وهم عراة يصفقون ويصنفرون

الذبيحة مجازاة للمشركين واتخذوا في كنائسهم الاصنام اما لانهم لم يتجردوا من الوثنية وأما لترغيب الوثنيين في المسيحية كما اتخذوا الصنم كميماً في كنيسة القليس وكانت تعاليم المسيحية لاتناسب اخلاق العربى الطامح بطبيعته الى الفخر والخيلاء والسفك لا يعرف القمود على الضيم ولا الصبر على أذى المؤذين وصنع الصافعين فمذأوا سرها اكثرهم حتى لم يبق لهم من المسيحية الا اسمها ولا من النصرانية الا وسمها . نبذوا على اختلاف اديانهم الاوامر الالهية فاكلوا الربا أضمافا مضاعفة وعدوا شرب الخمر ولعب الميسر من مفاخرهم التى يفاخرون بها

هذا حال العرب أما غيرهم من الامم في ذلك العصر فلم يكونوا أحسن حالا منهم فكان من رحمة الله بالعالم ان يرسل اليه رسولا يخرج الناس من الظلمات الى النور فبعث محمد بن عبد الله بن عبد المطلب عليه الصلاة والسلام بدين الاسلام . جاء الاسلام ينشر لواء السلام ويضع الدعائم الثابتة لنظام الاجتماع ويزيل الأثرة من النفوس ويفهم كل فرد انه جزء من جماعة لا يصلح الا بصلاحها ولا تصالح الا بصلاحه (المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا) سوى بين الناس في القصاص ووضع من الحدود ما يكفل سعادة كل انسان ويصونه من غائلة غيره وبين ما يجب على كل فرد اداؤه والقيام به من الواجبات التى فيها صلاحه وحياة المجتمع وبث في النفوس روح العطف والرفق والتسامح حتى في أحوال الخلاف فى الدين والعقيدة قال تعالى (لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي) صان الاسلام حقوق المرأة ونهض بها الى أوج لم تصل اليه فى أمة من الامم ولا فى شريعة من الشرائع فاعاد لها حقها المسلوب وجعل لها وحدها حق التصرف فى مالها ونفسها وسوى بينها وبين الرجل فى التكليف وغيرها ولم يميز الرجل عنها الا فى الاحكام التى لا يقدر عليها اكثر افراد جنسها كالجهاد أو لامر اقتضى تمييزه عنها . والمتصدى لمعرفة ذلك يراه مفصلا فى الكتب التى تبين اسرار التشريع . نهى الاسلام عن كراهة البنات وعد وأدهن أمرا إذا فقال (واذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت) وقال واذا بشرا احدم بالانثى

ظل وجهه مسودا وهو كظيم

كثيرا ما وصى النبي الكريم بالمرأة ودعا الرجال للرفق بها والاحسان اليها . احاط الاسلام الرق بسياسج يحميه من عبث العابثين وسلب السالبيين فلم يضرب الرق الا على الاسير الذى حارب المسلمين للايقاع بهم والاذلال بدينهم ثم طفق الشارع الحكيم يدعو الى عتق الارقاء بمختلف الوسائل حتى جعله قرابة القرب وكفارة قتلها النفوس وتغسل بها أدران الذنوب فجعل العتق واجبا في كفارة القتل والظهار واليمين والافطار في رمضان وندب اليه في غير ذلك مرضاة لله تعالى فقال عليه السلام ايما مؤمن اعتق مؤمنا في الدنيا اعتق الله تعالى بكل عضو منه عضوا منه من النار . سوى الاسلام بين الناس في الحقوق فلم يميز جنسا من الاجناس للبشرية على آخر وضرب على أيدي الامراء والرؤساء ليرفعوا عن رؤوس العامة عصا الاستبداد وينزعوا من اعناقهم غل الاستعباد وقضى على التعاليم التي ابتدعتها رؤساء الاديان من وجود الوساطة بين العبد وربّه فاجتث بذلك أصلا من أكبر أصول الوثنية . فلقد كان يتوسل لذلك الوسيط بأنواع التعظيم وبمات له بضروب التكريم مما لا يليق الا بالخالق الحكيم أمر كل واحد بالاجتهاد والعمل بما يصل اليه اجتهاده فيما لم ينزل فيه حكم بين ولا نص صريح فلم يجعل الدين بذلك بعيد التناول على احد ومقصورا على طائفة قطاع فيما تدعيه ديننا من غير تبصر ولا تفكير * نبه العقل من نومه واحترمه وامر بالظن والتفكر ففرق بذلك حجب الاوهام التي اسد لها رؤساء الدين على اهل اذ زعموا ان الدين عدو العقل وما يشمره العقل الا ما كانت تفسير الكتاب منزل * جعل الاخلاق مصدرا حياة الامم والمصر في بقائها قال تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وقال (ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) نهى عن الكسل والخمول والمسكنة التي زعمها رؤساء الدين من الدين فأمر بالعمل كل قادر عليه وأباح لكل انسان ان يتمتع بما شاء من الطيبات (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) حث على التعليم ورغب فيه ودعا لارشاد العامة

الى الصراط المستقيم والطريق القويم قال الله تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) . أمر الاغنياء ان يحملوا من اموالهم حقا معلوما للفقراء تطيبا لنفوسهم وسدا لموزم وعظما على ابناء جنسهم ليستأصل من نفوس الفقراء الحسد والخصومة على الاغنياء . لم يترك الاسلام فضيلة من الفضائل الا أمر بها ولا سنة من سنن الترقى والاصلاح الا قررها ولا رزية يعود وبالها على المجتمع الا نهى عنها وقبحها . اعاد الاسلام للحنيفية شبابها وجدد عهدها وجردها من الوثنية التي أبلت محاسنها وغيّرت معالمها فالاسلام دين ابراهيم حكي ذلك القرآن في غير ما آية فقال (ان ابراهيم كان قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتباها وهداه الى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة ولانه في الآخرة لمن الصالحين ثم أوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) وقال تعالى (وقالوا كرونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) وقال تعالى (وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس) والآيات في ذلك كثيرة ولذلك قال ابن حزم (وكان الذي ينتحله الصابئون اقدم الاديان علي وجه الارض الى ان أحدثوا فيه الحوادث وبدلوا شرائعها فبعث الله عز وجل اليهم ابراهيم خليه بدين الاسلام الذي نحن عليه الآن ونصحيح ما أفسدوه بالحنيفية السمحة التي أتى بها محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى) ومعنى مجيء الاسلام بالحنيفية دين ابراهيم دون اليهودية أو النصرانية مع ان أصول الشرائع من حيث الالهيّات وتحريم المتحقق ضرره وتقرير أهمّات مكارم الاخلاق واحدة أن الاسلام قرر الاحكام والمبادئ التي شرعت في دين ابراهيم بعد أن جردها من الوثنية التي الصفت بها وهذا مرما تراه من موافقة الاسلام للاحكام التي كان العرب عليها وذكرناها مفصلة في هذا الكتاب . لم يقف الاسلام عند ما شرع في دين ابراهيم بل زاد كثيرا من الاحكام التي

افتضاءها الزمان فانقذ الاحوال الاجتماعية من براثن الفوضى التي فتكت بها
 أيام الجاهلية وأصبح الاسلام بنظامه الدقيق المحكم صالحا لكل زمان ولكل
 أمة لا يزيده رقي العقول في المدنية إلا ثباتا ولا تنمو العلوم الاجتماعية
 والكونية الا لتضم برهانا بعد برهان على سداده ولطيف حكمته . كيف
 لا يكون كذلك وهو الدين الخالد التالذ الذي أراد الله أن يتعبد به الخلق
 الي قيام الساعة قال تعالى (ما كان محمداً أباً احد من رجالكم ولكن رسول
 الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما)

وكان الفراغ من تأليفه وتهذيبه وترتيبه صباح يوم الجمعة رابع شهر
 رمضان المعظم سنة ثلثائة واحدى وأربعين بعد الالف من الهجرة
 الشريفة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية

﴿ فهرست الكتاب ﴾

٤	مقدمة	٨٩	الصلاة على الميت
٧	ابراهيم واسماعيل	٩٠	سرير الميت
١٣	المختلف في نبوتهم من العرب	٩١	تشيعم الجنازة
١٦	الحرم ومكانته عند العرب	٩٢	قولهم للجنازة
٢١	حلف الفضول	٩٢	مقابرهم
٢٦	بناء الكعبة وكسوتها	٩٥	حى القبر
٣٢	تعظيم المعجم والعرب للكعبة	٩٥	نضح القبر بالخر
٣٧	الاربعة الاشهر الحرم والبسل	٩٦	السقيا للقبر
٤٣	النسي*	٩٨	العقر على القبر ونضجه بالدماء
٤٧	الحج . احكام الاحرام به . الخمس	١٠٥	العقر للضيافة نيابة عن الميت
٥٢	التلبية . الطواف بالبيت السعى	١٠٦	اتخاذ البلية
	الوقوف بعرفة	١٠٧	قولهم للميت لا تبعد
٦١	النزول بمزدلفة ومنى وبقية اعمال	١١٠	معتقداتهم الدينية
	الحج من سوق الهدى والنحر	١١١	الانبياء والرسول
	والحلق ورعي الجمار والطواف	١١٢	البعث والحساب
٦٨	العمرة	١١٤	الايمان بالقدر
٧٠	الطهارة - الصلاة - الزكاة	١١٤	خالق افعال الانسان
	الصوم - الاعتكاف	١١٥	التناسخ
٧٥	الاستسقاء بالدعاء والنار	١١٦	المسخ
٨١	النذر	١١٧	احكامهم الدينية
٨٤	ذبح الظبي في نذر الشاة	١٢١	الختان
٨٥	ما يفعلونه للموتى	١٢٢	الدين القتشى
٨٥	نعي الميت	١٢٣	عبادة الحيوان
٨٧	غسل الميت	١٢٤	عبادة الانسان
٨٧	تحنيط الميت	١٢٥	عبادة الملائكة والجن
٨٨	كفن الميت	١٢٧	عبادتهم للاشجار

* تابع الفهرست *

١٢٨	الوثنية في العرب	١٨٤	الصائبون
١٣٢	اصنام العرب وبيوت عبادتها	١٨٦	عبادتهم للكواكب واثار عبادتهم لها
١٥٥	كثرة الاصنام	١٩٠	المجوسية
١٥٨	عبادة الاصنام وما يتقرب به لها	١٩٣	الموحدون من العرب
١٦٨	الاستقسام بالازلام	١٩٩	اليهودية
١٧٢	الاقسام	٢٠٢	النصرانية
١٨٠	التحالف	٢٠٦	الاسلام
١٨٤	الدعاء		

صحيحة	سطر	الخطا	الصواب	صحيحة	سطر	الخطا	الصواب
١١	١٠	رقولى	وقولى	١٢٥	٢١	الجررة	الجررة
١٢	٦	فاقرىء	فاقرئى	١٢٩	٣	ملؤا	ملثوا
١٣	٢٤	الائف	الائف	١٣٠	٢١	ركان	وكان
٣٠٥	٢٢	المثقى	المثقى	١٣١	١٧	يفقثون	يفقثون
٣٧	٦	يأمرؤا	يؤمروا	١٣١	١٨	ققؤا	فقثوا
٣٧	١٢	طبي	طبي	١٣٢	٤	٨١ ٢	٢٠٨١
٣٩	١١	بغناء	بغناء	١٣٦	٢٥	اسكان	واسكان
٤٧	١٧	يجمع	يجمع	١٣٩	٢٣	بصغة	بصيفة
٥٨	١	الارد	الارد	١٤١	١٤	الضييزن	الضييزن
٦١	١١	مزلفة	بمزلفة	١٤١	٢٠	عمبعب	ععبب
٦٦	١٣	انقرضوا	انقرضوا	١٤٤	١٠	ولا يعوق	يعوق
٦٧	٢٣	ككتف	ككتف	١٤٦	٩	حوله	حول عرض
٧٠	١٦	بن	ابن	١٥٢	٢٢	سميت	سمت
٧٩	١٠	بالقطر	بالقطر	١٥٤	١٣	هابيل	هابيل
٧٩	١٠	جناهم	جناهم	١٥٥	١٦	موندأ	موتدا
٨٩	٢٢	المختار	المختار	١٥٦	١٦	بأسم	ياسم
٩١	٢٢	الزوج	الزوج	١٧٦	٤	البطليموسى	البطليموسى
٩٧	١١:٧	موتة	موتة	١٧٨	١	نستحلف	نستحلف
١٠٣	٥	لاعقر	لاعقر فى	١٨٣	٤	تخاف	يتخاف
١٠٥	٢٤	وأخذ	وأخذ	١٨٣	٥	يخالفت	تخالفت
١١٣	٤	وفى	وفى	١٨٦	١٣	للعباداة	العباداة
١١٦	١٦	المسح	المسح	١٩١	١٥	ولاملاك	والاملاك
١١٩	٢٥	وحرمة	وحرمة	١٩٢	٢٢	ذن	زن
١٢٢	١٩	السود	السود	١٩٧	١٣	وكبع	وكبع
١٢٤	١٢	حببيهم	حببيهم	٢٠٤	٥١	النغلي	التغلي

مؤلفات مؤلف هذا الكتاب

- (١) المرأة العربية في الجاهلية - كتاب تتبع فيه مؤلفه حال المرأة عند العرب في الجاهلية من المهد الى الالحد فجمع عاداتها وجميع أحوالها وهو نحو ثمانمائة صفحة
- (٢) اللباب في علم الانساب - كتاب جمع انساب العرب في الجاهلية بأحسن ترتيب
- (٣) كتاب يبحث عن عادات العرب في الجاهلية في الحروب وعدتهم لها
- (٤) الاحوال المدنية والاجتماعية عند العرب في الجاهلية
- (٥) رسالة في الكلام على الحديث الموضوع وبيان القواعد التي يعرف بها وضع الحديث والاسباب الداعية اليه
- (٦) كشف اللثام عن أشعار العوام - رسالة اسهب فيها الكلام على جميع الاوزان التي لم ترد عن العرب من الموشحات والزجل والدوبيت وبحر السلسلة وغيرها وبيان اوزانها
- (٧) رسالة في العلوم الموضوعية لمعرفة الغيب كعلم الرمل والاحكام والزابجة وغيرها وبيان عدم صحة دلالتها
- (٨) علوم العرب في الجاهلية - كتاب جامع لما كان عندهم من علم الاخبار وفن القصص - وعلم الريافة - وعلمى المروض والقافية - والشعر والخطب والوصايا - وعلم الانغاز - وعلم الفراسة وعلم فراسة اعضاء الانسان - وعلم الشامات - وعلم الاسارير - وعلم الاختلاج - وعلم قيافة البشر والاثر - وعلم نزول الغيث - وعلم تعبیر الرؤيا - وعلم ايجاد نسل قوى جميل في اخلاقه وتناسب اعضاءه - وعلم الكهانة - والطرق بالخصى - والعرافة - وعلم الرمل وعلم النجوم وعلم الطيرة والفأل - وعلم الطب والجراحة - وفن الولادة والتشريح - وعلم الابيطرة - وعلم الرقى - وعلم السحر والطلاسم - وعلم الانواء - وعلم الفلك - وعلم الموسيقى - وعلم الحساب وعلم الانساب - وعلم تقويم البلدان - وعلم الاهتداء في البراري وعلم الميراث - وعلم ماوراء المادة وعلم ايام العرب - وعلم الرمي - وعلم الفلاحة وعلم الحيوان - وعلم الابل والخيول وهو نحو ثمانمائة صفحة